

لِسْرَدِ الْمُحْمَانِ

فِي رَمَضَانَ

جَمْعٌ وَتَرْتِيلٌ

مُحَمَّدُ حَسَنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

مُكْتَبَةُ شَوَّالِ الْأَخْرَاءِ

مُكْتَبَةُ الْقَوْىَانِ

أسرار المحبين
في رمضان



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَلَّمَةٌ

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعود بالله تعالى من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهدى الله فلامضل له ، ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ، وَلَا تَمُونُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُشْلُمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ آتَقُوا رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَقْسٍ وَجَعَلَكُمْ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهَا بِرْجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْجَامُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آتَقُوا اللَّهَ وَقُولُوا فَوْلًا سَيِّدِكُمْ ﴿٦٥﴾ يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَرْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١-٧٠].

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلاله ، وكل ضلاله في النار .

ثم أما بعد :

فإني خوتي في الله ، والذي فلق العبة ويرا النسمة ؛ إني أحبكم في الله ، وأسأل الله جل جلاله أن يجمعنا بهذا الحب في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، اللهم اجعل عملنا كلها صالحة ، واجعله لوجهك خالصاً ، ولا تجعل لأحد غيرك شيئاً .

أحبتني في الله ..

أجل شيء في هذه الدنيا أن يستعملك الله عز وجل في الطاعة ، الشعور أن الله عز وجل يستعملك في طاعته إحساس رائع يتملكك ، حتى إنك لتتکاد تشعر أن يدا حانية تلمس خدك لتدير وجهك وتلفت نظرك إلى ما يرضي ربك ، وتشعر بهذه اليد تمسك بيده بحنون بالغ فيه قوة ؛ لتقودك وترفعك إلى عادات وطاعات وقربات لم تكن لك على بال ، وتشعر هذه اليد حانية قوية دائنة في ظهرك تمنعك من التراجع ، وتدفعك إلى التقدم ، تمنعك من السقوط وتشعرك أنك مستعد .

سبحان الملك !! ، والله إنه لشعور رائع حقاً ، إحساس الإنسان أنه مدفوع لفعل الخير مشغول به ، تفتح أمامه أبواب الطاعات وثير له ويعان عليها . ولكل أن تقارن بين هذا الإنسان وبين آخر كلما اتجه إلى طاعة تعسرت عليه وصار عنها ، وأينما التفتأخذت قلبه وعيته ويده ورجله معصية من المعاصي .

قال ابن القيم عليه رحمة الله : «إذا أصبح العبد وأمسى وليس همه إلا الله وحده ، تحمل الله سبحانه حوائجه كلها ، وحمل عنه كل ما أهمه ، وفرغ قلبه لمحبته ، ولسانه لذكره ، وجوارحه لطاعته ، وإن أصبح وأمسى والدنيا همه ؛ حمله الله همومها وغمومها وأنكادها ! ، و وكله إلى نفسه .

فشل قلبه عن محبته بمحبة الخلق ، ولسانه عن ذكره بذكرهم ، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم ، فهو يكبح كدح الوحش في خدمة غيره ، كالكثير يتغنى بطنه ويعصر أضلاعه في نفع غيره ، فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته يُلي بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته ، قال تعالى : «وَمَنْ يَعْشَ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَفِيقٌ لَمْ شَيَطَنًا فَهُوَ لَهُ فَرِينٌ» [الزخرف: ٣٦] اهـ^(١) .

(١) الفوائد (١٥٩) ط مكتبة المؤيد ، تحقيقه : بشير محمد عيون .

فإذا سألت كيف أكون ذاك الأول ، وأنجو من ذاك الثاني ؛ قلْتُ : إن الأمر يحتاج ابتداء إلى رحمة من الله سبحانه وتعالى ، فيجعلك من هؤلاء المرحومين ، وينأى بك عن هؤلاء الخاسرين .

فإن قلت : ألا من سبيل للأسباب ؟

قلت : بل وارد ، يحتاج ابتداء إلى همة عالية ، ونية صحيحة ، فإذا رأى الله عزوجل من عبده صدق النية ، ووصل إليه من العبد عملٌ علىٌ ، أخذ يده إليه واعتنى به أشد من عناية الأب الشقيق بولده ؛ فدبر له الأمور ، وأصلاح له الأحوال ، قال الله سبحانه وتعالى : «إِنَّ سَعْيَكُمْ لِشَئْنَ (١) فَآمَّا مَنْ أَعْطَنِي وَأَنْقَنِي (٢) وَصَدَّقَ بِالْمُسْتَقْنَ (٣) فَسَيِّسِرُهُ لِلْسُّرَى (٤) وَآمَّا مَنْ يَخْلُ وَأَسْتَقْنَ (٥) وَكَذَّبَ بِالْمُحْسِنِ (٦) فَسَيِّسِرُهُ لِلْعُسْرَى (٧)» [الليل : ٤-١٠].

يقول ابن القيم - عليه رحمة الله : «المطلب الأعلى موقوف حصوله على همة عالية ونية صحيحة ، فمن فقدهما تذر عليه الوصول إليه ، فإن الهمة إذا كانت عالية تعلقت به وحده سبحانه دون غيره ، وإن كانت النية صحيحة سلك العبد الطريق الموصلة إليه ، فالنية تفرد له الطريق ، والهمة تفرد له المطلوب ، فإذا توحد مطلوبه والطريق الموصلة إليه كان الوصول غايته .

وإذا كانت همة سافلة تعلقت بالسفليات ولم تتعلق بالمطلب الأعلى ، وإذا كانت النية غير صحيحة ؛ كانت طريقة غير موصلة إليه ؛ فمدار الشأن على همة العبد ونيته وهما مطلوبه وطريقه ، ولا يتم إلا بترك ثلاثة أشياء :

الأول : العوائد والرسوم والأوضاع التي أحدها الناس .

الثاني : هجر العوائق التي تعوقه عن إفراد مطلوبه وطريقه وقطعها .

الثالث : قطع علاق القلب التي تحول بينه وبين تجريد التعلق بالمطلوب ^(١) .

ظهر لك الآن أية الحبيب جملة الأسباب المطلوبة :

(١) جُمُعُ الْهَمِّ، فَلَا يَكُونُ هُمُّكَ إِلَّا رَضَا اللَّهُ وَحْدَهُ.

(٢) هُمَّةٌ عَالِيَّةٌ وَنِيَّةٌ صَحِيحَةٌ.

(٣) هُجُرُ الْعَوَادِدِ، وَقَطْعُ الْعَلَاقَةِ، وَتَخْطِي الْعَوَاتِقِ.

ثُمَّ إِنَّكَ - أَيُّهَا الْحَبِيبُ الْمُحَبُّ - إِنْ كُنْتَ تَسْتَشُرُ ثُقَلاً، وَصَعُوبَةً فِي الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ التِّي ذُكِرْتَهَا لَكَ؛ فَإِنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ وَإِكْرَامِهِ لَهُمْ سُبْحَانَهُ أَنْ هِيَ لَهُمْ فَرَضًا وَمَنَاسِبٌ فِي أَيَّامِ زَمَانِهِمْ يَكُونُ الْوَصْولُ فِيهَا أَسْهَلُ وَتَصْبِحُ الْإِعَانَاتُ مُجَانِيَّةً لِلْجَمِيعِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: «**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ أَيْتَلَ وَأَنْهَارَ خَلْفَهُ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَكَبَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا**» [الفرقان: ٦٢]، فَهُنَاكَ موَاصِمٌ وَمَنَاسِبٌ يَكُونُ الْوَصْولُ وَالدُّخُولُ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي هَذِهِ الْمَوَاصِمِ بِمَوَاهِبٍ وَهَدَايَا وَلَطَائِفٍ فِي يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةً بِلَمْحَةٍ خَاطِفَةٍ مِنْ خَفَايَا لَطْفِهِ سُبْحَانَهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ فِي أَيَّامِ الدَّهْرِ نَفْحَاتٍ فَتَعْرَضُوا لَهَا فَلَعْلَ أَحَدُكُمْ تُصْبِيَهُ نَفْحَةً فَلَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا»^(١).

مِنْ هَذِهِ الْمَوَاصِمِ شَهْرُ رَمَضَانَ الْمُعْظَمُ، أَنْعَمُ وَأَكْرَمُ، بِيَوْمٍ وَاحِدٍ مِنْهُ.

فِي أُولَى لَيْلَاتِ رَمَضَانَ تُصَفَّدُ الشَّيَاطِينُ، وَتَغْلِقُ أَبْوَابُ النَّيْرَانِ، وَتَفْتَحُ أَبْوَابَ الْجَنَانِ، وَيَأْتِي الْمَدْدُ مِنَ اللَّهِ الرَّحْمَنِ، بَأْنَ يَأْمُرَ مَنَادِيًّا يَنْادِي: يَا باغِي الْخَيْرِ أَقْبِلُ وَيَا باغِي الشَّرِ أَقْصِرُ، فَإِذَا بِكَ تَرَى الْإِسْتِجَابَةَ السَّرِيعَةَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، الْمَسَاجِدُ امْتَلَأَتْ بِالْمُصْلِينَ، وَسَمِعْتُمْ مِنْ التَّوَافِدِ وَالْأَبْوَابِ صَوْتَ الْأَذَانِ وَالْقُرْآنِ، كَثُرَتِ الصَّدَقَاتُ، وَتَنَوَّلَتِ الْمَصَاحِفُ، وَتَنَافَسَ الْأَئِمَّةُ فِي خَتَامِ الْقُرْآنِ، يَا باغِي الْخَيْرِ أَقْبِلُ، وَيَا باغِي الشَّرِ أَقْصِرُ.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانيُّ (١٩ / ٢٣٣)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ (١٨٩٠) فِي «السَّلِسْلَةِ الصَّحِيحَةِ».

فإذا بك في ساعة واحدة بمجرد رؤية الهلال ترى ثورة شاملة في حياة المجتمع كله ، وتغييرا عميقا على كل صعيد .

* يا باجي الخير أقبل *

فرصة ثمينة نادرة فيها الرحمة والمغفرة ودعاهما متيسرا ، والأعون عليها كثيرون ، وعوامل الفساد محدودة ومردة الشياطين مصفدون ، ولله عتقاء في كل ليلة ، وأبواب الجنة مفتوحة ، وأبواب النيران مغلقة ، فمن لم تنله الرحمة مع كل ذلك فمتى تناهه إذن ؟ ، ولا يهلك على الله إلا هالك ، ومن لم يكن أهلا للمغفرة في هذا الموسم ففي أي وقت يتأهل لها ، ومن خاض البحر اللجاج ولم يظهر فماذا يظهره ؟ !

إذا الروض أمسى مجدبها في ربيعه قفي أي حين يستثير ويختصب
وقد وضعت هذا الكتاب بين يديك إعانا على الطاعة ، وتحذيرًا من الغفلة ،
فاغتنم ما فيه واستعن بالله وأعن غيرك ، ولن أعدم منك دعوة صالحة بظاهر
الغيب كل ليلة من رمضان ، أستودعكم الله ، وأنا أحبكم في الله .

وكتب

أبو العلاء

محمد بن حسين آل يعقوب
عفا الله عنه وغفر له ولوالديه وزوجاته وأولاده
وال المسلمين وال المسلمات

القاهرة : ليلة الجمعة ، السابع والعشرون من رجب ١٤٢٦ هـ

٢٠٠٥/٩/١

فِصْنَانُ الْمُضَانِ

الْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ
وَرُصُّ لَا تَعُوْضُ

فضائل رمضان .. وفرص لا تعوض

الحمد لله اللطيف الرءوف العظيم المنان ، الكبير القدير الملك الديان ،
الغني العلي القوي السلطان ، الحليم الكريم الرحيم الرحمن ، الأول فالسبق
لسبقه ، المنعم فما قام مخلوق بحقه ، الموالي بفضله على جميع خلقه بشرائف
المنائح على توالي الزمان ، ﴿فَيَأْتِيَ مَا لَأَنْتَ رَبِّكُمَا تَكْذِبُونَ﴾ .

جل عن شريك ولد ، وعز عن الاحتياج إلى أحد ، وتقدس عن نظير
وانفرد ، وعلم ما يكون وأوجد ما كان ، ﴿فَيَأْتِيَ مَا لَأَنْتَ رَبِّكُمَا تَكْذِبُونَ﴾ .

أنشأ المخلوقات بحكمته وصنعها ، وفرق الأشياء بقدرته وجمعها ، ودحى
الأرض على الماء وأوسعها ، ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْبَرَزَانَ﴾ .

سالت الجوامد لهيته ولانت ، وذلت الصعب لسلطته وهانت ، وإذا بطش
﴿أَنْشَقَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرَدَةً كَالْدِهَانِ﴾ .

* للبيان *

يعز ويذل ، ويُقرئ يعني ، ويُسعد ويُشقي ، ويُبقي ويُفني ، ويُشين ويُزين ،
ويُنقض ويُبني ، ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَاءٍ﴾ .

قدر التقدير فلا راد لحكمه ، وعلم سر العبد وباطن عزمه ، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ
أَنْتَ وَلَا تَضْعُمُ إِلَّا يُعْلَمُه﴾ ، ولا ينتقل قدم من مكان ، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ
عَلَمَهُ الْبَيَانَ﴾ .

مَدَ الأرض فأوسعها بقدرته ، وأجرى فيها أنهارها بصنعته ، وصاغ ألوان
نباته بحكمته ، فمن يقدر على صبغ تلك الألوان ، ﴿وَالْحَثُّ ذُو الْعَصْفِ

وَالرَّحَانُ)، ثبّتها بالجبال الرواسي في نواحيها، وأرسل السحاب بمياه تُحْيِيها، وقضى بالفناء على جميع ساكنيها، (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٌ).

من خدمه طامعاً في فضله نال ، ومن لجا إلية في رفع كربه زال ، ومن عامله أربحه وقد قال : «مَلِ جَرَاءُ الْأَخْسَنِ إِلَّا الْأَخْسَنُ» .

* للبيانه *

إِلَهٌ يُثِيبُ عَبادَهُ وَيُعَاقِبُ، وَيَهْبِطُ الْفَضَائِلَ وَيَمْنَحُ الْمَنَافِعَ، فَالْفَوْزُ لِلْمُتَقِيِّ
وَالْعَزُّ لِلْمَرَاقبِ، «وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّانِ». .

أنعم على الأمة بتمام إحسانه ، وعاد عليها بفضله وامتنانه ، وجعل شهراً هذا مخصوصاً بعميم غفرانه ، **«شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن»** .

أحمده على ما خصّنا فيه من الصيام والقيام، وأشكره على بلوغ الآمال
وسبيع الإنعام، وأشهد أنه الذي لا تحيط به العقول والأذهان **﴿يَتَلَمَّعُ مَنْ فِي**
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَاءِنَ﴾.

وأن محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل خلقه وبريته ، المقدم على الأنبياء ببقاء معجزته ، الذي انشق ليلة ولادته الإيوان ، فَإِنَّمَا إِلَّا مَا رَبَّكُمَا تُكَذِّبُونَ .

وعلی أبي بکر رفیقہ فی الغار ، وعلی عمر فاتح الامصار ، وعلی شہید الدار عثمان ، وعلی علی کاشف غمہ سید الشجعان ، **«نَزَّكَ أَتْمَ رَيْنَکَ ذِی الْجَلَلِ** **وَالْأَکْرَبِ»** ۴۷

اخو تاه

جاء شهر الصيام بالبركات ، فأكرم به من زائرٍ هو آت ، كان النبي ﷺ يبشر أصحابه بقدوم رمضان ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يبشر أصحابه يقول : « قد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك كتب الله عليكم

صيامه، فيه تفتح أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم»^(١).

قال بعض العلماء: هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضاً بشهر رمضان، وكيف لا يبشر المؤمن بفتح أبواب الجنان؟!، كيف لا يبشر المذنب بغلق أبواب النيران؟!، كيف لا يبشر العاقل بوقت تغل فيه الشياطين؟!، فمن أين يشبه هذا الزمان زمان!!، وكان بعض السلف يدعوا ببلوغ رمضان، فكان إذا دخل رجب يقول: «اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان».

إخوته ..

جاء رمضان بما فيه من خير وبركة.. جاء رمضان يحمل البشرىات للعاملين.. ويبيح بطريق أيامه قلوب المتقين.. جاء رمضان فرصة للعبادين.. جاء رمضان ليغسل ذنوب التائبين النادمين.. جاء ليرفع في الجنة درجات المحبين الصادقين.. جاء رمضان إخوته فهل من مشمر؟!.. جاء رمضان فإليكم بعض مناقبه؛ لعلكم تقدرون الضيف قدره، لعلكم تعرفون مكاناته وفضله :

أولاً : رمضان هو الشهر الذي اختاره الله واصطفاه ليكون ميقاتاً لتزول كتبه ورسالاته، فهو شهر الصلة بين الأرض والسماء، ينزل الله فيه كلامه، ويخاطب فيه خلقه، ويبيث فيه نوره، ويوحى فيه إلى صفوة عباده، فأعظم به من شهر، سببُ الخير، ومنبعُ النور، ومنطلقُ الرحمة، ومهبطُ البركة من السماء إلى الأرض، فعن واثلة بن الأشعى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان،

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٠/٢)، وصححه شعيب الأرناؤوط (٧١٤٨).

وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة ممضت من رمضان ، وأنزل الزبور لثمان عشر خلت من رمضان ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان»^(١) .

واختصه الله بصفة أخص بتنزول أعظم كتاب لأعظم أمة ، اختصه من بين الشهور بذلك فقال جل جلاله : «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبِيَتَنَزَّلُ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ» [البقرة: ١٨٥] ، فالقرآن العظيم الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور نزل في هذا الشهر العظيم الفضيل ، فهل بعد هذه منقبة ؟ !

ثانياً : قال رسول الله ﷺ : «قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به^(٢) ، استأثر الله سبحانه وتعالى بالصيام لنفسه سبحانه من بين سائر الأعمال ، ولهذا قال بعد ذلك : «إنه إنما ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلني» .

قال ابن عبد البر : كفى بقوله : «الصوم لي» فضلاً للصيام على سائر العبادات ، وقد اختلف العلماء في المراد بقوله تعالى : «الصوم لي وأنا أجزي به» ، مع أن الأعمال كلها له ، وهو الذي يجزي بها ، على أقوال : أحدها : أن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره ، قال القرطبي : لما كانت الأعمال يدخلها الرياء ، والصوم لا يطلع عليه بمجرد فعله إلا الله ، فأضافه إلى نفسه .

وقال أبو عبيد في غريبه : قد علمنا أن أعمال البر كلها لله وهو الذي يجزي بها ، فنرى والله أعلم أنه إنما خص الصيام ؛ لأنه ليس يظهر من ابن آدم بفعله وإنما هو شيء في القلب ؛ وذلك لأن الأعمال لا تكون إلا بالحركات ، إلا الصوم فإنما هو بالنية التي تخفي على الناس .

(١) أخرجه أحمد (٤/١٠٧) ، وحسنه الألباني (١٥٠٩) في « صحيح الجامع » .

(٢) متفق عليه ، أخرجه البخاري (١٨٥٠) ، مسلم (١١٥١) .

وكما هو معلوم أن كل ما تُسب إلى الله عز وجل نال شرفاً بذلك فهو أشرف الأمور، فتُنسب الله تعالى الكعبة إلى نفسه وهي أشرف الأماكن على الإطلاق، وتنسب لنفسه شهر المحرم؛ فقال رسول الله ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان صوم شهر الله المحرم»^(١)، وتنسب لنفسه الصوم فدل ذلك على أنه من أفضل الأعمال.

قال الحافظ ابن رجب - عليه رحمة الله تعالى : وقد كثر القول في معنى «الصوم لي» وذكروا فيه وجوهاً كثيرة ، ومن أحسن ما ذُكر فيه وجهان :

أحدّهما : أن الصيام هو مجرد ترك حظوظ النفس وشهواتها الأصلية التي جبلت على الميل إليها لله عز وجل ، ولا يوجد ذلك في عبادة أخرى غير الصيام؛ لأن الإحرام إنما يُترك فيه الجماع ودعائيه من الطيب دون سائر الشهوات من الأكل والشرب ، وكذلك الاعتكاف مع أنه تابع للصيام ، وأما الصلاة فإنه وإن ترك المصلي فيها جميع الشهوات إلا أن مدتها لا تطول ، فلا يجد المصلي فقد الطعام والشراب في صلاته ، بل قد ثني أن يُصلِّي ونفسه تتّوّق إلى طعام بحضرته حتى يتناول منه ما يُسْكُن نفسه؛ ولهذا أمر بتقديم العشاء على الصلاة.

وهذا بخلاف الصيام؛ فإنه يستوعب النهار كله ، فيجد الصائم فقد هذه الشهوات ، وتتّوّق نفسه إليها خصوصاً في نهار الصيف لشدة حرّه وطوله؛ ولهذا روي أن من خصال الإيمان الصوم في الصيف ، وقد كان رسول الله ﷺ يصوم رمضان في السفر في شدة الحر دون أصحابه ، كما قال أبو الدرداء : كنا مع النبي ﷺ في رمضان في سفر ، وأحدنا يضع يده على رأسه من شدة الحر

(١) أخرجه : مسلم (١١٦٣).

وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة ، وفي الموطأ أنه ﷺ كان بالغُرَج يُصْبِّي الماء على رأسه وهو صائم من العطش أو الحر .

فإذا اشتد تَوْقَانُ النَّفْسِ إِلَى مَا تَشْتَهِيهِ مَعَ قَدْرِهَا عَلَيْهِ ثُمَّ تَرَكَتْهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَوْضِعٍ لَا يَطْلُعُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ ، كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى صَحَّةِ الإِيمَانِ ، فَإِنَّ الصَّائِمَ يَعْلَمُ أَنَّ لَهُ رِبًّا يَطْلُعُ عَلَيْهِ فِي خَلْوَتِهِ ، وَقَدْ حَرَمَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَنَاهُ شَهْوَاتِهِ الْمُجْبُولَ عَلَى الْمَيْلِ إِلَيْهَا فِي الْخَلْوَةِ ، فَأَطْاعَ رَبَّهُ وَامْتَلَأَ أَمْرَهُ وَاجْتَنَبَ نَهْيَهُ ، خَوْفًا مِّنْ عَقَابِهِ وَرَغْبَةً فِي ثَوَابِهِ ، فَشَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى لِهِ ذَلِكَ ، وَاحْتَصَنَ لَنْفَسَهُ عَمَلَهُ هَذَا مِنْ بَيْنِ سَائِرِ أَعْمَالِهِ؛ وَلَهُذَا قَالَ سَبَّحَانَهُ بَعْدَ ذَلِكَ : «إِنَّمَا تَرَكَ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي» .

قال بعض السلف : طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يره .

لما علم المؤمن الصائم أن رضا مولاه في ترك شهواته قدّم رضا مولاه على هواه ، فصارت لذته في ترك شهوته لله لإيمانه باطلاع الله عليه ، وإيمانه بثوابه وعقابه ، فصار ذلك أعظم من لذته في تناول شهوته في الخلوة إيثاراً لرضا ربه على هوئ نفسه ، بل المؤمن يكره ذلك في خلوته أشد من كراحته لألم الضرب ، ولهذا تجد كثيراً من المؤمنين لو ضُرب على أن يفطر في شهر رمضان لغير عذر لم يفعل ؛ لعلمه كراهة الله لفطراه في هذا الشهر .

وهذا من علامات الإيمان ، أن يكره المؤمن ما يلائم من شهواته إذا علم أن الله يكرهه ، فتصير لذته فيما يرضي مولاه ، وإن كان مخالفًا لهواه ، ويكون ألمه فيما يكرهه مولاً ، وإن كان موافقًا لهواه ، إذا كان هذا فيما حرم لعارض الصوم من الطعام والشراب ومباعدة النساء ؛ فينبغي أن يتتأكد ذلك فيما حرم على الإطلاق ، كالزناء وشرب الخمر وأخذ الأموال أو الأعراض بغير حق ، وسفك الدماء المحرمة ؛ فإن هذا يُسْخِطُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَفِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ .

فإذا كُمِلَ إيمان المؤمن كره ذلك كله أعظم من كراهته للقتل والضرب؛ ولهذا جعل النبي ﷺ من علامات وجود حلاوة الإيمان: «أن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار»^(١)، وقال الله سبحانه وتعالى عن يوسف عليه السلام: «فَقَالَ رَبِّ الْيَسِيجُونَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ مَا يَدْعُونَكَ إِلَيْهِ» [يوسف: ٣٣].

سئل ذو النون المصري : متى أحب ربِّي؟ قال : إذا كان ما يكرهه أمرٌ عندك من الصبر ، وقال غيره : ليس من أعلام المحبة أن تحب ما يكرهه حبيبك ، وكثير من الناس يمشي على العوائد دون ما يوجبه الإيمان ويقتضيه ؛ فلهذا كثير منهم لو ضرب ما أفتر في رمضان لغير عذر ، ومن الجهال من لا يفتر لعذر ولو تضرر بالصوم جريأا على العادة ، مع أن الله يحب منه أن يقبل رخصته ، وقد اعتاد مع ذلك ما حرم الله من الزنا وشرب الخمر وأخذ الأموال والأعراض أو الدماء بغير حق ، فهذا يجري على عوائده في ذلك كله ، لا على مقتضى الإيمان .

ومن عمل بمقتضى الإيمان صارت لذته في مصايرة نفسه عما تميل نفسه إليه إذا كان فيه سخط الله ، وربما يرتقي إلى أن يكره جميع ما يكرهه الله منه ، وينفر منه وإن كان ملائماً للنفوس كما قيل :

إِنْ كَانَ رَضَاكُمْ فِي سَهْرِيٍ فَسَلَامُ اللَّهِ عَلَى وَسَنِيٍ
وقال آخر :

عذابه فيك عذب	ويفدء نبك قرب
وأنك عندك كروحي	بل أنت منها أحب
حسبي من الحب أني	لما تحب أحب

(١) متفق عليه ، البخاري (٥٦٩٤) ، ومسلم (٤٣) .

الوجه الثاني : أن الصيام سرٌ بين العبد وربه لا يطلع عليه غيره؛ لأنه مركب من نية باطنة، لا يطلع عليها إلا الله، وتزكٌ لتناول الشهوات التي يُستَخْفَى بتناولها في العادة؛ ولذلك قيل: لا تكتبه الحفظة، وقيل: إنه ليس فيه رباء، فإن من ترك ما تدعوه نفسه إليه الله عز وجل حيث لا يطلع عليه غير من أمره. أو نهاء؟ دل ذلك على صحة إيمانه.

والله تعالى يحب من عباده أن يعاملوه سرًا بينهم وبينه، وأهل محبته يحبون أن يعاملوه سرًا بينهم وبينه، بحيث لا يطلع على معاملتهم إيه سواه؛ حتى كان بعضهم يود لو تمكّن من عبادة لا تشعر بها الملائكة الحفظة. وقال بعضهم لما أطلع على بعض سرائره، إنما كانت تطيب الحياة لـما كانت المعاملة بيني وبينه سرًا، ثم دعا لنفسه بالموت، فمات.

المحبون يغدون من اطلاع الأغيار على الأسرار التي بينهم وبين من يحبهم
ويعبونه.

وقوله: «ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجيلى»، فيه إشارة إلى المعنى الذي ذكرناه، وأن الصائم يتقرب إلى الله بترك ما تشتهيه نفسه من الطعام والشراب والنكاح، وهذه أعظم شهوات النفس، وفي التقرب بترك هذه الشهوات بالصيام فوائد منها:

(أ) كسر النفس؛ فإن الشبع والرُّي ومباشرة النساء تحمل النفس على الأشر والبغطر والغفلة.

(ب) تخلٍّي القلب للفكر والذكر؛ فإن تناول هذه الشهوات قد تُقسِّي القلب وتعيمه، وتحول بين العبد وبين الذكر والفكر، وتستدعي الغفلة.

وخلو الباطن من الطعام والشراب ينور القلب ويوجب رقته ويزيل قسوته ويخليه للذكر والتفكير.

(ج) أن الغني يعرف قدر سعة الله عليه؛ بإقداره له على ما منعه كثيراً من القراء من فضول الطعام والشراب والنكاح؛ فإنه بامتناعه من ذلك في وقت مخصوص، وحصول المشقة له بذلك يتذكر به من منع من ذلك على الإطلاق؛ فيوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنى، ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك.

(د) أن الصيام يضيق مجاري الدم التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم، فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فتشتت بالصيام وساوس الشيطان، وتنكسر سورة الشهوة والغضب؛ ولهذا جعل النبي ﷺ الصوم وجاء؛ لقطعه شهوة النكاح.

إشارة مهمة :

واعلم أنه لا يتم التقرب إلى الله تعالى بترك هذه الشهوات المباحة في غير حالة الصيام إلا بعد التقرب إليه بترك ما حرم في كل حال، من الكذب، والظلم، والعدوان على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «من لم يدع قول الزور، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»^(١)، في حديث آخر: «ليس الصيام من الطعام والشراب؛ إنما الصيام من اللغو والرفث»^(٢)، وقال بعض السلف: أهون الصيام ترك الشراب والطعام، وقال جابر: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، ول يكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء، وقال النبي ﷺ: «رَبُّ صائم حَظَّهُ من الصيام الجوع والعطش، ورَبُّ قائم حَظَّهُ من القيام السهر»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (١٨٠٤).

(٢) أخرجه ابن خزيمة (٢٤٢/٢)، وصححه الألباني (٥٣٧٦) في « صحيح الجامع ».

(٣) أحمد (٣٧٣/٢)، وصححه الألباني (٧٥٩) في « صحيح الجامع ».

وسيزء هذا : أن التقرب إلى الله تعالى بترك المباحات لا يكمل إلا بعد التقرب إليه بترك المحرمات ، فمن ارتكب المحرمات ثم تقرب إلى الله تعالى بترك المباحات كان بمثابة من يترك الفرائض ويقترب بالنواقل ، وإن كان صومه مجزئاً عند الجمهور بحيث لا يؤمر بإعادته ؛ لأن العمل إنما يبطل بارتكاب ما نهى عنه فيه لخصوصه دون ارتكاب ما نهى عنه لغير معنى يختص به » اهـ كلام ابن رجب .

ولهذا المعنى والله أعلم ورد في القرآن بعد ذكر تحريم الطعام والشراب على الصائم بالنهار ، ذكر تحريم أكل أموال الناس بالباطل ، فإن تحريم هذا عام في كل زمان ومكان بخلاف الطعام والشراب ، فكان إشارة إلى أنَّ من امتنع أمر الله تعالى في اجتناب الطعام والشراب في نهار صومه ، فليتمثل أمره في اجتناب أكل أموال الناس بالباطل فإنه محرم على كل حال ، لا يُباح في وقت من الأوقات .

ثالثاً : المنقبة الثالثة من مناقب رمضان : فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر ، هذه من بركات الله سبحانه ورحمة وإكرامه لهذه الأمة فنحن أمة مرحومة ، لِمَا كانت هذه الأمة تتراوح أعمارها بين الستين والسبعين وقليلٌ منهم من يجاوز ذلك ، أعطاها الله البركة في الأعمال ، فالحسنة بعشر أمثالها ، وقراءة حرف من القرآن بعشر حسنتين ، وليلة القدر في رمضان خير من ألف شهر .. هل تأملت هذا المعنى : خيرٌ من ألف شهر ؟ ! ، فوالله لا يُحرِّم خيرَها إلا محروم مخدول ، وقيامتها فيه غفران ما تقدم من الذنوب ؛ فيالها من نعمة على المؤمنين سابعة .

تأمل معى : أنك لو قمت ثلاثة أو أربعين ليلة قدر ، كل ليلة ببعض وثمانين سنة ؛ لصار عمرك أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، سبحان الملك !! ، اللهم زدنا من بركاتك ، اللهم وفقنا لقيام ليلة القدر ولا تخربنا أجرها .

رابعاً : تُفتح فيه أبواب الجنة وتُغلق فيه أبواب النار .. أخي في الله .. حبيبي في الله .. هل استشعرت هذا المعنى أيضاً : أن أبواب الجنة تكون مفتوحة لطلابها وتُغلق فيه أبواب الجحيم ، وليس هذه المَنْقَبَة لشهر آخر من الشهور ، فاعرف شرف الشهر العظيم .. ولست أدرِي إن لم تدخل الجنة وهي مفتوحة الأبواب متى تدخلها؟ ، وإذا كنت لا تنصرف عن النار وهي موصدة الأبواب ، وترجع راغباً عنها فمتى تنصرف؟! .. عفا الله عنك وعنك .

خامساً : في رمضان سلسل الشياطين .. تُغلق مردة الجن .. تصير فيه الشياطين مكبلة مقيدة تثبتها الأغلال وتعرقها القيود ، وكل هذا لتنطلق النفس حرّة طليقة في أجواء العبودية لله جل جلاله ، فماذا يمنعك من أن تكون رجلاً بذولاً فيه للخير وقد قيدت الشياطين؟!

هكذا أزيلت حجتك ، وأبطلت أعذارك ، وأزيلت معوقاتك ؛ فلا شيطان يوسوس لك ، ولا مارداً يحاربك ويحجبك ؛ إنما هي نفسك الأمارة وتسويلها بالسوء ، أقبل وتخلس من سلطانها ، كفانا الله وإياك شرها .

سادساً : قال رسول الله ﷺ «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وينادي منادٍ : يا باغي الشر أقبل ، ويا باغي الشر أقصر»^(١) .. من أراد الطاعة في هذا الشهر الكريم فسيلها سهلٌ ميسور ، فأقبل بكل عزيمتك .. بادر بكل أشواقك .. ومن أراد معصية الله في هذا الشهر نودي : كُفَّ عن عصيانك واحذر .. يا باهي الشر أقبل .. فإنك معانٌ موفق ملدد ..

ويا باهي الشر أقصر .. فإنك مخدول مكروه منبوذ مطرود ..

(١) أخرجه الترمذى (٦٨٢) ، وصححه الألبانى (٧٥٩) في « صحيح الجامع » .

سابعاً : جماعية الطاعة في رمضان تبعث في النفس نشاطاً وثباتاً ؛ فالناس كلهم صائمون ، ويجتمعون في صلاة التراويح ، والنفس من عادتها أنها تنشط عند المشاركة وتتغير بالكثرة الكاثرة ؛ ولذلك ثبتت كعب بن مالك رضي الله عنه عنه في قصة توبته بعدهما ضغط عليه أهله حتى كاد يعود فتُكذب نفسه ، ثبتت لما علم برجلين صالحين شهدا بدرأاً أصابهم ما أصابه ، وكذلك قال موسى عليه السلام : ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِ هَذِهِ أَرْضٍ أَشَدُّ يَهْدِيهِ أَرْزِي وَأَشَرِكْهُ فِي أَمْرِي كَمَا سَعَكَ كَثِيرًا وَذَكَرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه: ٣٤-٢٩] ، هكذا يشتد أزرك في العبادة بكثرة المشاركين لك فيها ، فانطلق واعبد وستجد لك أعواناً ومحبين ، فستفيد وستفاد منك .

ولذلك يعتبر رمضان ثورة عبادية شاملة ، فتجد من بركته إقبال الناس على الخير .. ويبحث الناس عن الخير .. تميل القلوب إلى الدين .. وتقرب نحو المساجد ، في دعاء الإسلام .. يا ورثة الأنبياء هذه فرصتكم فاغتنموها .. لا تضيعوا هذه الفرصة من أيديكم ودلوا الناس على الله .. عرفوا الناس دينهم ، فإنهم في هذا الشهر مهيئون للاستجابة السريعة ؛ فاغتنم دعوتهم واكسب أجرهم ..

ثامناً : في رمضان تجتمع أمهات الطاعات .. فالصلوة والصيام وزكاة الفطر فيه فرائض واجبة ، ثم هناك تلاوة القرآن .. والذكر .. والدعاء .. والصدقة .. والعمرة .. وإطعام الطعام .. من المستحبات المؤكدة ، وحصول هذه الطاعات وغيرها في هذا الشهر يجعله بمثابة توبة أمة ؛ ولكن أين المشمرون لاستغلال الفرص ؟ !

تاسعاً : في رمضان أسباب كثيرة لغفران الذنوب والعتق من النار ، قال

رسول الله ﷺ : «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(١) ،
وقال ﷺ : «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٢) ، وقال
ﷺ : «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٣).

خذ هذه الغنية الباردة ثلاثة فرص في شهر المغفرة ما تقدم من ذنبك .

ثلاث فرص لتطهر من ماضيك وتبدأ صفحة جديدة على بياض .

يالها من فرصة لو كنت رجلاً ..

هاشراً : ثم أيضاً فرصة لتدخل في زمرة الأكابر ، جاء رجل إلى النبي ﷺ
فقال : يا رسول الله ، أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ،
وصلیت الصلوات الخمس ، وأدیت الزکاة ، وصممت رمضان وقمته ، فممن
أنا؟ ، قال رسول الله ﷺ : «من الصدّيقين والشهداء»^(٤) ، سبحان الملك ! ،
أمّاك فرصة لتكون ممن قال الله فيهم : «وَحَسْنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» [النساء:
٦٩] ، سبحان الله العظيم ! ، غنيمة والله باردة ، وفرص والله لا تُغَضَّب ،
سبحان الملك ! ، كم فرصة في الشهر للمغفرة والعتق ، بل كم فرصة كل ليلة ،
حقاً يا ولية من فاتته تلك الفرص أو أضاعها .

وعن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : «أتاني جبريل فقال :
يا محمد ، من أدرك أحد والديه فمات فدخل النار فأبعده الله ، قل : آمين ،
فقلت : آمين ، قال : يا محمد ، من أدرك شهر رمضان فمات ولم يغفر الله

(١) متفق عليه ، البخاري (٣٨) ، ومسلم (٧٦٠) .

(٢) متفق عليه ، البخاري (٣٧) ، ومسلم (٧٥٩) .

(٣) متفق عليه ، البخاري (٣٥) ، ومسلم (٧٦٠) .

(٤) أخرجه ابن حبان (٢٢٣/٨) ، وصححه الألباني (٩٩٣) في « صحيح الترغيب
والترهيب » .

فدخل النار فأبعده الله ، قل : أمين ، فقلت : أمين ، قال : ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله ، قل : أمين ، فقلت : أمين^(١).

الحادي عشر : سُنّة الاعتكاف في رمضان تعد بمثابة غرفة عناية مركزة ، لاستئصال سرطان الذنوب من القلوب .. تعتبر بيضة معقمة بعيدة عن شوائب الدنيا وأدرانها ، وكان حبيبا ونبيا محمد ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان ، وفي العام الذي ثُوقي فيه اعتكاف عشرين يوما ، ولما فاته الاعتكاف مرة قضاه فاعتكف العشر الأول من Shawwal ، وفعله هذا يُنبئك عن أهمية هذه العبادة ، وحرصه ﷺ عليها يدفعك لأن تحرض عليها .

وفي الاعتكاف خلوة ، وقطع التعلق بالبشر ، والتخلص من سموات المخالطة ، وفوائد أخرى عظيمة منها جمع الهم على الله ، وجع شمل القلب بعد تشتته ، وتغيير الطباع البشرية في العادات من الأكل والشرب والنوم ، وقضاء الحاجة والوجوه المخالطة ، وفي كل هذا فوائد نفيسة لمن استحضرها واستجمعها واستفاد منها فأقبل ، واستعن بالله ولا تعجز ، اعتكف ولا تهمل ، أخسر شيئاً من الدنيا واكتسب الآخرة ، واعلم أن كل هذه الطاعات والعبادات سبيل لنزول رحمة الله جل جلاله ، فتعرّض لرحمة الله عساك أن ترحم ، اللهم ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

الثاني عشر : لله في كل ليلة من هذا الشهر عتقاء من النار ؛ فكن منهم تسع في الدنيا والآخرة ، قال رسول الله ﷺ : «للله عند كل فطر عتقاء»^(٢) .

أخي الحبيب .. هل تعرف معنى هذه الجملة ؟ (اللهم أعتق رقابنا من النار) ب رغم أنها تتكرر كثيراً على الألسنة ، إلا أنها لم تتدبر معناها جيداً كما

(١) أخرجه ابن حبان (٤٠٩) ، وصححه الألباني (٧٥) في « صحيح الجامع ».

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٦/٥) ، وصححه الألباني (٢١٧٠) في « صحيح الجامع ».

يُنْبَغِي ، لَكَ أَنْ تَتَصَوَّرَ فِي مَعْنَى الْعَقْدِ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : «يَوْمٌ يَقُولُ الْمُتَّفَقُونَ وَالْمُتَّفَقُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنَظَرْنَا نَقِيسَنَ مِنْ نُورِكُمْ قَبْلَ أَنْجُومَا وَرَدَّلَكُمْ فَالْتَّسِيسَا نُورًا فَضَرَبَ بَيْنَهُمْ إِسْوَرٌ لَهُ بَابٌ بِإِطْلَاعِهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ۝ يَنَادُهُنَّمْ أَنَّمَا تَكُونُ مَعَكُمْ قَاتِلُوا بَنِي وَلَكِنَّكُمْ فَنَتَرْتُ أَنْفُسَكُمْ وَرَعَشَتِمْ وَأَرْتَبَتُمْ وَعَرَّكُمْ الْأَمَانُ حَتَّى جَاءَهُ أَمْرُ اللَّهِ وَعَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَدُكُمْ وَبَيْسَنَ التَّصِيرِ» [الْحَدِيد: ۱۵-۱۳].

ركز جيداً على قوله تعالى: «مَأْوِنُكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَانُكُمْ وَيَسُرُّ الْمُصَدِّرِ»،
تفهم حيث إن العتق هو الخروج من هذه الولاية ، إلا تكون النار مولاك ، وفي
الآيات الأخرى : «أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» ، فالعتق:
التخلّي عن هذا الملك ، ملكية النار للإنسان ، سبحانه الملك العظيم ، أدركت
الخطر المدّ لهم الذي تنجو منه بالعتق ، اللهم اعْتَقْ رقابنا من النار .. اللهم
اجعلنا من عتقائك من النار ومن المرحومين ، هذه فرصة عظيمة في هذا
الشهر ، فكاكك من النار .

الثالث عشر : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ لِلَّهِ عَتْقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلِيلَةَ لِكُلِّ عَبْدٍ مِنْهُمْ دُعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ»^(۱) ، وقال رسول الله ﷺ : «ثَلَاثَ لَا تُرَدُّ دُعَوْتُهُمْ وَذَكْرُهُمْ «الصَّائِمُ حَتَّى يَفْطَرُ»^(۲) ، أَخِي : هَلْ لَكَ إِلَى اللَّهِ حَاجَةٌ؟

أبشر .. مسموح لك في ثلاثة حاجة ، سبحان الله العظيم ! ، كم يشتكي الإنسان أشياء تُقضى بدعوة عند الإفطار لأن قبل الأفطار في آخر النهار يكون الإنسان في أحسن حالات استشعار الانكسار ، وإظهار الافتقار ، ومدّ يد الفراغة ، وبظهور الذل وال الحاجة ، يستجيب الله دعاء الصائم المسكين .

(١) أخرجه أحمد (٢٥٤/٢)، وصححه الألباني (١٦٩) في «صحيح الجامع».

(٢) أخرجه أحمد (٢/٣٠٤)، وصححه الألباني (٣٠٣٠) في «صحيح الجامع».

اغتنم الفرصة واستعد قبل الغروب بتجهيز كشف المطالب والتبرؤ من العيوب ، واجعل لنا نصيباً في دعائك أليها الحبيب المحبوب ، ولا تنس أن تجعل من دعائك دعاء للأمة جميعاً أن يفرج الله عنها جميع الكروب .

الرابع عشر : الصيام يشفع لأهله يوم القيمة ، قال رسول الله ﷺ : «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيمة** ، يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن : أي رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه ؛ فيشفعان»^(١) ، يقول الله تعالى : «**هَتَّأْتُكُمْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ جَنَاحَتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَسِيلًا**» [النساء : ١٠٩] ، يحتاج الإنسان يوم القيمة إلى وكيل يدافع عنه ، وشفيع يشفع له في مدلهمات هذا اليوم العظيم ، فإذا وجد هذا الشفيع المُشَفِّع كانت قمة السعادة ، فاحرص أن يعرفك الصيام ويرفعك رمضان ، ويرفعك القرآن ، ويرفعك الرسول ﷺ ؛ فيجتمع لك الشفاء ، فتكون النجاة بفضل الله .

الخامس عشر : قوله ﷺ : «**لِلصائم فرحتان يفرجهما** : إذا أفتر فرح بفطره ، وإذا لقى ربه فرح بصومه»^(٢) ، وكم يشتهي الإنسان في هذا الزمان وسط الحزن والنكد ، والهم والألم فرحة شُعُّد قلبه ، وينشرح لها صدره ؛ فإذا به عند الإفطار يجد فرحة عظيمة بثها الله في قلبه ، فأما فرحة الصائم عند فطره ، فإن النفوس مجبوة على الميل إلى ما يلائمها من مطعم ومشروب ومنكح ، فإذا مُنِعَتْ من ذلك في وقت من الأوقات ، ثم أبى لها في وقت آخر ؛ فرحت بإباحة ما منعت منه ، خصوصاً عند اشتداد الحاجة إليه ؛ فإن النفوس تفرح بذلك طبعاً ، فإن كان ذلك محبوباً لله كان محبوباً شرعاً .

(١) أخرجه أحمد (١٧٤/٢) ، وصححه الألباني (٣٨٨٢) في صحيح الجامع .

(٢) أخرجه البخاري (١٨٠٥) .

وأما فرحته عند لقاء ربه فيما يجده عند الله من ثواب الصيام مُدَّخراً، فيجده أحوج ما كان إليه، كما قال الله تعالى : «وَمَا نَقْبَلُوا لَا فِسْكُرٌ مِّنْ حَيْثُ نَجِدُهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا» [المزمول : ٢٠]، وقال تعالى : «يَوْمَ تَبَعَّدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَيْلَتْ مِنْ حَيْثُ شَعَرَتْ» [آل عمران : ٣٠]، وقال سبحانه : «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» [الزلزلة : ٧]. ومن أهم مميزات الصيام أنه لا يحبط بالقصاص في أداء مظالم العباد.

قال سفيان بن عيينة - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - : فإذا كان يوم القيمة يحاسب الله عبده ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لا يبقى إلا الصوم ، فيتحمل الله عز وجل ما بقي عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة .

الصوم لله عز وجل ، فلا سبيل لأحد إلى أخذ أجرك من الصيام ، بل أجرك مُدَّخراً لك عند الله عز وجل ، وحيثند فقد يقال : إن سائر الأعمال قد يكفر بها ذنب صاحبها ، فلا يبقى لها أثر ، فإنه روي أنه يوازن يوم القيمة بين الحسنات والسيئات ويقتصر بعضها من بعض ، فإن بقي من الحسنات حسنة دخل بها صاحبها إلى الجنة ، فيحتمل أن يقال في الصوم : إنه لا يسقط ثوابه بمقاصة ولا غيرها ، بل يوفر أجراه لصاحبه حتى يدخل الجنة فيوفى أجراه فيها . قال سبحانه : «إِنَّمَا يُؤْمِنُ الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ يُغَيِّرُ حَسَابُهُ» [الزمر : ١٠] .

السادس عشر : رمضان شهر التقوى : قال ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ في «زاد المعاد» :

«لما كان المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات ، وفطامها عن المألهفات ، وتعديل قوتها الشهوانية لتسعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعمتها ، وقبول ما تزكي به مما فيه حياتها الأبدية ، ويكسر الجوع والظماء من جذبتها وسُورتها ، وينذرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين ، وتضيق مجاري الشيطان من العبد بتضيق مجاري الطعام والشراب ، وتحبس قوى الأعضاء عن

استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها في معاشرها ومعادها ، ويسكن كل عضو وكل قوة عن جاحه ، وتلجم بلجامه ، فهو لجام المتقين ، وجنة المحاربين ، ورياضة الأبرار والمقربين ، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال .

إذن الصائم لا يفعل شيئاً ، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده ، وهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إيثاراً لمحبة الله ومرضاته ، وهو سرُّ بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه ، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة ، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده ؛ فهو أمرٌ لا يطلع عليه بشر ، وذلك حقيقة الصوم .

وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة ، والقوى الباطنة ، وحميّتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة ، التي إذا استولت عليها أفسدتها ، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها ؛ فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها ، ويعيد إليها ما استلبتها منها أيدي الشهوات ، فهو من أكبر العون على التقوى كما قال الله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُنْتُمْ عَلَيْكُمْ أَقْيَامٌ كَمَا كُنْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا لَّمْ تَنَقُّنُ﴾** [البقرة: ١٨٣] « اه .

بعد هذا الكلام المتبين لابن القيم في ذكر أسرار الصيام ؛ علمت أن المقصود الأعظم من الصيام التقوى ، وهي الدرة المفقودة والغاية المنشودة ، وفرصتك في تحصيلها في هذا الشهر أعظم ؛ فبادر والله المستعان .

وقفة

بعد هذه الفوائد والمناقب والتحف والطائف لفضائل شهر رمضان

المعظم ؛ لابد من وقفه :

هل تحصيلها بمجرد ترك الطعام والشهوة من الفجر إلى المغرب أم أن لذلك شروطاً أخرى ؟

وهنا أقول لك - أيها الحبيب المحب - : إن حقيقة وسر الصيام المطلوب ليست أمراً شكلاً يُؤدي كيما اتفق؛ ولكن هناك أسرار لهذه العبادة العظيمة لابد من معرفتها وإتقانها علمًا وعملاً، ثم هناك مراتب للصائمين .. ليسوا سواء .. وإنما تتفاوت الأعمال بقدر ما تتفاوت الهمم وأحوال القلوب :

قال الحافظ ابن حجر : نقل ابن العربي عن بعض الزهاد أن الصوم على أربعة أنواع :

* صيام العوام : وهو الصوم عن الأكل والشرب والجماع .

* وصيام خواص العوام : وهو هذا مع اجتناب المحرمات من قول أو فعل .

* وصيام الخواص : وهو الصوم عن غير ذكر الله وعبادته .

* وصيام خواص الخواص : وهو الصوم عن غير الله ، فلا فطر لهم إلى يوم القيمة ، وهذا مقام عالي .

وقال ابن الجوزي : الصوم ثلاثة : صوم الروح وهو قصر الأمل ، وصوم العقل وهو مخالفة الهوى ، وصوم الجوارح وهو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع .

وقال : وما من جارحة في بدن الإنسان إلا ويلزمهها الصوم في رمضان وغير رمضان ، فصوم اللسان : ترك الكلام إلا في ذكر الله تعالى ، وصوم السمع : ترك الإصغاء إلى الباطل وإلى ما لا يحل سمعاه ، وصيام العينين : ترك النظر والغض عن محارم الله .

فيا أخي ..

يا من طالت غيبته عن الله أبشر .. أبشر يا من دامت خسارته طول العام ؛

فقد أقبلت التجارة الرابحة ، من لم يربح في رمضان متى يربح ، من لم يتبع فيه إلى مولاه ؛ فهو على بعديه لا يربح .

كم ينادى : حي على الفلاح وأنت خاسر ، كم تدعى إلى الصلاح وأنت على الفساد مثابر ، إذا رمضان أتي مقبلاً فأقبل بالخير يستقبل ، لعلك تحطّنه قابلاً وتأتي بعده فلا تقبل .

إخوتها .. من يضمن أن يعيش إلى رمضان ؟! ، كم من آمل أن يصوم هذا الشهر فخانه أمله ؛ فصار قبله إلى ظلمة القبر ! كم مستقبل يوماً لا يستكمله ، ومؤمل غداً لا يدركه !!
إخوتها ..

تالله لو قيل لأهل القبور تمنوا لتمنا يوماً من رمضان ..

قيل : الشهور الاثنا عشر كمثل أولاد يعقوب عليه السلام ، وشهر رمضان بين الشهور كيوسف بين إخوته ، فكما أن يوسف أحب الأولاد إلى يعقوب ، كذلك رمضان أحب الشهور إلى علام الغيوب .

إن كان في يوسف من الحلم والعفو ما غمر جفاهم حين قال : «لَا تَزِيدُ
عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ» [يوسف: ٩٢] ؛ ذلك شهر رمضان فيه من الرأفة والبركات
والنعمـة والخيرات ، والعتق من النار ، والغفران من الملك القهـار ، ما يغلـب
جميع الشهـور .

جاء إخوة يوسف معتمدين عليه في سد الخلـل ، وإزاحة العلل بعد أن كانوا
خطايا زلل ، فأحسن لهم الإنزال ، وأصلح لهم الأحوال ، وبلغـهم غـاية
الأمال ، وأطعمـهم في الجوع ، وأذن لهم في الرجـوع ، وقال لفتـيانـه : «أَجْعَلْنـا
يَصْنَعُنـهم فـي رـحـلـيم لـعـاهـم يـعـرـفـونـها» [يوسف: ٦٢] ، فـسد الواحـد خـلـلـ أحد عـشر ؟

كذلك رمضان واحد والشهر أحد عشر، وفي أعمالنا خلل وأي خلل، ويرجو العبد أن يتلافى في شهر رمضان ما فرط فيه فيسائر الشهور.

كان ليعقوب أحد عشر ولدا ذكوراً بين يديه حاضرين، ينظر إليهم ويراهם ويطلع على أحوالهم وما يبذلو من فعلهم، ولم يرتد بصره بشيء من ثيابهم، وارتد بقميص يوسف بصيراً، وصار بصره منيراً، فكذلك المذنب، إذا شم رواحة رمضان، وجلس فيه مع المذكورين وقراء القرآن، وصحبهم بشرط الإسلام والإيمان، وترك الغيبة والبهتان؛ يصير إن شاء الله مغفوراً له بعد ما كان عاصياً، وقريباً بعد ما كان قاصياً، ينظر بقلبه بعد العمى، ويسعد بقربه بعد الشقا، ويقابل بالرحمة بعد السخط.

فالله الله؛ اغتنموا هذه الفضيلة، في هذه الأيام القليلة، تعقبكم النعمة الجليلة، والدرجة الجليلة، والراحة الطويلة.

والحالة الرضية، والجنة السرية، والعيشة الرضية، لا تُنال إلا بالوقار لهذا الشهر، ومن لا يُوقره كان مصيره إلى النار.

من رُحْمٍ في رمضان فهو المرحوم، ومن حرم خيره فهو المحروم، ومن لم يتزود لمعاده فهو ملوم..

فإلى متى أنت في ثياب البطر، أما تعلم مصير الصور؟، أما ينفعك ما ترى من العبر؟، أصم السمع أم غشى البصر؟، تالله إنك لعلى خطر.. آن الرحيل ودنا السفر، وعند الممات يأتيك الخبر.. كلما خرجت من ذنوب دخلت في آخر؟!، يا قليل الصفا إلى كم هذا الكدر؟!، أنت في رمضان كما كنت في صفر؟!.. إذا خسرت في هذا الشهر فمتى تربح؟!، وإذا لم تتسافر فيه نحو الفوائد فمتى تربح؟!..

يا من إذا تاب نقض، يا من إذا عاهد غدر، يا من إذا قال كذب، كم سترناك على معصية، كم غطيناك على مخزية !!

حتى عصى ربه في شهر شعبان
فلا تصيره أيضا شهر عصيان
فإنه شهر تسبيح وقرآن
فسوف تضرم أجساد بنيران
من بين أهل وجiran وإخوان
حيثاً فما أقرب القاصي من الدان
فأصبح بها غداً أثواباً وأكفان
مصير مسكنه قبر لإنسان

يا ذا الذي ما كفأه الذنب في رجب
قد أظلك شهر الصوم بعدهما
ورتل القرآن وسبع فيه مجتهداً
واحمل على جسد ترجمة التجاة له
كم تعرف مئن صام في سلف
أنناهم الموت واستيقاك بعدهم
ومُجَبِّب بثواب العيد يقطعنها
حتى متى يغمر الإنسان مسكنه
أحبي في الله ..

إنني واثق من أنكم تريدون أن تعرفوا كيف نصوم رمضان ، وإن مطالعتك
الآن لهذا الكلام دليل على ذلك ، فهلا تضييفون إلى ذلك العمل .. نويتم أن
تعلموا فهل نويتم أن تعلموا؟.. ولكن اعلموا أنه قبل العمل لابد من
الاستعداد والتهيؤ للعمل ؛ فلذلك أبدأ معكم متدرجاً : ببدأ بالاستعداد
للعمل .. هيا خذ عذتك .. والبس لأمتاك .. وأصلاح نيتك .. واسحذ
عزيزتك .. وامض ولا تلتفت متوكلاً على الله .. خذ كلامي عملاً .. وبادر
به الأجلاء .. اللهم ارزقنا العمل بما علمنا ، وعلمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما
علمنا ، واجعل ما علمتنا حجة لنا لا علينا ، اللهم ارزقنا العمل ، واكتب لنا
خير رمضان وما فيه ؛ إنك ولـي ذلك القادر عليه .

... أحبكم في الله ..



اللَّهُمَّ لَا تَحْرِكْ كَلْمَنِيَّاتِ

(وَلَوْ أَرَادُوا أَنْ يُخْرُجَ لَا عَدُوا لَهُ بُدَّةً)

وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ أَنْ يُعَاشُهُمْ فَتَبَطَّهُمْ

وَقِيلَ أَقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ)

كيف نستعد لرمضان؟

أحبتي في الله ..

لقي أحد السلف أخا له فقال له: أترضى حالتك التي أنت عليها للموت؟، قال: لا.

قال: فهل عرضت عليها توبه من غير تسوييف؟، قال: لا.

قال: فهل تعلم داراً تعمل فيها غير هذه؟، قال: لا.

قال: فهل للإنسان نفسان إذا ماتت إحداهما عمل بالأخرى؟، قال: لا.

قال: فهل تأمن هجوم الموت على حالتك هذه؟، قال: لا.

قال: فما أقام على ما أنت عليه عاقل.

إنني - إخوته - إذا تخيلت أن هذه الأسئلة وجهت إليّ أو إليكم، فلن نجيب بأكثر مما أجاب هذا الرجل الصالح، إنها أسئلة أود أن أوجهها لكل منكم بذاته وشخصيته، أسألك وأجب أنت فيما بينك وبين ربك:

(١) أترضى حالتك التي أنت عليها للموت؟، بمعنى هل ترضى أن تموت الآن؟

(٢) أترضى أن تقبض روحك هذه الساعة؟

لعل بعض الناس يقول: نعم، لكي استريح، أقول: وما يدريك أنك ستستريح؟!، لعلك تخرج من نكد الدنيا وعذابها إلى نار الجحيم التي هي أنكى وأشد وأبقى.

(٣) أترضى حالتك التي أنت عليها للموت؟

لعل بعضنا يقول : نعم وهو لا يدرى ماذا في قلبه ، إنه لا يرضى بالموت الساعة إلا غافل جاهم .

(٤) أترضى حالتك التي أنت عليها للموت ، لا ؟

(٥) فهل عزمت على توبه من غير تسويق ؟ ، الصادق سيقول : لا ، ذكرت في كتاب « كيف أتوب » أن الذي يقرأ القرآن وينظر إلى النساء ، يقوم الليل ثم يدخن .. يصوم ثم يكذب ، أن هذا علامة من علامات فساد القلوب ، وهو قدح في التوبة .

لابد لهذه التوبة من شروط ، وشروطها ثلاثة وهي : الإقلاع والندم والعزم ، الإقلاع عن الذنب والندم على ما فات والعزم على عدم العودة ، فإذا استحضرت هذا وسئلـتـ الآـنـ : هل تـنـوـيـ تـوـبـةـ منـ غـيرـ تـسـوـيـفـ ؟ ، سـتـقـولـ لاـ .

ثم يأتيك السؤال التالي :

(٦) هل هناك دار للعمل غير هذه الدنيا ؟ يعني هل هناك زمان للعمل غير عمرك ؟ ، بالطبع لا .

(٧) فهل لك نفسان إذا ماتت إحداهما تعمل بالأخرى ؟ ، بالطبع لا .

(٨) فهل تأمن من هجوم الموت عليك الآن ؟ ، بالطبع لا ، فهذه حالة لا يقيم عليها عاقل .

اللهم بلغنا رمضان ؛ فإن الذنوب تتکاثر علينا ، اللهم بلغنا رمضان ، فإن القلوب قد اسودتـ منـاـ ، اللهم بلغناـ رـمـضـانـ ؛ـ فقد أثـقلـتـ الـخـطـاـيـاـ كـواـهـلـاـ ،ـ اللـهـمـ بلـغـنـاـ رـمـضـانـ فقد اـشـتـدـ شـوـقـنـاـ إـلـيـهـ ،ـ اللـهـمـ بلـغـنـاـ رـمـضـانـ فقد طـالـ اـنـتـظـارـنـاـ لـهـ ،ـ إـنـاـ نـتـنـظـرـ بـالـفـرـحـ حـلـوـ رـمـضـانـ ،ـ وـكـيـفـ لـاـ يـبـشـرـ الـمـؤـمـنـ بـفـتـحـ أـبـوـابـ الـجـنـانـ ؟ـ !ـ ،ـ وـكـيـفـ لـاـ يـسـعـدـ المـذـنـبـ بـغـلـقـ أـبـوـابـ النـيـرـانـ ؟ـ !ـ فالـسـعـادـةـ فـيـ دـخـولـ رـمـضـانـ .ـ

ولكن أي فرح ؟ ، إنه الفرح بفضل الله تعالى ، قال سبحانه وتعالى : ﴿فَلَئِنْ كُنْتُمْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِحْمَتِهِ مِنْذِلَكُمْ فَلَيَقْرَبُوا هُوَ حَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] ، إننا ننتظر رمضان الساعة تلو الساعة ، فلا بد أن نعلم بماذا نفرح ؟

فالفرح فرحان : فرح بالحق ، وفرح بالباطل ، الفرح بالحق هو الفرح برحمة الله وفضله ، أن تفرح بتوبة الله عليك من المعاشي والذنوب ، تفرح بتوفيق الله لك بقيام الليل كل ليلة لمدة شهر ، تفرح لأن الله أعطاك فرصة لأن تحسن إلى الخلق فتطعم المساكين ، وأن تدعوا الله في صيامك وعند فطرك وتشعر أن للصائم دعوة مستجابة .

أما الفرح بالباطل فهو كمن يفرجون بالمسلسلات والأفلام ، يتشاري أحدهم لأن في رمضان سيكون هناك فوازير ومسرحيات ، يفرح لأن في رمضان كرة ومباريات ، دورات رياضية واحتفالات ، خيام رمضانية وسهرات ، فهذا فرح بالباطل ، قال تعالى : ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ يُغَيِّرُ اللَّهُ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمَرَّحُونَ﴾ [٢٦-٢٧] .

يفرح المؤمن بالحق ، فيفرح بفتح أبواب الجنة وغلق أبواب النار ، ويستبشر فيه بوقت تغل فيه الشياطين ، ولكن لا بد من الاستعداد لهذا الفرح ، لا بد من إعداد العدة لهذا المهرجان ، لا بد من التجهيز قبل قدوم الضيف ..

قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعْدُوا لَهُ عَدَّةً وَلَكِنَ كَرَهَ اللَّهُ أَنْ يَعَانِهِمْ فَشَبَّهُمْ بِوَقِيلَ أَفْعَدُوا مَعَ الْقَدْعَدِينَ﴾ [العنية: ٤٦] ، إن من الله العظيمة وألائه الجسيمة ونعمه الكريمة علينا أن يبلغنا رمضان ، واعلم أيها الحبيب أن من النعم التي يغفل أكثر الناس عن شكرها نعمة الإمهال .

سبحان الملك الحليم ! ، كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش أن رحمته

سبقت غضبه ، وأن مؤاخذته سبقة عقابه ، سبحانه فهو الكريم ، فاشكر نعمة الله على ذلك ، كم رأك على معصية طيلة السنة فسترك وعافاك وأمهلك وأخرك حتى أدركك رمضان ، ومنحك الفرصة للتوب فيتوب عليك ويكرمك ويعطيك ويسنك ويفغر لك ما تقدم من ذنبك طيلة عمرك ؛ ولكن لابد من الاستعداد لهذا الشهر قبل مجده ، حتى تتعرض النفس على الطاعة قبل الشروع فيها ، لابد من إعداد العدة وأخذ الأبهة لرمضان .

قال سبحانه وتعالى : «**وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَا عَدُوا لَهُ عَدَّةٌ**» [التوبه : ٤٦] ، فلما لم يعدوا العدة للخروج علم أنهم غير صادقين ؛ لذلك عوقبوا بالتشييط والخذلان ، فإن كنت تريد العتق من النار في رمضان .. إن كنت تريد أن تقبل ، وتحمي خطيبتك فلا بد من إعداد العدة ، يقول ابن القيم رحمه الله : «**حذار حذار من أمرين** : أن يأتي واجب الوقت وأنت غير مستعد له ومتهيء لفعله ، فتعاقب بالتشييط عن فعله والتخييل عن تحصيله ، قال تعالى : «**إِنَّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ فَاسْتَدْنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَّمْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تَقْتُلُوا مَعِيَ عَدُوًا إِنَّكُمْ رَضِيْشُم بِالْقُعُودِ أَوْلَ مَرَّةً فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَلِيفَيْنَ**» [التوبه : ٨٣] .

وحذار من رد الأمر لأول وهلة لمخالفته هواك ؛ فتعاقب بتقليل القلب ، قال تعالى : «**وَنَقْلَبْ أَعْدَائِهِمْ وَأَنْصَرَهُمْ كَمَا لَوْ يَوْمُئُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةً**» [الأعراف : ١١٠] » اهـ .

من هنا علم أنه لابد من الاستعداد لشهر رمضان قبل دخوله حتى لا تعاقب بالتشييط عن أفعال الخير والتخييل عن زيادة الطاعات في رمضان ، وفهم الآية في ضوء هذا الكلام ، أن كراهيته للأنبيائهم وتشييدهم كانت نتيجة عدم استعدادهم أصلاً وعدم صدق رغبتهم في ذلك ، إما إذا استعد الإنسان للعمل وتجهز لأداءه وأقبل على الله راغباً إليه ؛ فإن الله سبحانه أكرم من أن يردد عبداً قبل عليه .

ولذلك كان السلف يستعدون لرمضان استعداداً حقيقياً يبدأ ذهنياً ، فيدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ، ثم يدعون الله ستة أشهر أخرى بعد رمضان أن يتقبل رمضان ، فكان السنة كلها رمضان ، ومن الاستعداد أيضاً أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يكثر الصيام في شعبان حتى كان يصومه كله إلا قليلاً ، وما روي في شهر هو أكثر صياماً من شعبان ، وما استكمل صيام شهر رمضان إلا رمضان.

هؤلاء السلف كانوا يعرفون قدر رمضان ، قال يحيى بن أبي كثير : كان من دعائهم : اللَّهُم سُلِّمْنِي إِلَى رَمَضَانَ وَسُلِّمْ إِلَيَّ رَمَضَانَ ، اللَّهُم سُلِّمْنَا لِرَمَضَانَ وَسُلِّمْ رَمَضَانَ لَنَا ، وَتَسْلِمْهُ مَنَا مُتَقْبِلًا .

بلغ رمضان نعمة من الله علينا :

أيها الإخوة ، إن بلوغ شهر رمضان ، وصيامه نعمة عظيمة على من أقدرها الله عليه ، يدل على ذلك هذا الحديث : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رجلان من بلئ من قضاة أسلما مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واستشهد أحدهما وأخر الآخر سنة ، قال طلحة بن عبيد الله : فأربت الجنة فرأيت فيها المؤخر منهما أدخل قبل الشهيد فعجبت لذلك ، فأصبحت فذكرت ذلك لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : «أليس قد صام بعده رمضان ، وصلى ستة آلاف ركعة أو كذا وكذا ركعة صلاة السنة؟» ، وفي رواية قال : «وأدرك رمضان فصامه ، وصلى كذا وكذا سجدة في السنة؟» قالوا : بلـ ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إن الذي بينهما لأبعد مما بين السماء والأرض»^(١).

بلغ رمضان نعمة ، ومن حرم من رمضان فهو المحروم ، من حرم خيره فهو المحروم ، ومن لم يتزود لاستقباله فهو ملوم ..

(١) أخرجه أحمد (٢/٣٣٣) ، وصححه الألباني (٣٧٢) في « صحيح الترغيب والترهيب » .

أتنى رمضان مزرعة العبادة
لتطهير القلوبِ منَ الفسادِ
فأدّ حقوقَ قولاً وفعلاً
وزادك فائحةً للمعايَدِ
فمن زرعَ الحبوبَ وما سقَها
تأةً نادماً يومَ الحصادِ

وقد ذكر العلماء أن شهر رجب شهر البذر، وشعبان شهر السقي، ورمضان شهر جني الشمار، فلكي تخبني الشمار في رمضان لابد من بذر يبذر، وأن يسكنى حتى تكون له ثمرة.

أيها الإخوة ، إننا ينبغي ابتداء أن نستعد لرمضان وذلك بخطوتين :

الأولى : إثارة الشوق ، بأن يثور من قلوبنا شوق لأن نستقبل رمضان فنرحم فيه وتعتق رقابنا من النار .

والثانية : إنك لو اشتقت لشمتت ريح رمضان عن بعد كما شئْ يعقوب ريح يوسف ، فلو شمتت ريح رمضان ولبست قميصه لعاد قلبك بصيراً ، فالاستعداد لرمضان بخطوتين : الشوق ، وبصيرة القلب .

أما الشوق فإنه عملية غليان في القلب تحفزها لاستقبال محظوظ غائب طال انتظاره ، وأما البصيرة والنور في القلب فإنها تجعل الإنسان يرى فضل الأيام وثمرة الأعمال ووعود الآخرة ، فيكون ذلك دافعاً لعلو الهمة في الاستقبال والاستعداد .

إخواته ، حريٌ بنا أن نستعد استعداداً حقيقياً لاستقبال شهر رمضان ، أن نعلم كيف نصومه حقاً . إنك في عبادة من ساعة نویت الصوم عند طلوع الفجر كأنك دخلت الصلاة بتکبرية إحرام ، فإذاك أن يلتفت قلبك عن الله أثناء النهار ، في أثناء النهار أنت صائم يعني عابد لله ، فاحذر من التفات القلب ، وهذه هي بصيرة القلب ، أن ترى بعين قلبك طيلة نهار الصيام نفسك قائمًا بين يدي الله عز وجل .

وشهر رمضان عند الله شهرٌ معظم ، قال تعالى : «**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ**» [البقرة: ١٨٥] ، وهذا يكفي تعظيمًا له ؛ أن القرآن أنزل فيه ، وفيه ليلة القدر خير من ألف شهر ، فهو شهر عظيم تعظم فيه الطاعة وتعظم فيه كذلك المعصية ، فافهم هذه القضية لتعلم خطورة الجناية على النفس بالمعاصي في رمضان .

قال العلماء : إذا قوي الداعي وتم الترك عظم الأجر ، وإذا ضعف الداعي وتم الفعل عظم الوزر .

وقد استخرجوها هذه القاعدة من حديث النبي ﷺ في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : «ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ؛ فقال : إني أخاف الله»^(١) ، الداعي إلى المعصية هنا قوي ؛ لأنها هي الطالبة ، ولأنها ذات منصب وجمال ، ولكنها ترك ذلك لله ، فهو في ظل عرش الرحمن ، «وشاب نشا في عبادة الله» هذا في ظل عرش الرحمن أيضا ؛ لأن الداعي إلى المعصية الحامل عليها قوي ، وتم الترك فعظم الأجر .

والعكس بالعكس ، إذا ضعف الداعي وتم الفعل عظم الوزر ، قال النبي ﷺ : «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيمة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر»^(٢) ، شيخ زان أي رجل كبير السن ويقع في الزنا ، فهذا إضافة إلى عقوبة الزنا أنه لا يكلمه الله ، ولا يزكيه ، ولا ينظر إليه ، فكيف إذا جئت يوم القيمة فلم يكلمك الله ؟ ، ولم ينظر إليك !؟

(١) البخاري (١٣٥٧) ، ومسلم (١٠٣١) .

(٢) أخرجه مسلم (١٠٧) .

يا له من هجر ! ، لعلك تتمنى ساعتها أن تكون ترابا ، فليس ثمة عقوبة أشد من أن تحرم من رؤية الله ، فكيف إذا أعرض عنك لا يكلمك ، ولا يزكيك ، ولا ينظر إليك ، يالها من عقوبة ! ، لو علمتها قلوبنا لانفطرت ، اللهم لا تصرف وجهك في القيامة عنا ..

وفي رمضان يضعف - بلا شك - الداعي إلى المعصية ؛ لأن المعين على المعصية مفقود ، أبواب الجنة مفتوحة ، وأبواب النار مغلقة ، والشياطين مسلسلة وأكثر المسلمين مشغولون بالطاعات ، ثم تعصي الله !! فيكون العاصي في رمضان قد ارتكب عظيمًا اللهم عافنا من الذنوب والمعاصي .

أخي الحبيب :

إنه زمان طاعة ، وقد يسر الله لك الأمر وأعانك عليه ، بل وذكر سبحانه أيام الصيام فقللها بقوله جل وعلا : **﴿أَيَّامًا مَمْدُودَاتٍ﴾** [البرة: ١٨٤] ، فاحترم الشهر ولا تجترم الآثام في تلك الأيام ، وأننا أحذرك من قطاع الطريق إلى الله ، الداعين إلى معصيته في هذا الشهر من وسائل الإعلام المختلفة في الجرائد والمجلات ، والراديو والتليفزيون ، والمسارح والسهرات ، إياك والمعاصي في هذا الشهر ؛ فإنه كما تضاعف الحسنات فيه تضاعف أيضًا السيئات ؛ لأنه ينضاف إلى المعصية الظاهرة من زنا العين بالنظر إلى الحرام وكذب اللسان بالزور والفحش والبهتان ، ينضاف إلى ذلك معصية قلبية من الكبائر وهي عدم تعظيم حرمات الله ؛ فاحذر أن ينزل بك بطش الرحيم الرحمن في شهر رمضان .

أيها المسلمون .. عباد الله المؤمنين .. شهر رمضان كله رحمات ، وزيادة طاعات ، ومضاعفة حسنات ، فأبشروا يا معاشر المسلمين ، فهذه أبواب الجنة الثمانية في هذا الشهر لأجلكم قد فتحت ، ونسماتها على قلوب المؤمنين قد

نفتح ، وأبواب الجحيم كلها لأجلكم مغلقة ، وأقدام إبليس وذراته من أجلكم موثقة .

ففي هذا الشهر يؤخذ من إبليس بالثار ، وتستخلص العصاة من أسره ، فما يبقى لهم عنده آثار ، كانوا فراغه قد غذأهم بالشهوات في أوكراره ، فهجروا اليوم تلك الأوكرار ، نقضوا معاقل حصنونه بمعاول التوبة والاستغفار ، خرجوا من سجنه إلى حصن التوبة والإيمان ؛ فأمنوا من عذاب النار ، قسموا ظهره بكلمة التوحيد ، فهو يشكو ألم الانكسار ، في كل موسم من مواسم الفضل يحزن ، وفي هذا الشهر يدعوا بالويل لما يرى من تنزل الرحمة ومغفرة الأوزار ، غالب حزب الرحمن حزب الشيطان ، مما بقي له سلطان إلا على الكفار ، عزل سلطان الهوى ، وصارت الدولة لسلطان التقوى فاعتبروا يا أولي الأ بصار .

إخوته ..

شهر رمضان شهر التيقظ ، شهر التحفظ ، إخوته .. بين أيديكم سفر ، والأعمار فيها قصر ، وكلكم والله على خطر ، كونوا على حذر من الجبار وقد قدر ، اعرفوا قدر من قدر ، تذكروا كيف عصيتم وستر ، وأيم الله لو قمت على البصر ، وسجدتم شكر الله سجدة على الإبر ، ما وفيتم شكر نعمة الله ولا على نعمة الستر ، أما طوي القبيح والجميل نشر ؟ ! ، أما بعض نعمه السمع والبصر ؟ ! ! إخوته .. آن الرحيل وما عندكم خبر ! ، إلىكم توعظون ولا تتعظون ؟ ! ، إلىكم توقعون ولا تبصرون ، أكلفتم ما لا تطیقون ، أكلمتم بما لا تفهمون ؟ ، ما لكم عن مالكم تعرضون ؟ ، ما هذا الفتور وأنت سالمون ؟ ! ، ما هذا الرقاد وأنتم متباھون ؟ ! ، إخوته .. أدركوا أنفسكم اليوم بتوبة قبل أن يدرككم الموت .. اللهم ارزقنا قبل الموت توبة ، وعند الموت راحة ، وبعد الموت جنة ونعمما .

هذه تهيئة لرمضان ، وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها : «ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم في شهر من السنة أكثر من صيامه من شعبان كان يصومه كله»^(١) ، وفي رواية : «كان يصومه إلا قليلاً» ؛ فلذلك استعد لرمضان بكثرة الصيام حتى تتعود النفس على الصيام . . قم الليل في شعبان ، أكثر من تلاوة القرآن ، وأكثر من ذكر الله تعالى . . تمهيداً للدخول في رمضان .

قال السريري السقطي : السنة شجرة ، والشهور فروعها ، والأيام أغصانها ، وال ساعات أوراقها ، وأنفاس العبد ثمرتها ، فشهر رجب أيام توريقها ، وشعبان أيام تفريعها ، ورمضان أيام قطفها ، والمؤمنون قطافها .

ويقول بعض السلف : رجب شهر الغرس ، وشعبان شهر السقي ، ورمضان شهر جني الثمار ، فإذا أردت جني الثمار في رمضان ؛ فلابد من الغرس في رجب وسقي ذلك الغرس في شعبان .

إنني عندما أقول لك : صم في رجب وشعبان ، وقم الليل فيما ، وتصدق فيما ، واغرس الأعمال الصالحة في رجب وتعاهدها بالسقي في شعبان ؛ إنما أقول ذلك لكي تستشعر بعد ذلك في رمضان لذة الصيام ، ولذة القيام وقراءة القرآن ، ولذة الصدقة وسائر اللذات ، لأن الأمر يحتاج إلى صبر ومصايرة وطول مُكث . . لا يأتي من أول وهلة ، وأيام رمضان قليلة ، ومرور أيامه سريعة ؛ فلذلك لابد من الاستعداد الجدي قبله بفترة كافية .

إذا كنت من أهل الصدق وأردت فعل الاستعداد ؛ فإليك أيها الحبيب برنامجاً عملياً للتأهيل والاستعداد :

* هيا إلى العمل *



(١) أخرجه مسلم (١١٥٦).

تمرينات الاستعداد

التمرين الأول : التدريب على تجويد التوبه :

إن أول واجب للاستعداد لرمضان : التوبه ، اللهم تب علينا توبه نصوحاً ،
اللهم تب علينا توبه ترضيك ..

وذلك لأن التوبه وظيفة العمر ، تلزم العبد في كل لحظة ، قال الله عز
وجل : «وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيْمَانَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» [النور: ٣١] ،
وكان ﷺ يستغفر الله ويتوسل إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ، وكان يسمع
منه في المجلس الواحد مئة مرة يقول : «رب اغفر لي وتب علي ؛ إنك أنت
التاب رب الرحيم» ^(١).

وليست التوبه كما تفعل دائمًا : تبت .. تقول : أستغفر الله بساندك وقلبك
غافل لا ه .. أو تظن أن التوبه هي التوبه من النظر إلى المترجلات ، أو التوبه
من الكذب والغيبة والنميمة فقط لا غير .. إنني أريد التوبه هذه المرة من
حياتك .. التوبه من نمط الحياة التي نعيشها .. التوبه من نمط التفكير الذي
تفكر به .. التوبه من الآمال العريضة التي نعيش لها .. التوبه من حياتنا ككل .
التوبه من هذه الحياة .. إننا نريد حقاً أن نتوب ، إننا نريد تجويد التوبه ، نريد
تدريبياً عملياً على توبه جديدة جيدة.

أخي .. قبل دخول شهر رمضان جدد التوبه .. حسن التوبه .. أتقن
التوبه .. أصدق التوبه .. إنك بحاجة إلى أن تتوسل أخي لا من الذنوب

(١) أخرجه الترمذى (٣٤٣٤) ، وصححه الألبانى (٧٣١) في « صحيح الترمذى » .

والمعاصي فحسب - وإن كانت هي الأولى والأولى؛ ولكتنا بحاجة إلى توبات آخر .. بعد التوبة من الكبائر الظاهرة والباطنة، والتوبة من المعاصي الملزمة والعارضة .. بحاجة إلى التوبة من أشياء آخر منها:

أولاً : التوبة من تضييع الأوقات :

(١) الليل :

قال تعالى : «وَجَعَلْنَا أَيَّلَ لِيَسَا ⑯ وَجَعَلْنَا أَنَّهَارَ مَعَاشًا» [النبا: ١١-١٠] ، وقال تعالى : «كَانُوا قَلِيلًا مِنَ أَيَّلَ مَا يَهْجُونَ ١٧ وَإِلَّا تَحْمِرُ هُمْ يَسْتَقْفُونَ» [الذاريات: ١٧] ، وحين وصف عباد الرحمن قال عنهم سبحانه وتعالى : «وَالَّذِينَ يَسْتُرُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَفِيمَا】 [الفرقان: ٦٤] ، فهذه وظيفة الليل في الإسلام ، السكون والراحة والخلوة مع الله والبعد ، هذا هو ليل المسلمين ، ولكن مع شديد الأسف ! انظر إلى ليل المسلمين هذه الأيام : يا حسرة على العباد !!

تحول ليل المسلمين إلى لعب ولهو ومعاصي وغفلة ، وحول بعضهم ليه نهاراً ، ونهاره ليلاً ، وضاع الليل .. ضمن الأوقات الضائعة .. ضاع الليل بساعاته الغالية وأوقاته النفيسة ، ضاع الليل بفرصه الذهبية وفتوراته الربانية .. ضاع الليل وهو يقولون : شهر رمضان شهر السهر !! .. هذه فرصتك .. فتقرب إلى الله تعالى وتب من تضييع ليلك في المعاصي واللهو ، وأثبت صدق توبتك هذه بقيامك بين يديه تناجيه وتستجد فيه أن يغفر لك ، فرصة لا تضيعها .

(٢) بالشروع الذهني في الفراغ :

أخي في الله ، هل تمر بك أوقات تجلس صامتاً لا تفعل شيئاً ، فقط تجلس شacula يبصرك إلى الفراغ وتفكر في لا شيء ، هذا هو التجسيد الحقيقي للغفلة .. غفلة مطبقة على القلب .. على العقل .. غفلة مستحكمة ، وكلما

ازداد شخوصك هذا زاد تمكناها منك ، تب من ذلك ولا تجلس فارغاً ، اشغل لسانك وقلبك بذكر الله ، واسغل عقلك بالتفكير في هذا الذكر .. توبية يتبعها عمل صالح .

(٣) مأساة المواصلات :

كم من الوقت يضيع منك يومياً في المواصلات أخي في الله؟ ، على الأقل ثلاثة ساعات يومياً ، وتضيع كلها في معصية الله ، من الاختلاط بالنساء وإطلاق البصر ، وغيرها ، ولو شئت في هذه الساعات لذكرت الله .. اغتنم هذا الوقت ولا تضيئه ، هذا الوقت يكفيك لآلاف من الذكر يومياً ، أيضاً جوّد هذه التوبة بيقينك أن هذه الفترة فرصة سانحة لذكر الله والاشغال به .. جوّد التوبة .

(٤) النوم :

قلت لكم سابقاً : هذا الشهر يحتاج لهمة عالية ، وأصحاب العشر ساعات نوم يومياً ليسوا ذوي همة عالية ، بل هم أهل البطالة والكسل ، فإذا قلت لي : إنك تتحسب نومك هذا لله ، قلت : تحسب عشر ساعات !! بل وثمان أيضاً ، كيف تحسبها؟ الاحتساب أن تقول : يا رب .. سأرقد فقط لأنقوى على طاعتك .. وهل تتقوى على طاعة الله بعشرين ساعات نوم ، لن أحدد لك عدد ساعات نومك ، ولكن كل هذا وقت ضائع من عمرك .. حدد أنت ما يكفيك ، والتوبة من ذلك أن تتوّب من الخداع بأن تعلم أن الله الذي يراقبك يعلم سبحانه ما يكفيك ، فجود التوبة ولا تخادع .

ثانياً : التوبة من اللسان :

قال رسول الله ﷺ : «وأعوذ بك من شر لساني»^(١) ، وفي حديث معاذ بن

(١) أخرجه الترمذى (٣٤٩٢) ، وصححه الألبانى (٢٧٧٥) في « صحيح الترمذى ».

جبل الطويل حين سأله رسول الله ﷺ عن عمل يقربه من الجنة ويبعده عن النار ؛ فقال له رسول الله ﷺ في نهاية الحديث : «ألا أدلّك على رأس الأمر وعموده وذروة سِنَامِه» ، ثم قال : «هل أدلّك على ملّاك ذلك كُلُّه» ، قال : نعم ، قال : «أمْسِكْ عَلَيْكَ هَذَا» ، وأمسك بلسان نفسه ، فقال معاذ : أَوْمَأْخُذُونَ نَحْنُ بِمَا نَتَكَلَّمُ فِيهِ؟ ، فقال رسول الله ﷺ : «وَهُلْ يَكُبُّ النَّاسُ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَادُ السَّتِّهِمْ»^(١) .

وهل يجرؤ لسانك عليك إلا كُلُّ شر ، فأنت إن تركته أهلكك : كذب .. غيبة .. نميمة .. بهتان .. رباء .. عجب .. احتقار .. زنا .. اللهم إنا نعوذ بك من شرور ألسنتنا . ومن مأساة اللسان في عصرنا :

(١) مأساة التليفونات :

لا شك أن ثورة الاتصالات التي حدثت في عصرنا لها فوائد ونفع الله بها المسلمين في جوانب ، وخدمت الدعوة الإسلامية في نواح متعددة ؛ لكن مأساة التليفونات في عصرنا عجيبة ، ولا بد لها من وقفة شرعية أيها الإخوة ، فأكثر الناس في هذه الأيام يحمل أكثر من تليفون في جيوبه ، والسؤال لك أيها المسلم الملزّم السُّنْنِي ، يا طالب الآخرة ، يا حريصاً على رضا الله ، ماذا تصنع بهذا التليفون ؟

دعونا من المراوغة وتعالوا نتكلّم في الصّميم ، إن وجود التليفون في يد كثيرون من الناس مجرد منظرة مثل الناس ، تقليدٌ أعمى ، فليس صاحبنا رجل أعمالٍ خطير ، ولا شخصية مهمة ، ولا يمثل التليفون بالنسبة له أي

(١) أخرجه أحمد (٥١٣٦ / ٥٢)، وصحّحه الألباني في « صحيح الجامع ».

دور ولا أثر ، فما الذي كان؟ ، الآفات الثلاثة التي يكرهها الله ، قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ كَرِهُ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلُ وَقَالُ، إِضَاعَةُ الْمَالِ، وَكُثْرَةُ السُّؤَالِ»^(١).

اجتمعت تلك الآفات الثلاثة في التليفون ، فليس في هذه الاتصالات إلا القيل والقال ، وفواتير التليفونات وثمن الكروت صار إرهاقاً للميزانية يقتطع من فم الأولاد .

أخي الحبيب ، تب إلى الله ، وألق عنك هذا الجهاز قبل دخول رمضان ، تستجتمع شمل قلبك ، وتفرغ همك للطاعة ، ويقل الانشغال .

(٢) القصص والحكايات والمنامات ، وكرة القدم والفن :

أيها الأحبة في الله ، الكلام شهوة ، حتى إنك تجد بعض الناس لا ي肯 عن الكلام ، وإنك إذا جلس في مجلس - وجرب ذلك - ساكتاً صامتاً تتأمل ، نقل بصرك وأذنك لتسمع الأطراف المتحاور ، تجد كلاماً فارغاً وحوارات سقيمة وحكايات عقيمة ، قصص وحكايات ، أخبار وروايات ، كلها لا قيمة لها ، تضر ولا تنفع .

ومما زاد الطين بلة كثرة الافتراءات في ذكر المنامات ، فتجد الكل يؤلف ويحكي أنه رأى ، والآخر يفتى ويؤوّل .. ومثله الكلام عن كرة القدم والفن وأكثره زور وبهتان ..

فتب إلى الله أيها الأخ الكريم من القصص والحكايات قولًا وسماعًا ، واغتنم الوقت بذكر الله ..

(١) متفق عليه ، البخاري (١٤٠٧) ، ومسلم (٥٩٣) .

(٣) الوصف والمبالغات والنفاق والمجاملات :

قال رسول الله ﷺ : «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه»^(١) ، وآفة الاختلاط بالناس ويدافع الفضول البشري والاستشراف للاطلاع على أسرار الخلق ، يجعل كل ذلك شغف الناس بكثرة الكلام ، ولكن المصيبة الأكبر أن يحصل نوع من المبالغات أو التوسيع في الوصف الدقيق لموضوعات لا تحتاج ولا تتحمل ..

والأبغض من كل ما مر : المجاملات الزائفة الكاذبة والنفاق الاجتماعي المتبدال ، فهل من توبية من هذا الخطر المستطير الذي يهدد بخسق ومسخ وقدف؟!

(٤) التهريج والمزاح ، والفحش والبذاء :

قال رسول الله ﷺ : «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعن ولا الفاحش ولا البذيء»^(٢) ، وقال رسول الله ﷺ : «لا تكثروا الضحك ؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب»^(٣) .

صار من سمات الباطل في عصرنا خفة الدم زعموا .. وليس ثمة أثقل من كذوب فاحش يستضحك الناس بالباطل ، والأثبت في الموضوع أن يشارك في هذا الأمر من يتزمون بالدين ويظهرون حب الله ورسوله ، فيحولون أكثر المواقف جدية إلى مزاح !!

فاتقوا الله يا قومنا ، ونذروا ألسنتكم عن فضول الكلام ، فضلاً عن الفحش والبذاء والتهريج والمزاح .

(١) أخرجه الترمذى (٢٤٣٣) ، وصححه الألبانى (١٨٨٦) في « صحيح الترمذى » .

(٢) أخرجه الترمذى (٢٠٦٠) ، وصححه الألبانى (١٦١٠) في « صحيح الترمذى » .

(٣) أخرجه ابن ماجة ، وصححه الألبانى (٤١٩٣) في « صحيح ابن ماجة » .

ثالثاً : التوبة من العلاقات :

(١) معارف للظروف :

كثيراً ما تسأل أحدهم : كم جزءاً قرأ من القرآن اليوم ، ويكون الجواب : أنا أتمنى والله أن أقرأ ، ولكن المشكلة .. ليس هناك وقت ! ، وحين تتساءل : أين ضاع الوقت؟ ، وكيف ضاع الوقت؟ ، فإنك ستتجد أن من أخطر ما يضيع الوقت كثرة الاختلاط بالناس ..

إننا نستهين بمحاجمة لمجرد المجاملة ، قد يضيع فيها نصف ساعة ، ومصافحة وكلمتين «ع الماشي» بعد الصلاة أمام المسجد يضيع فيها نصف ساعة أخرى ، وهكذا ، تضيع الأوقات بغير فائدة ، والعبد مسئول عن عمره فيما أفاءه .

أرجو أخي الحبيب قبل دخول رمضان أن تجحِّم علاقاتك .. أن تختصر معارفك .. ليس هناك مجال لأداء حقوق كل هؤلاء ..

والتجة من هذا تكون بتحقيق الإخلاص في العلاقات ، بإقامة صرح الحب في الله ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، فتنضبط العلاقات بضوابط الحب في الله والبغض في الله فتكون عبادة .

(٢) محاجمات بالحرام :

في العلاقات الكثيرة المتشعبية لابد من المجاملة ، وأحياناً لا مجال للمجاملة إلا بالكذب ، أو على حساب الآخرين وكلاهما حرام ، فلابد من التجة من المحاجمات ؛ قل الحق ولو كان مرئاً ، والساكت عن الحق شيطان آخر فلا تجامل بالحرام ، وكُفَّ لسانك .

(٣) الاختلاط المحرم :

أكبر آفات العلاقات أن تكون العلاقة آثمة بين رجل وامرأة مهما زعموا أنها علاقة بريئة ، دعونا نكون صرحاء ، ليست هناك علاقة بريئة ، كلها علاقات محرمة ، إننا يا قوم عبيد ، يحكمنا دين يقوم على أمر ونهي ، وليس الحكم في ذلك العادات والتقاليد أو الهوى والشهوات ..

فتجب التوبة قبل دخول رمضان من كل علاقة آثمة حتى يظهر القلب ..

رابعاً : توبه القلب :

(١) التوبة من الخواطر :

أحلام اليقظة متعة بعض الناس ، أخي الحبيب : لا يقتلك الوهم ، عش الحقيقة وإياك وأحلام اليقظة ، إياك من الخواطر الرديئة ، اجعل خواطرك تحت السيطرة ، لا تدعها تخرج من تحت يدك ، إنك إذا تركت الخواطر ترعى في قلبك وعقلك بغير ضابط ولا رابط ؛ فستعيش الوهم وتصدقه ، كم من أناس قتلهم **وَهُمْ** المشيخة ، وهم ليسوا على شيء ، وآخرون قتلهم وهم طلب العلم وعاشوا أحلام اليقظة في ثياب فضفاضة ليست من ثيابهم .

أخي الحبيب .. قبل رمضان عش الحقيقة وانس الوهم ، وتب إلى الله ، اشغالك بالعمل يخرجك من هذا الوهم .

(٢) التوبة من التعلق بغير الله :

قال الله سبحانه وتعالى : «**وَلَا تَحْذِدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَمَّ لَيَكُونُوا لَهُمْ عِزًا** (٤١) **كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضَلَالًا**» [مريم: ٨٢-٨١] ، إياك أخي الحبيب والتعلق بغير الله ، الكل سيخذلك ويتخللى عنك إلا الله العظيم ، فلا تشغله

بآخرين ، واجعل انشغالك بمن ينفعك انشغالك به ، تب من التعلق بالأسباب والتعلق بغير الله .

(٣) التوبة من الأماني والتسويف وطول الأمل :

تلهم الثلاثة أمراض خطيرة تقتل الإيمان ..

إخوتي في الله : أحذركم من السين وسوف .. أحذركم من الاغترار بالأمانى ، قال الحسن البصري رَحْمَةُ اللَّهِ : ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، وإن قوماً غرتم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، قالوا نحسين الظن بالله وكذبوا ؛ لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل .

(٤) التوبة من العجب والكبر والغرور ورؤية النفس :

وهذه الأمراض أيضاً تقتل الإيمان ، وتذهب بالعبد إلى الجحيم ، فالعجب محبط عمله ، ولن يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، والغرور قتال ، ورؤية النفس تجعلك تختال ، فاحذر يا مسكون ، فإنك لا تدرى بم يختم لك ، تب من كل ذلك وانكسر واخضع وذل لربك لعل أحد هؤلاء الذين تزدريهم قد سبقك إلى الجنة بمراحل ، والله في خلقه شتون ، فاحذر .. عجل بالتوبة ، ومن تواضع لله رفعه .

خامساً : التوبة من الكسل :

(١) كم بين العلم والعمل :

ونحن على أبواب رمضان ، والكل بلا استثناء يعرف فضائل رمضان ، ويحفظ الوعود على الأعمال ، ولكن ماذا أفاد هذا العلم؟ ، وبم نفع هذا الحفظ؟ ، أين العمل؟ !

تب إليها المسكين من الكسل ، فقد استعاذه النبي ﷺ منه ، قال رسول الله ﷺ : «اللهم إني أعود بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والبخل والجبن ، وضلع الدين ، وغلبة الرجال»^(١) ، فاستعاذه بالله وانتقض قائما ، واعمل بما علمت ، هذه توبية ..

(٢) ضعف اليقين في الوعد والوعيد :

قال رسول الله ﷺ : «من قال : سبحان الله العظيم وبحمده ، غرست له نخلة في الجنة»^(٢) ، أنا قلت الآن : سبحان الله وبحمده ونظرت في الساعة فإذا هي ثانية واحدة ، لو ثبت يقينك في هذا الوعيد أنك تكتسب بالثانية الواحدة نخلة في الجنة ، وقد قال رسول الله ﷺ : «ما من نخلة في الجنة إلا وساقها من ذهب»^(٣) فوزن ساق نخلة من ذهب مئات الكيلولات ، هذا ثمن كل ثانية من عمرك ، وأنت تضيعه شذر مذر .. لا تبالي ولا تذر ، وإنما أتيت من ضعف يقينك ، لو ثبت يقينك في ذلك الوعيد ؟ ما ضيغت لحظة من عمرك وما ركنت إلى الكسل وترك العمل .. اعمل يا كسان .

(٣) الترخص المهيء :

بعض الناس يريد التفلت من الدين ولكن بدين ، فهو يبحث عن الرخص ، ويتخذ الخلاف بين العلماء مسوغاً للهروب ، فكل المسائل عنده فيها خلاف بين العلماء ، وهو يرجع فيها بهواه ، ويختار ما يوافق شهوته ، ويظن أنه على شيء ، «وَخَسِبُوكُمْ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ لَا إِنْهُمْ هُمُ الْكَذِيلُونَ ﴿٧﴾ أَسْتَحْوِذُ

(١) متفق عليه ، البخاري (٢٧٣٦) ، ومسلم (٤/٢٠٨٨) .

(٢) أخرجه الترمذى (٥/٥١١) ، وصححه الألبانى (٦٤٢٩) في «صحيح الجامع» .

(٣) أخرجه الترمذى (٤/٦٧١) ، وصححه الألبانى (٥٦٣٧) في «صحيح الجامع» .

عَلَيْهِمُ الْشَّيْطَنُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الْشَّيْطَنِ إِلَّا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ أَكْثَرُهُمْ مُّ
الْمُغْرِبُونَ» [المجادلة: ١٨-١٩].

تب أخي الحبيب من هذا الترخيص المهين واستعن بالله على الأخذ
بالعزائم ، والعمل الجاد المثمر ، والله المستعان .
وقد جعلت الكسل آخر هذه العناصر ؛ حتى لا نكسل في التوبة ، فلنسارع
الآن.. حالاً.. ونتوب إلى الله ..

إخواته .. هذه توبة لازمة .. ليست استعداداً لرمضان فحسب ؛ فلعلنا
لا ندرك رمضان ؛ ولكنها لازمة استعداداً للموت ، فقد تموت الآن في هذه
اللحظة ؛ إذا قتب ولا تسوف .

التمرين الثاني : التدريب على تعظيم الشعائر :

غفلة القلب من أضر الأشياء على العبد ؛ ولذلك لابد في الاستعداد
لرمضان من التدريب على يقظة القلب ، ولا شك أن من يقظة القلب أن يراعي
شعائر الله وأن يعطيها حظها من التوقير والتعظيم وحفظ الحرمة ، وهذا مطلب
خطير يجب أن يراعي في الاستعداد لرمضان .

فيجب أن تكون من داخلنا خائفين قلقين ؛ أن يفوتنا رمضان من غير أن
نعتق من النار ونكتب من أهل الجنة .. أصحاب السبت لما لم يعظموا أمر الله
في عدم الصيد يوم السبت ؛ مسخهم الله قردة ، قال تعالى : «فَلَمَّا عَتَّا عَنْ مَا
هُنُّوا عَنَّهُ قَنَا لَهُمْ كُوُنُوا قِرَدَةً خَسِيْعِينَ» [الأعراف: ١٦٦].

والله سبحانه وتعالى قال : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتُبَ عَلَيْكُمُ الْأَصْيَامُ كَمَا
كُتُبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَلَكُمْ تَنَقُّلُونَ» [البقرة: ١٨٣] ، فهذا أمر وفرض
وشعيرة عظيمة ، من عظمها فهو التقى ، قال الله تعالى : «ذَلِكَ وَمَنْ يَعْظِمُ
شَعَّابَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» [الحج: ٣٢].

التمرين الثالث : التدريب على استقامة القلب :

لكي نستعد لرمضان لابد من استقامة القلب ، بأن يكون الله أحب إلينا من كل شيء ، فنقدم محبته على كل شيء ، وأن نعظم أمره ونبهيه ؛ لأن تعظيم الأوامر والنواهي من تعظيم الأمر الناهي ، وأن نقوم بعملية تطهير ظاهري وباطني .

وسيكون ذلك بأمور منها :

١ - التعلق بالله :

أن يتعلق القلب بالله وحده ، وإن من أكبر عوامل فساد القلب التعلق بالأسباب ، لا تظن أنك بهذه الأسباب وحدها ستوفّق لطاعة الله ؛ بل لابد من عون من الله لك ، لابد أن يتعلّق قلبك بالله ، فأنت لا حول لك ولا قوة ، والحول والقوّة لله وحده ، ومن أخطر نتائج التعلق بالأسباب أن يحول الله بينك وبين قلبك ، قال تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ مَاءَمُوا أَسْتَعِجِبُوْلَهُ وَلَرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يَعْلِمُكُمْ وَأَعْلَمُوْلَهُ أَنَّهُ يَحْمُلُ بَيْنَ الْمَرْءَ وَقَلْبِهِ وَإِنَّهُ إِلَهٌ لَا يُحْشِرُونَ﴾ [الأفال: ٢٤] .

لابد لك من شوق محرق يأخذ يدك إلى ربك ، ولا يحصل لك ذلك إلا بأن تطالع أسماء الله وصفاته ، وتشاهد منن الله عليك وفضله السمايع ، وتطالع جنایتك فتتحسر على فوات الزمان في غير طاعة الله ، فتتشوّق لاستدراك الفائت ، وتهفو نفسك إلى عمل صالح يكفر ما قد كان من فعالك ، تذكر سبق السابقين وأنت لازلت قابع في شهواتك ، تذكر يوم الوعيد وأنت تأكل يديك حسرة وأهل الإيمان في الفردوس الأعلى قد تناعوا عن أمثالك .

٢- استيعاب القلب لأسرار الطاعات :

واستلهام حلاوة الإيمان.. فإذا فقه القلب أسرار الطاعة، وذاق لذة الطاعة، انصلح حاله.

إن آفة الأعمال أيها الأحبة أن تجري على الشكليات.. على المناظر.. على ما يبدو في الظاهر.. هكذا نشا أكثر أهل عصرنا، يتوضئون ويصلون ويصومون ويعتمرون ويحجون، وكل العبادات يؤدون كما رأوا آباهم وأجدادهم يفعلون، هكذا يستمرون، كما يفعل الناس يفعلون، دون دراسة حقيقة لأسرارها أو فقه لروحها، وبالتالي ضائع ثرها.

وُعِدْتَ ترثي صلاةً بغير خشوع، وقرأتَها بغير تدبر، وصياماً بغير تبتل، وحججاً وعمرة بغير حبٍ وشغفٍ وشوق.. كل العبادات تؤدي شكلياً أداة للواجب؛ ولكن دون وعيٍ صحيحٍ بأسرار العبادة؛ فكانت النتيجة أن تجد أعمالاً بغير نتيجة، ولا أثر لها على شخصية العبد ولا على حاله مع الله.

إننا أيها الأحبة.. إذا أردنا أن نذوق طعم العبادة، ولذة الطاعة فلا بد من معرفة حقيقة لأسرار العبادة، ورمضان له أسرار، وأسرار الصيام أعظم، ولعلك إن قرأت هذا الكتاب بكامله تجتمع لك من متفرقه أسرار هذه الطاعة العظيمة.

التمرين الرابع : تدريب القلب على الأنفة من المعاصي :

الأصل في القلب وجود هذه الأنفة بالفطرة، ولكن الفطرة تتبدل كما هو معلوم، وكما قيل: كثرة المساس تفقد الإحساس؛ فلذلك ينبغي على الإنسان أن يتحرى قبل رمضان إعادة هذه الحاسة إلى قلبه عند عدمها، أو تقويتها حال ضعفها، فيستكشف أن يعصي الله عز وجل وخصوصاً إذا استشعر حالته الإيمانية أثناء الصيام. ولا بد لكي تدرّب القلب على الأنفة من المعاصي قبل

رمضان من معايشة المعاني الروحية العليا ، كي تعود القلب على التفور من الكذب واستهجان الغيبة والنميمة وإنكار المعاصي والحد من منها ، ولابد أن يعايش معاني تدبر القرآن وتفهم الأذكار ، ويذوق لذة المناجاة والتضرع بين يدي الله ، فمن ذاق الحلاوة أنيف من مرارة المعاصي ؟ فتصبح همته متطلعة إلى معالي الأمور وتكره سفاسفها .

وفرصة الاستعداد لرمضان تدريب فعلي على الأنفة من المعاصي بكثرة الصيام وتلاوة القرآن ، وحال الانشغال بذلك لا يتصور عاقل أن يمارس المعصية حال أدائه للطاعة ، والأمر يحتاج إلى استنكار عقلي ، ثم رفض ذهني ، ثم انصراف فعلي عن المعاصي .

التمرين الخامس : الترويض على الانكسار لله عز وجل :

قال سبحانه وتعالى : «**كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَنَ لِيُطْغَى** ﴿١﴾ **أَنْ زَاهَدَ أَسْتَقْنَ**» [العلق: ٦-٧] ، إن رؤية الإنسان لنفسه بعين الغنى تجره إلى الطغيان ومجاوزة الحد ، فلا يليق بالمؤمن إلا الفقر ، وهو أصل خلقته ، ولكن هذا الفقر الداخلي يحتاج إلى استشعار حقيقي ليظهر أثره على الجوارح وفي الفكر والبعد .

ومعلوم أن الفقر وصف ذاتي لكل مخلوق ، وصف لازم له ، كما أن الغنى وصف ذاتي للخالق جل جلاله ، قال الله تعالى : «**يَتَائِبُهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفَقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَهُكُمْ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**» [فاطر: ١٥] ؛ فلابد أن تُظهر فقرك وذلّك وانكسارك بين يديه سبحانه وتعالى .

قال تعالى : «**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِسَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذْلَهُ**» [آل عمران: ١٢٣] .. وحينما تنظر في الفرق بين المسلمين يوم بدر ويوم أحد ؟ ماذا تجد ؟ .. يوم بدر : «**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِسَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذْلَهُ**» .. يوم أحد : «**وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمْتَنَعُونَ الْمَوْتَ إِنْ قَبْلِ أَنْ تَلَقَّوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**» [آل عمران: ١٤٣] .. هناك فرق بين من

خرجوا للجهاد حفاة .. عراة .. جياعاً .. والرسول ﷺ ينادي ربه : «إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض»^(١)، وبين : ليربئن الله ما أصنع.

في الأولى كانوا فيها في قمة الذل والانكسار .. وفي الثانية كان هناك شيء من رؤية النفس .. لم ينكروا تمام الانكسار فكسرهم .. سبحانه عزيز لا يغالب .

أيها الإخوة ، الطاعات مدد وأرزاق .. وحينما تدخل على الملك وأنت فقير يعطيك ، وإذا دخلت عليه وأنت مستعمل طردك ؛ لابد أن تدخل بفقرك وضعفك و حاجتك ومسكتك .

وهذا الباب - باب الذل - باب عظيم يوصل إلى رضا رب الكريم جل جلاله ، كما قال بعض السلف : أتيت الله من الأبواب كلها فوجدت ملائى ؟ فأتيته من باب الذل فوجدت خالياً ، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يفتخر بفقره لربه ، وبأنه عريق النسب في الفقر إلى الله ، فيقول :

أنا المُكَدِّي وابن المُكَدِّي وهكذا كان أبي وجدي

إن إظهارك الافتقار لله يستجلب لك رحمة الله وعفوه ، فأنت فقير إلى الله ، والله غني عنك وعن عملك ، وكل ما تعمل من عمل إنما هو لنفع نفسك : «فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضْلُلُ عَنْهَا» [يونس: ١٠٨] ، فالله سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية ، ولو أن خلقه كلهم أولهم وأخرهم وإنهم وجنهم كانوا على أتقى قلب رجل منهم؛ ما زاد ذلك في ملكه شيئاً ، ولو أن أولهم وأخرهم وإنهم وجنهم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منهم؛ ما نقص ذلك من ملكه شيئاً .

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣).

التمرين السادس : استئصال الأورام الخبيثة :

أيها الإخوة .. قد يتسرطن عيب .. وقد يتجلد ذنب .. وقد تتأصل عادة .. ولا يُجدي مع هذا أساليب العلاج التقليدية .. إنما هي عملية جراحية قبل دخول رمضان لاستئصال كل عيب .

أحد عشر شهراً قضيناها في اللعب والتهريج ، لذلك فإن علاج أمراض وما سي وذنوب ومخالفات وغفلة سبعة أشهر ليس بالأمر السهل ؛ لأنه من الممكن في هذه الفترة أن يظهر عيب صغير ، ولكن تركه سبعة أشهر كاملة يتسبب في انتشار سرطاني في الإيمان .

ومشكلة السرطان أنه يتفسى ويتشير ويملاً ما حوله .. فلا بد من الإسراع في معالجة هذه العيوب والذنوب والعادات السيئة ، لثلا تهيج وتقضى على القلب .. وعلاجها ليس تقليدياً بالمهدئات والمسكنات .. لا .. بل تحتاج لاستئصال سريع لإسعاف الحالة الإيمانية .. والاستئصال يتطلب خطوات

ثلاثة :

١ - همة عالية .. شحذتها بالأعمال :

قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْعَثُوا بِهِمْ وَهُوَ أَعْزَىُ الْحَكَمِ ذَلِكَ فَضْلُّ اللَّهِ يُؤْتَيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤-٣].

وقال رسول الله ﷺ : «لو كان الإيمان في الثريا؛ لنا له رجال»^(١).

وقال ابن القيم عليه رحمة الله : الوصول إلى المطلوب موقوف على همة عالية ونية صحيحة .

(١) متفق عليه ، البخاري (٤٦١٥) ، مسلم (٢٥٤٦) .

أحبتني في الله ..

الكلام سهل ، والوصف والتوصيف غاية في البساطة ، والوهم قاتل ، والأمني تغر ، والممْحُك هو العلم ، فأين الأعمال ؟ ، كثيراً ما نسمع كلاماً ونحصل على وعد ولا نرى عملاً حقيقياً مؤثراً ، كما قيل : أسمع ضجيجاً ولا أرى طحناً .

كثير من الشباب في غاية الكسل ، لا يعمل ولا يتحرك ثم يشتكي الفتور ! .. ويشكوا عدم الخشوع ، ويشكوا قسوة القلب ، ودواوه بين يديه ، قم وأعمل ، قال سبحانه وتعالى : «فَنَّ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَهْلًا صَلِيلًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ لَهُدًا» [الكهف: ١١٠]

إننا وبين يدي رمضان ، نحتاج إلى همة عالية ، نحتاج أن ندخل رمضان بنفسية التحدى ، أكون أو لا أكون .. وكأني بالصحابي الجليل أنس بن النضر وكان قد غاب عن غزوة بدر ، ونزل قول الله عز وجل : «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ» [البقرة: ٢١٨] ، قال : والله لئن أشهدني الله مشهدًا ليرين ما أصنع .. إنني أتعجب من هذه العزيمة .. أنا في غاية الإعجاب بهذه الكلمة .

أخي الحبيب ..

كم فات في عمرك رمضان ، لم تعتق رقبتك فيه على كثرة الفرص ؟!
كم فات من عمرك رمضان لم تغفر ذنبك المتقدمة على كثرة الفرص ؟!
كم فات من عمرك رمضان ، ولم تدرك ليلة القدر كما ينبغي على كثرة الفرص ؟!

ليتك تصنع كما صنع أنس بن النضر فتقول كما قال : والله لئن بلغني الله رمضان .. ليرين ما أصنع ..

ولكن ، القضية كما ذكرت لك سابقاً ليست كلاماً ، إنها تحدُّ وقعة وعزم .. لأننا رأينا من قالها قبل ذلك في أول رمضان ثم نام .. وإنما كانت صادقة من أنس بن النضر حتى إنهأشهد الله من نفسه البطولة في غزوة أحد بعدها مباشرة ؛ لأنَّه انصدع قلبه عندما علم بأجر المجاهدين الذي فاته ، فتحرق قلبه لنيل هذا الأجر ، فاستعد له قبل دخوله ؛ لذلك فإنني أريدك من الآن وقبل رمضان أن تستعد وتهيا .

فيلزمـنا العزم .. والقوـة .. والعمل المكثـف المستمر .. مع الـهمـة العـالـيـة ، حتى نبدأ في استئصال الأمراض القلبـية التي تفشت مع الغـفلـة الإيمـانـية خـلال السـنة المـاضـيـة ، فالخطـوة الأولى أن تـكـفـ عن الشـكـوـيـ ، وـتـرـكـ الكلام ، وـتـبـداـ العمل .

٢- لا تستعمل أي مخدر :

إننا نحتاج إلى بداية حقيقة ، دعونا من الخداع ، خداع النفس وخداع الآخرين ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ الْمُتَفَقِّينَ يَخْدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيرُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُشَّابًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذَكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿مَذَدِّيَنَ يَبْنَ ذَلِكَ لَا إِلَّا هَذُولَةٌ وَلَا إِلَّا هَذُولَةٌ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢ - ١٤٣] ، بالـمـصـارـحة أقول : دـعـكـ من المسـكـنـات ، وـدـعـكـ من حقـنـ التـخـدير ، وأطـبـاءـ التـخـديرـ الـذـي يـصـفـونـ العـلاـجـ المؤـقـتـ وـيعـالـجـونـ بالـوـهمـ .

إننا حين نـريـدـ أن نـسـتـقـبـلـ رمضانـ بـنـفـسـيـةـ التـحـديـ الـتـي اـتـفـقـنـاـ عـلـيـهاـ سـابـقاـ - أـكـونـ أوـ لـاـ أـكـونـ - لـاـ يـصـلـحـ أـقـولـ لـكـ : تـدـرـجـ فـيـ العـبـادـاتـ ، فـيـ الصـيـامـ وـالـقـيـامـ وـالـذـكـرـ وـتـلـاوـةـ الـقـرـآنـ ؛ فـإـنـ هـذـاـ الـكـلـامـ لـاـ يـصـلـحـ الـيـومـ ، إـنـماـ يـصـلـحـ فـيـ الـأـوقـاتـ الـعـادـيـةـ حـينـماـ يـكـوـنـ هـنـاكـ مـتـسـعـ مـنـ الـوقـتـ ، أـمـاـ الـآنـ وـفـيـ الـاسـتـعـدـادـ لـرمـضـانـ .. اـبـدـأـ فـورـاـ .. لـاـ يـصـلـحـ الـمـسـكـنـاتـ ، وـلـاـ تـرـضـيـ بـالـتـخـديرـ ، وـتـحـمـلـ

الم البتر ، بتر البطالة والكسل ، بتر الغفلة واللهو واللعب ، بتر الأماني والخداع والجهل ، بتر كل الأمراض ليصح الإيمان .. ابدأ فوراً.

٣- ابدأ العملية الجراحية فوراً :

فوراً .. فوراً .. لا تسويق .. لك أسوة في أئمتك من الرسل والأنبياء ، انظر إلى سيدنا موسى عليه السلام كما جاء في الحديث : «أَرْسِلْ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَيَّ مُوسَىٰ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ، فَرَجَعَ إِلَيَّ رَبِّهِ فَقَالَ: أَرْسِلْنِي إِلَيَّ عَبْدَ لَا يَرِيدُ الْمَوْتَ، فَرَدَ اللَّهُ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِ وَقُلْ لَهُ: يَضْعُفُ يَدُهُ عَلَى مَنْ ثُورَ فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٍ، قَالَ: أَيْ رَبُّ ثُمَّ مَاذا؟!، قَالَ ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ»^(١). نعم إن كان الموت لابد منه فالآن .. عزيمة ماضية . وكذلك سيدنا النبي محمد عليه السلام ، لما خير بين مفاتيح خزائن الأرض والخلد فيها وبين ما عند الله ، اختار ما عند الله .

ولما استعد عليه للخروج إلى غزوة أحد ثم حاول بعض الصحابة أن يقنعوه بالمكث في المدينة ، قال : «ما كان لنبي ليس لأمة الحرب أن يضعها حتى يفصل الله بينه وبين عدوه»^(٢).

في الاستعداد لرمضان ، لبست لأمة الحرب وبدأت الاستعداد ؛ فابداً فوراً بدون تسويق وبدون تأجيل ، لا تقل : سأحاول ، قل : قررت ، لا تقل شيئاً ، ابدأ فعلاً في التخلص من أمراضك القلبية ومعاصيك الظاهرة والباطنة ، تخلص من الغفلة والجهل ، تخلص من كل ما يحرملك من رضا الله ويحول بينك وبين دخول الجنة .

(١) أخرجه مسلم (٢٣٧٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣٥١/٣) ، وصححه الألباني (١١٠٠) في «السلسلة الصحيحة».

التمرين السابع : إجراء بعض تمارين العزيمة والهمة :

قال سبحانه وتعالى : «يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ ۝ فِي أَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ يَقْصُدُهُ أَوْ أَنْقُضُ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زَدَ عَلَيْهِ وَرَأَلَ الْقَرْمَانَ تَرْبِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا تَفِيلًا ۝ إِنَّ نَاسَةَ الْأَيْلِ هِيَ أَشَدُ وَطْعًا وَأَقْوَمُ قَلِيلًا ۝» [المزمول: ٦-١] ، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : أنزل الله صدر سورة المزمل وفرض فيها القيام على رسول الله ﷺ وأصحابه ، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه ستين ، حتى تورمت سوقةهم حتى كأنها چذوع النخل ، ثم أنزل آخرها وفيه التخفيف .

إنها تمارين العزيمة والهمة ، في بداية أمر الدعوة والأمر شاق والحمل ثقيل ،
فلا بد من تمارين العزيمة ، بذاتها جبريل عليه السلام بخطة أو ثلاثة خطوات لرسول
الله ﷺ كما وصفها صلوات الله وسلامه عليه حين قال : «فَعَطَنِي حَتَّىٰ بَلَغَ مِنْيِ
الْجَهَدِ ثُمَّ أَرْسَلَنِي وَقَالَ اقْرَا»^(١) ، ثُمَّ فُرِضَ القيام سنتين ؛ تدريب وتربيَّة .
كذلك لابد من إجراء بعض تمارين العزيمة والهمة قبل دخول رمضان ،
لتدخل رمضان بهمة عالية .

وكان أبو مسلم الخولاني قد علق سوطاً في مسجد بيته، يؤدب به نفسه، وكان إذا فترت رجله عن القيام يضر بها بالسوط وهو يقول: قومي فوالله لا زحفَنْ بك زحفاً، حتى يكون الكلُّ منك لا مني، ويقوم قائلاً: أيظن أصحابُ محمدٍ أن يستأثروا به دوننا، كلا والله لنزاحمُنَّهم عليه، حتى يعلموا أنهم خلُفوا وراءهم رجالاً.

هيا يا رجال .. كونوا رجالا .. زاحموا الأكابر .. لا تتكلوا ولا تملو ..

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لصبيح : يا صبيح ؛ تعود العبادة ؟ فإن لها عادة ،
وإنه ليس على الأرض شيء أثقل عليها من كافر .

^{١)} متفق عليه، البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

لابد من استعداد حقيقي، استعداد عملي قبل رمضان، لابد من تمارين العزيمة.

ليلة تصلى فيها ركعة بخمسة أجزاء كما فعل النبي ﷺ حين صلى في ركعة البقرة والنساء وأآل عمران.

وليلة تقول : هذه ليلة الركوع ، فيطول فيه التسبيح والتملق وتعظيم الرب .

وليلة تقول : هذه ليلة السجود ، وتنقضي الليلة في سجود طويل يتسم بالذل والبكاء والخوف والرجاء ..

وليلة تقوم الليل كله بآية واحدة ترددتها وتبكي وتتوسل بها حتى الصباح .

وهكذا تمارين ، يوم للتسبيح ، ويوم للتهليل ، ويوم للصلوة على النبي ﷺ ، وتمارين سرد الصيام ووصال ليلة إلى السحر .. تمارين ، وهكذا أخي الحبيب ابدأ تمارين العزيمة والهمة ، استعن بالله ولا تعجز ، واعلم أن النصر مع الصبر ، والفرج مع الكرب ، وأن بعد العسر يسراً .

التمرين الثامن : ترويض الحواس :

وذلك بأن تعود حواسك على الطاعة ، فتعود عينك على النظر في المصحف ، وتمنعها من النظر إلى المترجلات ، تعود أذنك على سماع القرآن ، على سماع العلم ، وتمنعها من سماع الأغاني والمسلسلات والكذب والفحش والزور ، تعود لسانك على إدمان الذكر والإكثار منه ، تعوده على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تروضه أن يقول الصدق ، وأن يبذل النصيحة للمؤمنين ؛ لأن هذه الحواس إنما هي منافذ للقلب ، فالعين توصل إليه النظارات ، والأذن توصل إليه الكلمات ، واللسان يوصل إليه السبات ، والإنسان مسئول عن جوارحه وحواسه هذه يوم القيمة قال تعالى : «إِنَّ أَسْعَنَ

وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْتَغْلِلًا ﴿الإِسْرَاءَ: ٣٦﴾، فلابد من ترويضها استعداداً؛ لأن تكون لينة منقادة لك في رمضان، ويسهل عليك فيه قيادها.

ولابد من الصبر على التمرين ، واليقين من أن الله سيفتح عليك مع مداومة الوقف ببابه ، فالزم الباب واصطبر؛ فإنما هي ساعات .. والله سبحانه وتعالى كريم شكور ، إذا رأك تجاهد فيه وتتدرّب على طاعته فلن يُضيّعك بل سيعينك ويوفّفك هذا هو الظن به وهو الكريم ؛ فاستمر في الترويض والتدرّب ولا تيأس إن تأخرت لذة الطاعة ، طالما أنك في مقام التزلف إلى الله و «التلبيّن» لرضاه ، فهو القائل سبحانه : ﴿الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ۚ وَتَقْلِبُكَ مَنْ فِي الْشَّمْدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩-٢١٨] ، ويقول رسول الله ﷺ : «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل؛ يقول دعوت فلم أر يستجب لي»^(١) ، ويقول الله سبحانه وتعالى : «وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ» [الطور: ٤٨] ، ويقول سبحانه : «وَاصْبِرْ صَبَرًا حَيْلًا» [المعارج: ٥] ، فمع الصبر والترويض تصل إلى ما تريد إن شاء الله .

التمرين التاسع : الاستحضار الذهني للعبادات قبل الشروع فيها :

هل رأيت نفسك وأنت ساجد ؟

حاول أن تخيل هذا المشهد : جبهتك على الأرض .. أنفك يضغط على الأرض .. بطنك تتدلى على الأرض .. خشوع عجيب غير مفعل في العينين .. اليدين ترتكز بقوّة على الأرض وكذلك الركبتين ؛ لأنك لم تر هذا الوضع وتأمله في نفسك لا تشعر به ؛ لذلك أدعوك للتّصور الذهني لأي عبادة قبل الشروع فيها ، هذا يساعدك على تحصيلها كما ينبغي وإنقاذها كما يجب .

قبل أن تصلي بربع ساعة تفكّر : من الذي ستقف أمامه ؟ .. أغمض

(١) متفق عليه ، البخاري (٥٩٨١) ، مسلم (٢٧٣٥) .

عينيك وأستحضر أنني واقف أمام الله، **﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّابَ﴾** [الرحمن: ٤٦] .. وأستحضر عظمة الله، فيتزعج القلب ويفرغ، فيخاف ويخشى، والعلماء يقولون: الخشوع في العبادات قبل الشروع فيها؛ سبب للخشوع فيها، قال رسول الله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة، فلا تأتوها تسعون، ولكن ائتها وأنتم تمثون عليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا»^(١)، وفي الرواية الأخرى: «إذا أتيتم الصلاة ائتها بسکينة ووقار»، قال ابن حجر في شرح هذا الحديث: يستفاد منه أنه يعتمد للسير إلى الصلاة ما يعتمد في الصلاة.. كما يأتي المدد على قدر حضور القلب واستجماع الفكر والتركيز في العمل.

فلا بد أخي الحبيب من فهم قضية الصيام والحكمة منه، واستشعار اللذة، خذ مثلاً للاستحضار الذهني من الآن مشهد إنسان قبل الأذان بدقة أو دققتين، هو في غاية الجوع والعطش والضعف والخور، وأمامه وبين يديه ملك يمينه جميع أنواع الأطعمة والمشروبات، ولا يرضى ولا يقبل أن يمد يده ليشرب أو يأكل، وإن قيل له: ما الفرق بين الآن وبعد دققتين؟

إن الاستحضار الذهني لهذا المشهد يجبيك أن الفرق كبير جداً جداً، وعظيم مجمله كلمة واحدة: حتى يأتي الإذن من الله.

إن الاستحضار الذهني لهذا المعنى هو الصيام، لا مجرد الترك، فافهم وجرب وقاوم وأنت في فترة الاستعداد.

التمرин العاشر: لزوم جناب الاحتشام ودؤام الإطراف:

من أنت؟، هل تعرف نفسك؟، هل تعرف قدرك؟، هل تعرف

(١) متفق عليه، البخاري (٦٠٩)، مسلم (٦٠٣).

وَضَعْكُ؟ اسْمَعْ معي هذَا الْحَدِيثُ ثُمَّ قَرَرَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَذْنَ لِي أَنْ أَحْدَثَ عَنْ دِيكَ، قَدْ مَرَقْتُ رِجْلَاهُ مِنَ الْأَرْضِ، وَعَنْقِهِ مُنْتَنِي تَحْتَ الْعَرْشِ يَسْبِّحُ اللَّهَ فَيَقُولُ : سَبَّحْتَنَّكَ مَا أَعْظَمْتَكَ ! ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَا عَلِمْ بِهِذَا مِنْ حَلْفٍ بِي كَادْنَا»^(١).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «رَأَيْتُ لِيْلَةَ مَا أُسْرِيَ بِي جَبَرِيلَ وَهُوَ عَلَى هِيَتِهِ ، لَهُ سَمِائَةُ جَنَاحٍ كُلُّ جَنَاحٍ يَسْدِدُ الْأَفْقَ»^(٢) ، تَأْمَلْ معي هذِهِ الْمَخْلوقَاتِ خَلْقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ ، وَمَا بِالْكَوَاكِبِ وَالنَّجُومِ وَالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ .

إِنَّ هَذَا التَّأْمَلُ يَجْعَلُ إِنْسَانًا يَتَصَاغِرُ فَيَلْزَمُ الْاحْتِشَامَ وَيَدِيمُ الْإِطْرَاقَ وَلَا يَجْرُؤُ عَلَى رَفْعِ رَأْسِهِ ، مَنْ أَنْتُ؟! ، وَمَاذَا أَنْتُ؟!

ثُمَّ تَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَفِي وَسْطِ آيَاتِ الصِّيَامِ : «وَإِذَا سَأَلْتُكُ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» [البقرة: ١٨٦] ، إِنَّ اسْتِشْعَارَ هَذَا الْمَعْنَى فِي الصِّيَامِ خَصْوَصًا فِي غَايَةِ الْأَهْمَى؛ لِأَنَّ الصِّيَامَ سُرُّ بَيْنِ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ ، فَيَحْتَاجُ إِلَى دَوْمِ الْمَرَاقِبَةِ ، وَمَعَ دَوْمِ الْمَرَاقِبَةِ نَصِلُ إِلَى الْمَعْنَى الْأَعْقَمِ ، وَهُوَ اسْتِشْعَارُ الْمَعْيَةِ ، فَيُطْرَقُ إِنْسَانٌ حَيَاءً وَيَحْتَشِمُ خَجْلًا ، وَخَصْوَصًا حَالُ ذَكْرِ اللَّهِ ، قَالَ رَبِّنَا سَبَّحَنَهُ وَتَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقَدِيسِ : «أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرْنِي وَتَحْرَكْتَ بِي شَفْتَاهُ»^(٣) ، وَأَيْضًا : «مَنْ ذَكَرْنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتَهُ فِي نَفْسِي»^(٤) ، وَقَالَ سَبَّحَنَهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ : «فَأَذْكُرْنِي أَذْكُرْكُمْ» [البقرة: ١٥٢] ، وَلَمَّا عَلِتْ أَصْوَاتُ الصَّحَابَةِ بِالتَّسْبِيحِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّكُمْ

(١) أَخْرَجَهُ الْحَاكَمُ (٤/ ٣٣٠) ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ (١٥٠) فِي «السَّلِسْلَةِ الصَّحِيحةِ» .

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١/ ٤٦٠) ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ (٣٤٦٤) فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ» .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ (٦/ ٢٧٣٦) .

(٤) مُتَقَوِّلٌ عَلَيْهِ ، الْبَخَارِيُّ (٦٩٧٠) ، مُسْلِمٌ (٢٦٧٥) .

لا تدعون أَصْمَّ وَلَا غَائِبًا؛ إِنْكُمْ تدعون سَمِيعًا قَرِيبًا، أَقْرَبُ إِلَى أَحْدَكُمْ مِنْ عَنْقِ رَاحِلَتِهِ^(١).

إنني أريد أن تنزل النصوص السابقة على قلبك دواء نقطة نقطة ، لعلاج الأمراض القلبية الخطيرة ، قبل دخول رمضان مثل : الكبر ، والعجب ، والغرور ، ورؤية النفس ، والتعالي على الآخرين ، والأناية وحب الذات ، والأثرة ، والافتخار ، والمن ، والتالي .

قال ابن الجوزي - عليه رحمة الله : «تضاعف ما أمكنك ؛ فإن اللطف مع الضعف أكثر » .

أنت تحتاج إلى لطف الله بك ليغافيك ويعينك ، فاظهر ضعفك وانكسارك ولا تشمخ بأنفك فيعرض عنك فتخسر الدنيا والآخرة .

التمرين الحادي عشر : ملاحظة المنة :

قال ابن القيم - عليه رحمة الله : «والعبد يسير إلى الله بين مشاهدة المنة ، ومطالعة عيوب النفس والعمل» .

وأنت تمرن على الطاعات استعداداً لرمضان ؛ ينبغي أيضاً أن تلاحظ فضل الله عليك لنوالك شرف الطاعة والتوفيق لها .. ملاحظة المنة لنوالك شرف القيام بين يدي الله .. لنوالك شرف ذكره .. وكرامة ورود كلماته على لسانك .. لنوالك شرف جريان العبادة على جوارحك رغم كثرة معااصيك .. أدخلك بيته ومن عليك بالحج والعمرة ، وعفاك وقواك .. وسمح لك وهو العظيم ، وزاد فضله عليك فاختارك واصطفاك ؛ على الرغم من عدم استحقاقك ..

إذا استشعرت أنه سبحانه الأول الذي يبتدا من عنده الخير والرحمة ؛ فهو

(١) متفق عليه ، البخاري (٢٨٣٠) ، مسلم (٤٧٠) .

المعد وهو الممد ، فبداية طاعتكم من الله ونهايتها إلى الله ، قال سبحانه : «ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِتُشْوِبُوا» [التوبه: ١١٨] ، وقال تعالى : «أَلَّا يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبِلُ التَّوْبَةَ عَنِ عِبَادِهِ، وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرِكَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَسُولُهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرِّدُونَ إِلَى عَلِيهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَدَةَ فَيُنَتَّشِرُ كُلُّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» [التوبه: ١٠٤-١٠٥].

وقال عز وجل : «هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» [الحديد: ٣] ، وأنت تعيش بين هذين الاسمين الأول والآخر .. استشعر ذلك حتى يحدث لك التبرى من الحول والقوه ؛ وعندئذ لا ترى عملك ، وإنما ترى فقط أن الكريم سبحانه هو الذي من عليك وشغلك بطاعته .. وأكرمك عنده .. اللهم أكرمنا ولا تهنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا .

ملاحظة المنة تطهر القلب من رؤية العمل ، وحظ النفس ، والرياء والسمعة .. اللهم ارزقنا شكر نعمتك وحسن عبادتك .. اللهم إنا نحمدك حمداً كثيراً يوافي نعمك ويكافئ مزيديك .

التمرين الثاني عشر : تهدئة نمط الحياة :

تحفيض سرعة حركة الحياة تمهدًا للتوقف في رمضان ، والتخفف من أعباء الدنيا ومحاولة إزالة همومها العارضة ، والحد من الانشغال بها والتلهي بها عن طاعة الله ، فلابد من رؤية .. لابد من دقة في التوفيق بين أعمال الآخرة التي هي خير وأبقى وبين أعمال الدنيا التي هي ذاهبة زائلة .

إننا نعيش في هذا الزمان حياة مليئة بالحركة والسرعة ، فعلاً نعيش في هذه الأيام سرعة التغيير ودوم التغيير ومفاجأة التغيير ، فلا توجد فرصة حقيقة للإنسان للتفكير قبل التغيير ، وهذه أكبر أخطار هذا العصر ؛ لذلك قبل رمضان نحتاج أن يمهل الإنسان نفسه ، يعطي نفسه فرصة للهدوء الذهني والقلبي ، فرصة لمراجعة

نط الحياة ، وتهذّة هذه السرعة ؛ ليحصل التروي والتعقل فيأخذ القرار بإيثار الآخرة على الدنيا فيكون الاستمرار لأن القرارات السريعة تتغير بنفس السرعة .
هيا أيها الحبيب .. الهدوء .. الهدوء .. السكينة .. السكينة .
أيها الإخوة ..

هيا استعدوا لرمضان ولا يكن حظكم منه الخسران والخذلان ، يا أيها المجتهد ، هذا ربيع جدك ، أيها الطالب هذه أوقات رفك ، تيقظ أيها الغافل من سنة البطالة ، تحفظ أيها الجاهل من شبهة الضلال ، اغتنم سلامتك في شهرك ، قبل أن تُرثِّئَنَ في قبرك ، قبل انقضاء مدتك ، وعدم عدتك ، وانقطاع صوتك ، وعثور قدمك ، وظهور ندمك ؛ فإن العمر ساعات تذهب وأوقات تنذهب ، وكلها معدودة عليك ، والموت يدنو كل لحظة منك .

يا غيوم الغفلة عن القلوب تقشعبي ، يا شموس التقى والإيمان اطلعى ، يا صحائف أعمال الصائمين ارتفعى ، يا قلوب الصائمين اخشعي ، يا أقدام المتهجددين اسجدى لربك واركعى ، يا عيون المتهجددين لا تهجمعي ، يا ذنوب التائبين لا ترجعي ، يا أرض الهوى ابلعى ماءك ، وبأسماء النفوس أقلعى ، يا بروق الأنوار للعشاق المعي ، يا خواطر العارفين ارتعى ، يا همم المحبين بغير الله لا تقعنى ، قد مدت في هذه الأيام موائد الإنعام للصوام ؛ فما منكم إلا قد دُعى ، وبأسماء المؤمنين أسرعى ، فطوبى لمن أجاب فأصاب ، وويلٌ لمن طرد عن الباب وما دُعى .

﴿يَتَوَقَّمَنَا أَجِبُّوا دَاعِيَ اللَّهِ وَمَأْمُّوا بِهِ، يَغْفِرُ لَكُم مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُحِكِّمُ مِنْ عَدَابِ أَلَيْرٍ ﴾ وَمَنْ لَا يُحِبُّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَفْلَانَهُ أَفْلَانِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٣٢-٣١]

اللهم أعنّا ووفقنا للإعداد لرمضان .. بحولك وقوتك يا كريم .

كَيْفَ

لَنْ تَقْبَلْ مُضِيَّاً
لَنْ تَقْبَلْ صَرْفاً

حَفَاوةُ الدُّرْجَاتِ تَغْدِيل

مَنْ كَانَتْ لَهُ بُدَائِيَّةٌ مُّحَرَّقةٌ ..
كَانَتْ لَهُ نَهَائِيَّةٌ مُّشَرِّقةٌ

استقبال رمضان

«الوصايا العشر قبل دخول الشهر»

قال الله تعالى : **﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الْشَّهْرَ فَلَيَصُمُّهُ﴾** [البقرة: ١٨٥] ، أمر الملك سبحانه أن من شهد فليعمل ، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : «لا تجعل يوم صومك كيوم فطرك ، لا تجعلهما سواء » ، لابد من التغيير .

إنه بمجرد ظهور هلال رمضان في السماء تفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النار وتصعد الشياطين وينادي المنادي .

سبحان الملك ! ، تغير جذري عجيب في الكون كله ، يجب أن يستشعره المؤمن صاحب العقل اليقظ والقلب الحي ، ويحصل منه استقبال لهذا الشهر ، استقبالاً حقيقياً ، فيظهر أثر ذلك الاستقبال في تغير نمط الحياة ؛ لأنه يتعامل مع الكون ، فإذا تغير الكون يجب أن يتغير هو أيضاً ؛ لذلك أول ما تستقبل به الشهر :

فُكَ الشَّدُّ العصبي في العِراك مع الحياة لتحصل المصالحة ..

لابد من عقد هدنة بين جميع الأطراف خلال هذا الشهر لنصل إلى الهدف المنشود بسلام : العتق من النار ، فإليك هذه الوصايا العشر ، اعمل بها برحمك الله .

الوصية الأولى : هدنة مع المناقشات والجدال :

في المنزل مع الزوجة والأولاد ، وتهيئة بيته رمضانية إيمانية ، قال سبحانه : **﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ يُوتِكُمْ سَكَّاً﴾** [النحل: ٨٠] ، ويكون ذلك بما يلي :

(١) محاولة فض جميع المشاكل والمنازعات قبل دخول الشهر ، حتى لا تعكر عليك جوك الإيماني ، وحتى لا تعرقل طاعاتك التي تريد القيام بها ، لابد أن تخلص من هذه المشكلات وأن تضع لها حلولاً جذرية حتى لا تؤثر على عبادتك .

(٢) إجراء محاضر صلح بين أفراد الأسرة جميعاً ، فتنقي البيئة من حولك من شائبة الاختلافات والخصومات ، واعمل على أن تُوجِّد جوًّا من المحبة والتواط والتقارب بين أفراد الأسرة ؛ فإن ذلك مما ييسر السبيل أن يطيعونك ويطعوا ربهم سبحانه وتعالى ، قال تعالى : « وَقُلْ لِمَبَادِي يَقُولُوا أَتَى هَذِهِ أَحْسَنٌ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَعُ بَيْنَهُمْ » [الإسراء : ٥٣] .

(٣) عقد اجتماع طاري وعاجل مع جميع أفراد الأسرة للاتفاق على المبادئ والأصول التي سيتم السير في ظلالها خلال شهر رمضان ، ومن هذه المبادئ :

- * التخلی عن التلفاز و مشاهدته ، وإقناعهم أنهم لن يخسروا شيئاً إذا فعلوا ، وتعالوا نجرب أن نستبدل ذلك بأعمال إيمانية وقربات نافعة .

* إيقاف سيول الأغاني الجارفة التي تقتل الإيمان .

* ضبط اللسان والحد من انحرافه إلى ما يغضب الله .

* إلغاء السهرات والعزومات الدعوات أو التقلل منها ، قدر الإمكان .

(٤) اتخاذ السبل الجادة لإنقاذ جميع أفراد الأسرة من النار ، قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوْمًا فَوْقَ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا أَنَّاسٌ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَئِكَةٌ غَلَاظٌ شَدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يَوْمَنُونَ » [التغريم : ٦] ، قال ابن عباس رَوَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ : أي علموهم الخير وأدبوهم .

الوصية الثانية : إقامة هدنة في العمل مع الزملاء والمسئولين :

وذلك يكون بالتجاوز عن الخصومات ومصالحة الجميع ونسيان الخلافات ،

والبدء بصفحة نقية بيضاء ، لا نريد زوبعة المشاكل في العمل ، ولا نريد الانشغال بقيل وقال ، لا نريد ضياع الأوقات في فضول الكلام ، ولابد من الإصلاح بين المتخاصمين والوصول إلى حل وسط لإرضاء جميع الأطراف في غير معصية الله ، قال تعالى : «فَأَتَقْوُا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ» [الأنفال: ١].

نريد أن يكون تعاملك مع زملائك في العمل مبنياً على حصول المكاسب لك في الدين ، وإن خسرت الدنيا ، ولابد كذلك من إتقان العمل وإحسانه لاسيما وأنت صائم تراقب الملك سبحانه ، قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يَتَقَنَّهُ»^(١).

الوصية الثالثة : إقامة هدنة مع نفسك للتخلص من سموم القلب :

وسوم القلب خمسة : فضول الطعام ، وفضول الكلام ، وفضول النوم ، وفضول الاختلاط ، وفضول النظر .

١- هدنة مع الأكل ، إنه شهر صيام وتقليل لا شهر أكل ونهم وتوسيع :

الطعام وقود الشهوات ، وامتلاء المعدة بالطعام سبب لكسل البدن عن العبادة ، وإذا أكل المرء كثيراً شرب كثيراً ، فنام كثيراً وخسر كثيراً ، وتأمل كيف أن النبي ﷺ أمر الشاب العزب بالصيام ؛ وعلل ذلك بأن الصيام «وجاء أي قاطع للشهوة ، يقضي عليها ويهذبها ، وقد علمنا النبي ﷺ فقه الطعام فقال : «ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لابد فاعلاً ، فثلاث لطعامه وثلاث لشرابه وثلاث لنفسه»^(٢) ، نريد

(١) أخرجه أبو يعلى والطبراني في «الكبير» (٣٠٦/٢٤) ، وصححه الألباني (١٨٨٠) في « صحيح الجامع » .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١١١/٢) ، وصححه الألباني (١٩٨٣) في « صحيح إرواء الغليل » .

هذنة مع الأكل ، قال سبحانه : «**كُلُّا مِنْ طَيْبَتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَعْطُفُوا فِيهِ فَيَحِلُّ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ وَمَنْ يَتَّلَقَّ عَلَيْهِ عَذَابٌ فَقَدْ هُوَ**» [طه: ٨١] ، اكتف بلقيمات كما أمرت .

٢- هذنة مع الكلام : رجاء .. أغلق فمك في رمضان :

قال رسول الله ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيراً أو ليصمت»^(١) ، كل كلمة تخرج من فمك فهي إما ثواب وإما عقاب ، قال الله جل جلاله : «**مَنْ يَأْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لِدَيْهِ رَفِيقٌ عَيْدِنٌ**» [ق: ١٨] ، وكثرة الكلام مدعوة للخطأ .

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : «من صمت نجا»^(٢) ، وقد جعل الله لك لساناً واحداً وأذنين ليكون ما تسمع أكثر مما تتكلم ، والبلاء موكل بالنطق ، فاحذر فضول الكلام ، واحذر الاسترسال في الحديث عن الدنيا فإن ذلك يقسي القلب ، وإن استطعت إلا ترد على الهاتف إلا لأمر ضروري فافعل ، وأن تأمر زوجتك بالتوقف عن المكالمات التي تمتد ساعات بلا فائدة ، والتي تضيع الوقت ، وعادة ما تؤدي إما إلى الحديث في أمور الدنيا ، وإما في الغيبة والنميمة فهكذا أحاديث النساء دائمًا .

فلا تستخدم الهاتف إلا لطاعة الله كان تبر والديك أو تصل رحمك أو تنهي أعمالاً مهمة أو تدل على خير ، وألجم لسانك عن قول ما لا يرضي الله عز وجل ، وقد سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار قال : «الفم والفرج»^(٣) .

(١) متفق عليه ، البخاري (٥٦٧٢) ، مسلم (٤٧) .

(٢) أخرجه أحمد (١٥٩/٢) ، وصححه الألباني (٥٣٦) في «السلسلة الصحيحة» .

(٣) أخرجه أحمد (٣٩٢/٢) ، وصححه الألباني (١٧٢٣) في « صحيح الترغيب والترهيب» .

وهما أيضاً سبب لدخول الجنة ، فقد قال رسول الله ﷺ : «من يضمن لي ما بين لحيه وما بين رجليه أضمن له الجنة»^(١) ، وهذا يدلّك على خطر اللسان وخطر كلّ ما يخرج منه .

الشاهد إخوته : لابد أن تخلص من فضول الكلام ؛ فإنه من سموه القلب ، واستقبل رمضان بالصوم أيضاً عن الكلام .

٣- هدنة مع السرير .. دعه يستريح منك شهراً :

النوم نعمة من الله على عباده ، لكنها إذا تعدت حد الإفراط أفسدت القلب ، سيأتي معنا في برنامج الصائم اليومي أنه يكفيك أن تنام أربع ساعات في اليوم في رمضان ؟ لأنك تطلب شيئاً عظيماً ، بل تطلب أعظم شيء وهو جنة الله ، اللهم إنا نسألك الجنة يا رب ، فلا بد أن تقلل من ساعات نومك ؛ لأنك في حالة طوارئ ، تتعب في تحصيل غاية كبيرة ، بل هي أكبر غاية ، فاحذر كثرة النوم حتى لا يضيع عمرك ويضيع دينك وقلبك .

كلما حدثتك نفسك بالنوم والتکاسل عن العبادة ، أغمض عينيك وتخيل الجنة ، وقل لنفسك : أترضين أن تخسر الجنة ؟ ، أنتامين وهناك من يسبقاً الآن إليها ، أما علمت أن فلاناً يتلو القرآن الآن ، وفلاناً يصلِي من الليل الآن ، فماذا سيفيدك النوم إذا سبقك هؤلاء إلى الجنة بدرجات !!

لذلك أصححك - أخي - أن تجعل لك صديقاً مخلصاً ذا همة عالية تتنافس معه في العبادات ، تتنافسان من يختتم القرآن أولاً وكم مرة ، تتنافسان على قيام الليل ، وعلى ذكر الله ، ويوقظ كل منكما الآخر فإن ذلك يجلب لك همة ونشاطاً ، قال الله تعالى : «وَفِي ذَلِكَ فَلَيَتَّقَىَنِ الْمُتَنَاهِسُونَ» [المطففين: ٢٦] .

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٩) .

٤- هدنة مع الناس .. أنفاس الناس دخان القلوب :

ومخالطة الناس بلاء ، قال بعض السلف : هذا أوان السكوت ولزوم البيوت .

إن الناس يشطونك ويخذلونك عن الطاعة ، وقلما تجد منهم ناصحاً أميناً ، فاحذر مخالطة أهل الدنيا ، فإن خلائق السفهاء تُعدي ، وكما يقول علماء التربية : «الطبع سرّاقة» ؛ و«الإنسان ابن بيته» ، فإن كان لابد من مخالطة فلتكن يسيرة ، ولتكن بالصالحين ، وعليك بذوي الهمم العالية منهم ، من إذا دلّته على خير سبقك إليه لا يشطرك عنه . ابحث عنمن تعلم أن همه في الثريا وليس في الشري .

وقد أمر رسول الله ﷺ بأن يصبر نفسه مع المؤمنين المجدين في السير إلى الله ؛ فقال الله تعالى : «وَأَصِرْ فَسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفَدْنَةِ وَالْقِشْتِيِّ بُرِيدُونَ وَجَهْمَ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ثُرِيدُ زِيَّنَةَ الْحَيَاةِ» [الكهف : ٢٨] ، ثم أمره تعالى بأن يجتنب مخالطة الغافلين وطاعتهم فقال : «وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلَنَا قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَأَتَبَّ هَوَيْهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا» [الكهف : ٢٨] ، وقد حذرنا ربنا عز وجل كذلك من الركون إلى الظلمة ومخالطتهم ، وهذا يشمل العصاة المجاهرين بالعصيان كذلك ، فرؤيتهم تقسي القلوب ، كما أن رؤية الصالحين تذكر بالله ، قال تعالى : «وَلَا تَرْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَسْكُنُمُ النَّارُ» [هود : ١١٣] .

٥- هدنة مع العينين .. أغمض عينيك .. أرح بصرك :

قال تعالى : «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَخْفَظُوا فِرْجَهُمْ» [النور : ٣٠] ، وفي الآية التي تليها مباشرة : «وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضُنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَ وَيَخْفَظُنَ فِرْجَهُنَ» [النور : ٣١] ، والنظر إلى المتبرجات يفتت عزم القلب .. يشتت القلب وبذلك لأنه سُم ، وإطلاق البصر سُبيل لحصول الظلمة في القلب ، كما

أن غض البصر سبيل لحصول النور والبصيرة في القلب ، ولذا جاءت آيات النور بعد آيات الأمر بغض البصر ، وليس غض البصر عن النساء فقط ، وإنما كذلك غضه عن النظر إلى متاع الدنيا الذي يُسْيِي ويلهُي ، قال تعالى : «وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى» [طه: ١٣١].

لابد من راحة للبصر لكي تنطلق البصيرة ، وسبيل ذلك أن يسعك بيتك ولا تنطلق في الشوارع ، اشغل نفسك ببعض الطاعات : لا تجده وقتاً للخروج ، واشغل بصرك بالنظر في المصحف ، لا ترى أحداً.

الوصية الرابعة : عمل هدنة مع الأرحام والوالدين :

إن شعورك - مجرد شعورك - أن كل الناس يحبونك ويعجبون بك .
مجرد شعور أنك ليس لك أعداء ولا أحد يحقد عليك .
هذا الشعور بمجرده يجلب راحة نفسية وهدوءاً قليلاً وراحة ضمير ، وراحة بال مطلوبة يحتاج الإنسان إليها .

وأنت أحوج لأن تستشعر هذا الأمر من المحيطين بك ، وأقرب الناس إليك ، أن ترى رضاهم عنك وسرورهم بك وحبهم لك ، إننا نطلب هذا لا لعجب بأنفسنا ولا طلباً لراحة قلوبنا فقط وهدوئنا النفسي فحسب ولكن : لنستطيع أن نجمع لهم ويسكن روع القلب ، كي نعبد ربنا كما ينبغي .. إن الأجواء الإيمانية تتسم بالهدوء والسكينة واللطف .. ولاستقبال رمضان كما ينبغي لابد من تهيئه هذه الأجواء ، ولكن كيف ؟ !! ..

الإحسان إلى الجميع .. إراحة الجميع .. ولو على حساب نفسك ..
مسامحة الكل والتنازل عن الحقوق ، وأداء جميع الواجبات تجاه الجميع ، ابدل كل ما تستطيع لعقد هدنة مع كل من حولك من الأقارب .

طاعة الوالدين فرض واجب ما لم يأمرها بمعصية الله ، فيجب عليك طاعتها والإحسان إليهما والبر بهما ، ولا بد أن تصل رحمك وأن تحذر من قطع الأرحام ، قال تعالى : «وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي نَسَأَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ» [النساء : ١] ، يعني واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، وقال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَ الرَّحْمَ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطْعِيَّةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضِينَ أَنْ أَصْلِ مِنْ وَصْلِكَ وَأَقْطِعَ مِنْ قَطْعِكَ، قَالَتْ: بِلِي يَارَبْ، قَالَ: فَهُوَ لَكَ»^(١) ، ومن وصل رحمه وصله الله ومن قطعها قطعه الله ؛ لذلك لا بد من زيارة الأرحام والسؤال عنهم ومساعدتهم إذا استدعي الأمر ، كي يصلك الله برحمته في هذا الشهر الكريم ، فابداً شerk بصلة رحمك . قال سبحانه : «وَمَاتَ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمُسْكِنُ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدِّرًا» [الإسراء : ٢٦] فلهؤلاء حق وليس تفضلاً منك يا مسلم .

وإذا كان حق المسلم على المسلم ست ؛ فإن ذا الرحم يزداد حقه على ذلك بصفة الرحم ، والوالدان حقهما أعظم ، ولا بأس من حمل شيء من الهدايا ، والهدية تذهب وخر الصدر ، الهدية تكون سبباً في المودة ، قال رسول الله ﷺ : «تَهَادُوا تَحَابُوا»^(٢) .

الوصية الخامسة: عمل هدنة مع النفس لترك الذنوب والمعاصي والسيئات :

(١) هدنة في الحرب مع الله :

قال سبحانه : «نَّلَكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَعْتَدَ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمْ

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٢).

(٢) أخرجه البيهقي (١٦٩/٦) ، وحسن البشري (٣٠٠٤) في « صحيح الجامع » .

الظَّالِمُونَ [البقرة: ٢٢٩]، حاول أن تعقد اتفاقاً مع نفسك لكي تكف عن الحرب بترك الذنوب والمعاصي تماماً.. ابدأ فوراً بإقامة العهد مع النفس بالإقلاع عن الذنوب ، والتوبة إلى الله جل جلاله .

ولابد أن تكون هذه التوبة نصوحاً ، بأن تكون شاملة لكل الذنوب ، وأن تندم على كل ما عملت ، وأن تعزم وتنوي ألا ترجع إليها مرة أخرى . والتبوية واجبة من كل ذنب ، قال تعالى: «**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصْوَحاً**» [التحرير: ٨]، وتأمل كيف أمر الله المؤمنين جميعاً بالتوبة وعلق عليها فلاحهم فقال تعالى: «**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَئِمَّةُ الْمُؤْمِنِينَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**» [النور: ٣١] .

لابد أن تعاهد نفسك على ترك المعا�ي والسيئات ، لابد أن تتوّب ، وإن لم تتب فأنت ظالم بمنص كلام الله جل جلاله ، قال تعالى: «**وَمَنْ لَمْ يَتَبَّتْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**» [الحجرات: ١١] ، ولابد أن تتخلص من إصرار النفس على الذنوب ؛ فإن الإصرار على الذنب ذنب آخر .

(٢) بعد عن أسباب المعا�ي ، فلا بد أن تغلق باب المعصية عن نفسك ، ابتعد عن أماكن الاختلاط ، ابتعد عن التلفاز ، ابتعد عن قراءة المجالس والجرائد التي تدعو إلى الفتنة ، ابتعد عن كل سبب من أسباب المعا�ي ، حتى تحافظ على إيمانك ، فإن للمعصية ظلمة في القلب وسوداً في الوجه وبغضها في قلوب الخلق .

لماذا تضع نفسك بين الفتنة ثم تحارب لتنجو منها .

ولماذا تقترب من أسباب المعا�ية مع علمك بأن أسلم طريقة للنجاة من الفتنة بعد عنها ؟ ، وأنت تعرف حديث قاتل المتهة كيف أمره رسول الله ﷺ بترك أرضه التي كان يعيش فيها ؛ لأنها أرض سوء .. أسباب المعا�ية فيها

متوفرة ، وأمره أن يذهب إلى أرض كذا وكذا ؛ لأن فيها قوماً صالحين ليعبد الله معهم ، فأمره بالبعد عن سبب المعصية ، والاقتراب من سبب الطاعة .

(٣) العزم على عدم العودة ؛ أن تنوي نية حقيقة صادقة لا تعود إلى الذنب ؛ لأن في الرجوع إلى الذنب هلاكك ؛ لأنه قد يكون في رجوعك إليه سقوطك من عين الله .. إنك إذا رجعت إلى الذنب قد تموت عليه فتلقى الله عاصياً ، فانهض إلى طاعة ربك وأنبع السينات الحسنات ، ولا تلتفت بقلبك إلى الذنب ، واحذر أن تقع فيه ؛ بل اعزم على عدم العودة إليه أبداً .

الوصية السادسة : هدنة مع طول الغياب خارج المنزل وكثرة الارتباطات والموعيد واللقاءات :

ابداً في التقليل من الخروج وكثرة الارتباطات والموعيد واللقاءات .. تفرغ في رمضان لعبادة ربك ، لمعالجة نفسك والعمل على تهذيبها ، أنت في فترة عنابة مرکزة للقلب ، لماذا تكثر الخروج من البيت ؟ ، تشتري كذا وتزور فلاناً وتتكلم فلاناً، يمكنك أن تشتري حاجيات رمضان قبل دخوله حتى لا تشغل بغير العبادة ، يمكنك أن تشتري ملابس العيد قبل دخول رمضان وتتركها حتى العيد ، الأشياء الأخرى التي تريدها في العيد اشتراها من الآن .

سأل عقبة بن عامر رسول الله ﷺ عن النجاة فقال : « أمسك عليك لسانك ، وليس بك بيتك ، وابك على خطيبتك »^(١) ..

الوصية السابعة : هدنة مع كثرة النفقات والتبذير :

شرع الصيام للتقليل من الطعام والشراب ؛ ولكن للأسف الشديد ! تجد الناس ينفقون في الطعام والشراب في رمضان ما لا ينفقون في غيره !! والتبذير

(١) أخرجه الترمذى (٢٤٠٦) ، وصححه الألبانى (٢٧٤١) في « صحيح الترغيب والترهيب » .

ليس من أخلاق المؤمنين ، بل هو من صفات الشياطين ، قال تعالى : «وَلَا يُبَدِّرْ بَيْدِرًا إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا لِجُوَانَ الشَّيَاطِينَ وَكَانَ الشَّيْطَنُ لِرَبِّهِ كُفُورًا» [الإسراء: ٢٦-٢٧] ، وقد أمرنا ربنا بالاعتدال في الإنفاق وحرم التبذير فقال : «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْتُولَةً إِلَّا عَنِّكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَخْسُورًا» [الإسراء: ٢٩] ، ويمكن أن تتفق مع الأسرة على أمور :

(١) الاتفاق على صدقة :

والصدقة برهان على صدق المرء في إيمانه ، قال رسول الله ﷺ : «الصلة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو ، فبائع نفسه فمعتها أو مويقها»^(١) ، فاتفق على أن تتصدق كل يوم ولو بشيء قليل ؛ فإن الله يضاعفه ، قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ يَقْبِلُ الصَّدَقَةَ مِنْ أَحَدِكُمْ فَإِنْ يَرِيَهَا لَهُ كَمَا يَرِيَهَا أَحَدُكُمْ مَهْرَهُ حَتَّى تَكُونَ الْلَّقْمَةُ مِثْلُ الْجَبَلِ»^(٢) ، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها لما سألاها رسول الله ﷺ : «ما بقي من الشاة؟» ، قالت : كتفها ، قال ﷺ : «بقيت كلها إلا كتفها»^(٣) ، تصدق أنت مرة ، وأعط زوجتك هي الأخرى ، وأعط ولدك يتصدق ؛ لكي يتعود على العطاء والبذل ، والله يضاعف لمن يشاء .

(٢) إفطار الصائمين :

اجتهد أن تُفطر صائمًا أو صائمين أو ثلاثة أو عشرة كل يوم قدر استطاعتك ؛ فإن لك مثل أجره كل يوم ، قال رسول الله ﷺ : «مَنْ فَطَرَ صَائِمًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءًا»^(٤) ، أبرم مع الله عقد

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣) . (٢) أخرجه مسلم (١٠١٤) .

(٣) أخرجه أحمد (٥٠/٦) ، وصححه الألباني (٢٥٤٤) في «السلسلة الصحيحة» .

(٤) أخرجه أحمد (١١٤/٤) ، وصححه الألباني (٦٤١٥) في « صحيح الجامع » .

تأمين على الصيام ، هل تريده أن يكتب لك رمضان ستمائة يوم ؟ ، الأمر يسير جداً ، ما عليك إلا أن تفطر كل يوم عشرين صائماً فتكون في خلال ثلاثة أيام قد فطرت ستمائة صائم ؛ فكتب لك رمضان ستمائة يوم .

٣- إطعام المساكين :

قال الله تعالى : « وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حِيمٍ وَسِكِينَا وَتِيمًا وَأَسِيرًا » [الإنسان: ٨] ، وإطعام الطعام قربة يتقرب بها العبد إلى الله سبحانه وتعالى ، قال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس : أفسحوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نائم ، تدخلوا الجنة بسلام » ^(١) ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يفطر كل يوم مع المساكين .

٤- مساعدة المحتاجين :

ترشيد ضالاً ، تعين ضعيفاً في طلب حقه ، تؤازر مسكيناً ، تنصر مظلوماً ، من احتاج شيئاً ثبته له . ذهب جماعة إلى الحسن البصري في حاجة فقال : مروا على فلان في المسجد وخذلوه معكم ، فذهبوا إليه فقال : إني معتكف ، فقال : ارجعوا وقولوا له : يا أعمش ، أما علمت أن مشيك في حاجة أخيك حتى ثبته لها خيراً من اعتكافك ، وقال رسول الله ﷺ : « والله في عون العبد ، ما كان العبد في عون أخيه » ^(٢) .

الوصية الثامنة : هدنة مع العقول والقلوب من التفكير والتدبر للدنيا :

الدنيا لا تستحق أن تفكير فيها ، الدنيا أهون من ذلك ، وأحقر من أن تشغلك بها وتدبر لها ؛ لذلك اجعل تفكيرك كله في الآخرة :

(١) أخرجه أحمد (٤٥١/٥) ، وصححه الألباني (٥٦٩) في « السلسلة الصحيحة » .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) .

(١) فكر في حسنة جديدة تعملها ، ابحث عن عبادة مهجورة ل تقوم بها ، ابحث عن ذكر مهجور لا يقوله كثيرون من الناس أو لم تقله أبداً واذكر الله به ، فكر كيف تجمع الحسنات وتؤخر الأجر عند الله جل جلاله .

(٢) فكر في خدمة المسلمين كيف تخدمهم ، كان أبو بكر الصديق ^{رضي الله عنه} وهو خليفة المسلمين يحلب للحي شياههم ، وكان عمر بن الخطاب ^{رضي الله عنه} يذهب إلى عجوز مُقعدة ضعيفة ليخدمها ، فوجد أن رجلا سبقه إليها قد نظف بيتها وأزال عنها الأذى وملأ لها آنتها ؛ فتعجب من هذا الذي سبقه إليها وقام بهذا فوجد أنه أبو بكر الصديق ^{رضي الله عنه} !! كانوا يتسابقون في خدمة المسلمين وبذل الخير لهم .

(٣) التفكير في خدمة الدين : تفكير كيف تخدم دينك ، وكيف تبذل في سبيله ، تعطي شريطا هدية ، تقوم بإلقاء موعظة ، تهديكتيما ، تدعو رجلاً لترك التدخين ، وتدعو آخر للمحافظة على الصلوات ، تقوم بعمل مجلة حائط ، تقوم على حلقة لتحفيظ القرآن وتجويده .. وتفكر في خدمة دينك ، وديننا يحتاج إلى كل يد تكتب عنه وتدافع عنه ، وإلى كل لسان يبيّن عظمته وحقيقةه للناس ، وإلى كل قلب ينبع بحبه .

(٤) التفكير في لذة أخرى : تفكير كيف تفوز غداً بالجنة ، كيف تستشعر قرب الله إذا ذكرته ، كيف تتحقق الخشوع في الصلاة ، كيف تخلو بربك في ساعة التزول الإلهي ، تبكي بين يديه وتتضرع إليه ، فتشعر بقربه منك وقربك منه وحبه لك ، قيل للحسن : مالنا نرى أهل الليل أحسن الناس وجوهاً ؟ ، قال : خلوا بالرحمن فأليسهم من نوره .

الوصية التاسعة : هدنة مع استهلاك الأعضاء :

في رمضان أرج عينيك بعدم التطلع إلى الدنيا ، بعدم النظر إلى

المتبرجات ، تريحها بالنظر إلى كلام الملك جل جلاله ، تريح عينك من عناء الذنوب ، وترىح أذنك من ضجيج الكلام وصخب الهموم والغموم .. تريح أذنك من سماع الغيبة والنميمة والكذب ، تريح أذنك من سماع الأغاني ، وترىح رجليك من كثرة الانتقال هنا وهناك بغير فائدة ، تريح رجلك بالاستقرار في بيتك أو مسجدك ، تريح رجليك من كثرة السعي لتحصيل ما لا فائدة من ورائه .

وترىح عقلك من هموم الدنيا ونكدتها .. تشغل بالطاعات والأذكار والاستغفار فلا يبقى عندك مكان لهذه الهموم التي تنخر في جسمك وتؤذيك ، وترىح معدتك بعدم دس الطعام فيها على الدوام ، بل تبقى في نهار رمضان خالية مستريحة ، تريحها من ثقل الطعام ، وترىح أمعاءك كذلك ، تريح قلبك من التعلق بالبشر والتعلق بالأسباب والانشغال بغير الله ، اجمع همك وأرح جوارحك تستمتع بحب الله .

الوصية العاشرة : هدنة مع الهموم :

أريدك أن تطرح الهموم عن صدرك .. لا تشغل ذهنك بها ، فهذا رجل طلب منه أولاده ملابس المدرسة ، وكتب المدرسة ، وكراريس المدرسة ، فلم يدر من أين يأتي بالمال لكي يشتري لأولاده ما يريدون ، وظل الهم في صدره ، ونام وعقله مشغول بذلك ، ولكنه استراح من ذلك الهم فجأة ، أندرون ماذا حدث ؟ ، مات .. راحة أبدية من هذه الدنيا .. لذلك أقول : والله .. إن هذه الدنيا لا تستحق أن تقتل نفسك من أجلها .

لذلك : أجعل الهم همًا واحدًا ، وهو رضا الله سبحانه وتعالى ، أجعل هذا همك : أن ترضي الله وحده ، فلو رضي عنك لنالك كلُّ خيرٍ وبركةٍ

وفضل ، هذا الهم لا يؤجل وجميع الهموم تؤجل ، فليكن همك في رمضان هو
عتق رقبتك من النار ، والفوز برضوان الله عز وجل .

إذا كانت هذه الهدنة التامة .. كانت الراحة التامة .. فكان الاستقبال
لرمضان بحفاوة بالغة .. وبداية موفقة .. وعناء مرکزة .. فنعيش رمضان ..
هيا :

* كيف نعيش رمضان؟ *



كَيْفَ

تَحْلِيلُ شِرْكَةِ مَصَانِعِ
مَصَانِعِ سُرُورٍ

بَرْنَامَجٌ عَمَلَىٰ

لِلْحِفَاظِ عَلَىٰ

الإِشْرِاقَةِ الْإِيمَانِيَّةِ

كيف تعيش رمضان؟

أيها الأحبة في الله ..

كيف يعيش المسلم يوماً من أيام رمضان؟، يأتي هذا الكلام؛ لأن الأمة - وللأسف الشديد - لم تذق طعم رمضان منذ أن ذاقت طعم الهزيمة، منذ أن عاشت معنى الذل للأعداء، منذ أن تخبطت وتلوت ولم تذق طعم النصر ولم تتوجه إلى الله عز وجل وحده، ولو صامت الأمة يوماً كما ينبغي منذ جرى لها ذلك؛ لتغيرت، ولو تغيرت لغير الله حالها، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

ولكي نعيش رمضان كما ينبغي ونصنع فيه صناعة الرجال، فلا بد من السير على الخطوط الرئيسية الآتية:

أولاً : تحديد الأهداف :

أيها الإخوة ، إننا بحاجة إلى تحديد الأهداف التي ندخل بها رمضان ، ثم رسم الطريق لتحقيق هذه الأهداف ، ثم وضع خطة للتقويم .. تقويم العمل ، ثم متابعة تحصيل الشمار . إن الناس اليوم إذا أراد أحدهم أن يقوم بمشروع يستثمر فيه أمواله ؛ فإنه قبل كل شيء لابد أن يقوم بعمل دراسة جدوى ، وقبل أن يجتمع المجتمعون في أي اجتماع ذي شأن لابد أن يضعوا برنامج عمل أو جدول أعمال ، هذا في عرف أهل الدنيا ، هذا أصل عندهم ، أفلًا يكون هذا أصلًا عند أهل الآخرة ، لاسيما وهم يطلبون أعلى شيء وهو الجنة؟! ، فهم بهذا أولى .

نعم والله : أهل الآخرة أحق أن يقوموا بعمل دراسة جدوى لصومام

رمضان ، هل ستكون له نتيجة حقيقة ، هل سيكون له ثمرة فعلية ، وما المطلوب أن أعمله لكي تأتي الثمرة المرجوة .. إن من يريد تقويم عمله ؛ ينظر في ثمرته أولاً بأول ، إذاً فلابد أن نقف في كل ليلة من رمضان مع أنفسنا لنتظر ، ولأن الله في كل ليلة عتقاء من النار ؛ فلابد أن يكون في كل ليلة وقفة : هل أنا في هذا اليوم كنت ممن أعتق ، وماذا أفعل لأندراك ما فات من عتقة ومغفرة ، اللهم أعتق رقابنا من النار يا رب ..

أيها الإخوة ، لكي تعيق رقابنا من النار ، فلابد من تحديد الأهداف ، لابد من رسم خطة العمل ، ووضع الوسيلة للوصول إلى هذه الأهداف ، ووضع نموذج لتقويم العمل وتحصيل الثمار ، وأولاً إليكم الأهداف :

الهدف الأول : شوق القلب للرحمة :

لابد أن تهدف لأن ينال قلبك رحمة الله ، ولا بد أن يسموا ، ويتمني ، ويرجو ، ويحب ، ويأمل أن ينال من الله رحمة كما قال النبي ﷺ : «لن يدخل أحدكم الجنة عمله » ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ ، قال : «ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمته»^(١) ، سبحان الله !! ، حتى رسول الله ﷺ الذي هو رسول الله .. حبيب الله .. إمام الخلق .. وحبيب الحق محمد ﷺ لن يدخل الجنة إلا برحمة الله .

إذاً فأنت تحتاج لأن ترحم ، وعندما يتزعج قلبك لطلب الرحمة ؛ هنا ستنزل عليك - إن شاء الله - رحمة الله ، وخصوصاً أن الله في كل ليلة من رمضان رحمات يختص بها من يشاء من عباده ، قال تعالى : «إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ أَتَّخَذَ إِلَيْنَا رَبِّيَ سَيِّلًا ٢١٣ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْنَا حَكِيمًا ٢٢٠ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَأَنْظَلِيهِنَّ أَعْدَادًا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» [الإنسان : ٣١-٢٩].

(١) متفق عليه ، البخاري (٥٣٤٩) ، مسلم (٢٨١٦) .

الهدف الثاني : استحضار نية المغفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة :

قال رسول الله ﷺ : «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه»^(١) ، هذا الحديث يحتاج إلى وقفة .

ينبغي أن تنتبه لتألحظ أن النبي ﷺ اشترط أن تصوم إيماناً واحتساباً، فهل أنت تصوم إيماناً واحتساباً؟

هل تعرف بدايةً ما معنى إيماناً واحتساباً؟، لعلك تصوم كما يصوم الناس فتمتنع عن الأكل والشرب والجماع من الفجر حتى المغرب، إذا أذن المغرب تفطر وإذا أذن الفجر تمسك «أوتوماتيكياً»، أين النية؟!، أين الاحتساب؟!

إن من العجيب أن تجد بعض الناس يتساءل : هل لابد أن ننوي لصيام رمضان؟ ، أقول : نعم، لابد أن تبيّن النية، قال رسول الله ﷺ : «من لم بيّن الصيام من الليل فلا صيام له»^(٢) ، لابد من النية .

دعك من هذه الآلية في الحياة، قد يقال : سمعت بعض الناس يقولون : السحور نية، أقول لك : نحن لا نأمرك أن تقول : نويت أصوم يوماً من أيام رمضان فرضاً على الله العلي العظيم، هذا بدعة، لكن الذي أريده : أن يستحضر قلبك أنك ستصوم لله .

لماذا؟، إيماناً : يعني استسلاماً للملك سبحانه وتعاليٰ؛ يارب، أمرتني أن أصوم فصممت .

واحتساباً : أن تتحسب للأجر عند الله .

(١) متفق عليه ، البخاري (٣٨) ، مسلم (٧٦٠).

(٢) أخرجه البيهقي (٤/٢٠٢)، وصححه الألباني (٦٥٣٥) في « صحيح الجامع ».

وقد أوقعني هذه المسألة في حيرة مدة من الزمان ، واستشرت فيها كثيراً من المشايخ وهي : هل الاحتساب شرط لحصول الأجر؟ ، أي لو أن رجلاً جلس في المسجد دون أن يستحضر نية الاعتكاف ونزول الرحمة وغير ذلك من النوايا ؛ فهل هذا ليس له أجر؟ ، والراجح أنه ليس له أجر ؛ لقول النبي ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى»^(١) ، وهذا لم ينوه شيئاً فليس له شيء .

فلا بد أن تستحضر في كل عمل نية الاحتساب والاستسلام لأمر الله .

يا رب ، تركت هذا لأجلك ؛ لأحتسب عندك الأجر .. عندما تغمرك هذه النية وتملأ قلبك ؛ حينها تحصل على الأجر ؛ لذلك لا بد من استحضار نية المغفرة للذنب المتقدمة والمتأخرة ، كي يغفر لك ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنك مطالب أن يكون قلبك يقطأ دائماً متحفزاً سميقاً مجيناً لأوامر الشرع .

الهدف الثالث : سمو الروح للعتق من النار :

لابد من استشعار معنى العتق ، أن تستشعر أنك قد تكون فعلاً من أهل النار .

• تصدقَ يونس بن عبيد يوم أضحيَ بلحِمِ كثيرٍ ثم قال لغلامه :
والله ما أراه يتقبل مني شيئاً ؛ وإنِي والله أخشي أن أكون من أهل النار .
قال الإمام الذهبي في السير : كل من لم يخشَ أن يكون من أهل النار ؛
 فهو مغرور قد أمنَ مكرَ الله به .

(١) أخرجه البخاري (١) ، ومسلم (١٩٠٧) .

فلا تأمن من أخي الله وخصوصاً أنك كثير المكر واحذر أن تكون من أهل النار وأنت لا تشعر.

ولابد للتخلص من هذا أن تعنق رقبتك من النار ، فإذا كان لله في كل ليلة من رمضان عتقاء من النار ، فما أشد خسارتك إذا مرت عليك ليلة واحدة من رمضان ولم تعنق ، وإذا علمت خطر النار وشدة حرها ، وشدة عذابها ، لهان عنك أن تقدم الأعمال الصالحة لكي تكون سبباً لعتقك منها ، لو عرفت النار وأدركت خطرها وعرفت أن أمامك فرصة للعناق منها ؛ لبذلك الغالي والنفيس للحصول على هذا العنق ، ولصار هذا الأمر همك طيلة الشهر ، اللهم أعن رقابنا من النار يا رب.

الهدف الرابع : سمو الروح للارتفاع عن كثافة المادة وهم الفرج والبطن :

يقول ابن القيم في كتاب «زاد المعاد» في الطب النبوى : «إن الصوم جنة من أدواء الروح والقلب والجسد ، وجنة يعني وقاية» ، فلذلك لابد أن تنوى بالصوم أن يشفى قلبك من حب الدنيا ، وتجعل ذلك هدفاً لك في الصيام ، وتتسامي روحك عن هم البطن والفرج .. عن الطين .. عن الأرض .. عن غذاء الجسم ..

الهدف الخامس : إقامة حاكمة الله على النفس :

إن الإنسان في حياته العادية يعيش في غفلة شديدة غالباً ، يتبع نفسه في كل ما تشتهيه : تطلب نفسه الطعام فيأكل ، وتشتهي الشراب فيشرب ، وتنزع إلى الخروج فيخرج .. وهكذا .. فتستأسد النفس وتتطغى ، فإذا جاء رمضان ومنها الإنسان ملذوذ مباحها ؛ فينبغي على الإنسان استشعار هذا المعنى : إقامة حاكمة الله على النفس .

يعني : أن يُشعر نفسه أنها ليست الآمرة الناهية الطاغية المستولية ، إنما هي أمّة مأمورة خادمة مطيعة منقادة للملك الكبير سبحانه يقول : كُلْ سَاعَةً كَذَا وَاتْرُكْ سَاعَةً كَذَا فَتَسْمِعْ وَتَطْبِعْ وَلَيْسْ لَهَا أَنْ تَخَالِفْ . . إن استشعار هذا المعنى وإذاقه النفس مرارة الذل والطاعة المطلقة لله وأنّها لا تطاع بل تطيع ، وإنّها يجب عليها أن تستجيب لكل ما تؤمر به غاية وهدف من رمضان وفرض صيامه ودّوام ذلك لمدة ثلاثة أيام ، وينبغي أن يرصد هذا الهدف لنخرج به من هذا الشهر الفضيل .

الهدف السادس : إقامة دستور الأخلاق :

قال بعضهم : الدين كله خلق ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين ، وشهر رمضان شهر التقوى . . شهر الأخلاق ، قال رسول الله ﷺ : « الصوم جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم ؛ فلا يزئث ، ولا يفسق ، ولا يضحك ، ولا يخجل ، وإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم »^(١) .

المحافظة على دستور أخلاق الإسلام شهراً كاملاً بـألا يلفظ بلفظ يخالف الشرع ، وأن يتحكم في افعالاته ، ويذكر دوماً تلبسه بالعبادة بقوله لمن قاتله : « إني صائم » ، مدرسة تربوية عظيمة ، نجعلها هدفاً نخرج به من رمضان .

الهدف السابع : التدريب على المداومة :

قال رسول الله ﷺ : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل »^(٢) ؛ ولذلك كان عمله ﷺ ديمة . إن آفة الأعمال الانقطاع والاستحسار وترك العمل ، وفي

(١) أخرجه أحمد (٣٠٦/٢) ، وصححه الألباني (٩٧٨) في « صحيح الترغيب والترهيب » .

(٢) متفق عليه ، البخاري (٦١٠٠) ، مسلم (٧٨٢) .

هذا الشهر تدريب النفس على أن تستمر على العمل الصالح ، فهذه ثلاثة أيام صياماً ، وثلاثون ليلة قياماً؛ لتألف النفس العمل فتستمر عليه دائماً.

هذه بعض الأهداف ، وهناك حوالي خمسة وعشرين صنفاً من الأهداف ، وإنما نختصر اختصاراً ، هذه هي الأهداف إخواته ، فما هو الطريق لتحقيق هذه الأهداف؟

ثانياً: الطريق لتحقيق الأهداف :

أيها الإخوة ، لابد من إعداد العدة ، ويكون ذلك بما يلي :

* أولاً : تقليل ساعات النوم .

* ثانياً : تقليل كمية الأكل ما أمكن .

* ثالثاً : تقليل الكلام .

* رابعاً : تقليل الخلطة بالبشر .

يعني إجمالاً : التخلص من سموم القلب الضارة . إن البرنامج الذي سنضعه لتحقيق هذه الأهداف لن يستطيع أن يقوم به من ينام في الليلة عشر ساعات أو ثمان ساعات أو ست في رمضان ، إنما يكفيك في رمضان أن تنام أربع ساعات ، وأنا وأنت نعرف أن كثيراً من أهل الدنيا ينامون أقل من ذلك ، سل أي طالب في الثانوية العامة كم ساعة ينامها أيام الامتحانات ؟ ، تجده يقول لك : ساعتين على الأكثر ، هذا واقع .

وهذا كله من أجل الحصول على شهادة الثانوية العامة ، وأنت تريد الجنة ، فأيهما أغلى ؟ ، كم تدفع لتدخل الجنة ؟ ، إننا لا نريد منك غير التضحية بيسير من النوم والطعام والكلام والاختلاط ، صحيح .. وإن لم تضحك في رمضان ؛ فلن تضحي أبداً .. أليس كذلك ؟ !

لابد أن تصحي بشيء من النوم ، سنتكفي فقط بأربع ساعات من النوم في اليوم والليلة ، وعشرون ساعة شغل مع الله ، إذا كان عندك استعداد فهيا شمر عن ساعد العِجد ، وإلا فلا تُبَرَّخ مكانتك ، وانتظر مآل اللاعبين .

هذه الأهداف التي ذكرناها أهداف غالبة ، وبهذا تصنع الأمة في رمضان ، وإن لم تصنع بهذا في رمضان فأبدا لن تكون ، إننا بحاجة إلى تجربة : هل أمتنا تصلح للتمكين أم لا ، فهيا لنبدأ البرنامج بإذن الله ، ولكن هل أنت مستعد لأن تبذل ، هل أنت مستعد لأن تصحي بعمرك كله ؟ ! ، استعن بالله وقل : نعم .. إن شاء الله .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خُطُوَّاتُ الرَّسُولِ الرَّضِيَّ

وَتَهِيَّةُ الرَّقِبَةِ لِلْعِثْقَ

خطة اليوم في رمضان

يوم في حياة صائم :

بداية : بركة اليوم .

التبكير إلى صلاة الصبح وسماع الأذان في المسجد :

والتبكير له فضل ، وله بركته ، ولكن للأسف الشديد ! تجد كثيراً الناس ولا سيما الإخوة الملتزمين لا يبكون إلى المسجد إلا بسبب أن شيئاً مشهوراً سيستمعون إليه ؛ فيضطر للتبكير ليراه وليقرب منه ولি�صافحه ، ولكنه لا يبكي لووجه الله ، أما المسجد الذي يصلى فيه في حيئه فإنه يتأخر عن صلاة الجمعة والجماعة ، يأتي في نصف الخطبة ، أو يجلس قريباً من الباب ؛ لتكون مغادرته للمسجد سريعاً بعد انتهاء الخطيب ، أسأل الله أن يهدينا ويهديهم ويتوسل علينا عليهم .

أيها الإخوة ، انتبهوا .. نريد أن نبكر إلى صلاة الصبح ، ونسمع الأذان ونحن في المسجد ، وهناك فوائد كثيرة للتبكير إلى المسجد وانتظار الصلاة ، منها :

(١) ترديد الأذان والدعاة بعده .

(٢) المحافظة على صلاة الجمعة .

(٣) المحافظة على تكبيرة الإحرام .

(٤) إدراك الصف الأول ، قال رسول الله ﷺ : « لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا »^(١) ، وقال

(١) متفق عليه ، البخاري (٥٩٠) ، مسلم (٤٣٧) .

النبي ﷺ: «خَيْرُ صَفَوْفِ الرِّجَالِ أُولُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا»^(١)، سبحان الله !!
تصلي في الجماعة الأولى في المسجد وتكون من شر صفوف الرجال ؟!؛
فلذلك ينبغي أن تسارع إلى الصف الأول .

قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصْلُونَ عَلَى الصَّفَ الْأَوَّلِ»^(٢)، وكان
النبي ﷺ يستغفر للصف المقدم ثلاثة ، وللصف الثاني مرة^(٣)، ثم يسكت
ويلتفت ويصلي .

لذلك فإن مسألة الاحتساب تحتاج إلى بحث ، ابحث عن فضائل الأعمال ،
وهناك كتاب في فضائل الأعمال للمقدسي ارجع إليه تجد خيراً كثيراً بإذن الله .

(٤) إدراك ميمنت الصف ، قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصْلُونَ عَلَى
مِيَامِنَ الصَّفَوْفِ»^(٤).

(٥) إدراك التأمين وراء الإمام في الصلاة الجهرية ، قال النبي ﷺ: «إِذَا
قَالَ الْإِمَامُ : وَلَا الضَّالِّينَ فَقُولُوا أَمِينٌ ؛ فَإِنْ مَنْ وَافَقَ قَوْلَةَ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ ؛ غُفِرَ لَهُ
مَا تَقْدَمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٥).

قلت : يا للخيبة إن لم يغفر الله لنا !؛ لأنها مسألة سهلة جداً أنك بمجرد
قولك : أمين منضبطة خلف الإمام مع الإمام يغفر لك فماذا يمنعك ؟! ،
والوعود بمغفرة الذنوب المتقدمة كثيرة جداً ، وبعد هذا كله إذا لم يغفر لك

(١) أخرجه مسلم (٤٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (٤/٢٦٨)، وصححه الألباني (٤٩٣) في « صحيح الترغيب والترهيب ».

(٣) أخرجه أحمد (٤/١٢٦)، وصححه الألباني (٩٠٨٣) في « صحيح الجامع ».

(٤) أخرجه ابن حبان (٢١٦٠)، وحسنه شعيب الأرنؤوط .

(٥) متفق عليه ، البخاري (٧٤٩)، مسلم (٤١٠).

فكيف ومتى يغفر لك؟! ، قال تعالى : «فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضْلُلُ عَنْهَا» [يونس: ١٠٨] ، وقال جل جلاله : «مَنْ عَمِلَ صَلِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَأَهُ فَعَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ يُظْلِمُ لِلْعَبْدِ» [فصلت: ٤٦] .

اللهم إنا نسألك الجنة يا رب .

(٧) التبشير إلى المسجد تمكّنك من الإتيان بالنوافل المشروعة بين الأذان والإقامة .

(٨) التبشير إلى الصلاة دليل على أن القلب معلق بالمساجد ، فمن السبعة الذين يظلمهم الله بظل عرشه «ورجل قلبه معلق بالمسجد»^(١) ، فإنه إذا اقترب موعد الصلاة فادهب مسرعاً إلى المسجد ، قال سعيد بن المسيب رضي الله عنه :

لي أربعين سنة لم يؤذن المؤذن لصلاة من الصلوات الخمس إلا وأنا في المسجد ، سبحان الله ! ، أربعين سنة يا من لا تقدر على أربعين يوماً ، إن للعمل الصالح ثواباً وللمداومة ثواباً ، والقلب المعلق بالمسجد لا يفارقه ، بل يحب المكث فيه ويسارع بالعودة إليه .

(٩) التبشير إلى المسجد وانتظار الصلاة سبب لحضور القلب ، وإقبال المرأة على صلاتها ، وهذا الأمر هو لب الصلاة ، كلما طال مكثه في المسجد وذكر الله ؛ زالت مشاغله ومتعلقاته الدنيوية ، وأقبل على ما هو فيه من قراءة وذكر . فمهما كان عنده من الهموم والمشاكل في العمل ومع الأهل والزوجة ؛ فضل ركعتين «وَأَسْجُدْ وَاقْرَبْ» [العلق: ١٩] ، سترتفع عن الهموم الأرضية ، وتحلق في سماء الطاعة ، أما إذا جئت متأخراً إلى الصلاة فاتك كل هذا الفضل والخير . فأقبل على الصلاة مبكراً ، واقعد بين الأذان والإقامة ؛ ليمحو الله همومنك .

(١) متفق عليه ، البخاري (١٣٥٧) ، ومسلم (١٠٣١) .

بالذكر والصلاحة وإنقاذه بكل يتيك على الله، إن الذي يأتي إلى الصلاة متأخراً سيظل قلبه مشغولاً بما هو فيه من هموم الدنيا أثناء الصلاة؛ ولذلك تلاحظ أن أول الناس دخولاً إلى المسجد هم آخر الناس خروجاً، والعكس صحيح، وما ذلك إلا لما ذكرته لك.

(١٠) المبكر إلى الصلاة يتمكن من قراءة القرآن بين الأذان والإقامة، لقد ذكرت لك مراراً كيف تختتم القرآن كل ثلاثة أيام، وذلك بأن تبكر إلى الصلاة وتقرأ جزءاً قبل الصلاة بين الأذان والإقامة، وبعد الصلاة تقرأ جزءاً آخر، إذا تقرأ في كل صلاة جزئين، في الخمس صلوات تكون قد قرأت عشرة أجزاء؛ فتختتم القرآن في ثلاثة أيام.

(١١) يتمكن المبكر إلى الصلاة من الدعاء بين الأذان والإقامة، قال النبي ﷺ: «الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد»^(١)، وكذلك تتمكن من الإتيان بأذكار الصباح والمساء بعد الصبح وقبل المغرب.

(١٢) إن من يأتي إلى الصلاة مبكراً يأتي غالباً بسكونه ووقاراً فيكون ممثلاً لأمر النبي ﷺ فيحوز حبه، قال ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون، ولكن انتوها وأنتم تمشوون وعلىكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا»^(٢)، وفي الرواية الأخرى: «إذا أتيتم الصلاة انتوها بسكونة ووقاراً، من يأتي إلى الصلاة مبكراً يأتي ماشياً، ومن يأتي متأخراً يأتي مسرعاً.

هذه بعض فوائد التبكيـر إلى الصلاة، والتباكيـر يكون في كل الصلوات، ولكنني أخص بالذكر الفجر والمغرب، وأحب أن أنبهك أن تستيقظ لصلاة الفجر لله وليس للعمل أو للسحور والأكل والشرب أو غير ذلك، بل لله

(١) أخرجه أحمد (١١٩/٣)، وصححه الألباني (٢٦٥) في «صحيح الترغيب والترهيب».

(٢) متفق عليه، البخاري (٦٠٩)، مسلم (٦٠٣).

وحده؛ لأن الله تعالى قال في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً وأشرك فيه غيري تركته وشركته» أو « فهو للذي أشرك»^(١) ، فالعمل قليله وكثيره إذا كان منه شيء لغير الله لم يقبله الله جل جلاله، فقم الفجر لله، ولا تقم لغير الله، لأن الله لا يتقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه.

واخرج إلى الصلاة لا تزيد إلا الصلاة لتحصل على الأجر كاملاً، قال رسول الله ﷺ «إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا ينزعه إلا الصلاة، لم تزل رجله اليسرى تمحو سبعة، وتكتب الأخرى حسنة حتى يدخل المسجد»^(٢).

في صلاة الفجر بعد أن تصل إلى المسجد صل ركعتين فقط ولا تزد على ركعتين؛ لأن النبي ﷺ نهى أن يصلى بين الأذان والإقامة في الفجر إلا ركعتي النافلة، ثم استحضر الخشوع والسكينة عليك بالدعاء؛ لأن قرآن الفجر مشهود تشهده الملائكة، والله سبحانه وتعالى ينزل في الثالث الأخير من الليل نزوا لا يليق بجلاله حتى تنتهي صلاة الصبح.

ووجهور المفسرين على أن المراد بقرآن الفجر في قول الله تعالى: «وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَمَا مَسْهُودًا» [الإسراء: ٧٨]، أنه القرآن الذي يقرأ في الصلاة، لتهبئ بذلك قلبك لقرآن الفجر.

احتفظ بحرارة الخشوع بعد الصلاة، وذلك بالمكث في المسجد أكبر فترة ممكنة بعد الصلاة، لابد أن تعتكف حتى الشروق وبعد شروق الشمس بعشرين دقيقة تصلي ركعتين.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) متفق عليه، البخاري (٦٢٠)، مسلم (٦٤٩).

ماذا تصنع بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس؟

أولاً : تقول أذكار الصباح .

ثانياً : تقرأ وردهك من القرآن .

ثالثاً : الكلمات الخمس .

لابد أن توطن نفسك على هذا، على أن تمكث في المسجد أطول فترة ممكنة، كان شيخ الإسلام ابن تيمية إذا قضى صلاة الصبح أقبل بوجهه إلى الحائط في محرابه حتى الضحى ولا يلتفت ويقول : هذه غَدُوتِي إذا تركتها سقطت قوتي ، يعني هذا غذائي إن لم أفعله أموت .

لذلك أقول لك : إذا جلست في المسجد بعد صلاة الفجر فممنوع أن تتكلم ، ممنوع التعامل مع أحد ، ممنوع الانشغال بشيء غير الأذكار ، لا تلتفت ، لا تنظر إلى أحد ، وجه وجهك إلى الحائط ، وقل الأذكار ، واقرأ وردهك من القرآن ، قال رسول الله ﷺ : «من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة»^(١)، ولا تنس الكلمات الخمس التي هي وصايا مهمة لابد منها : المشارطة ، المراقبة ، المجاهدة ، المحاسبة ، المعاشرة ، والمعاقبة .

أولاً : المشارطة :

أن تشترط على نفسك وتقول لها : يا نفس ، إن معنا رأس مال وهو العمر ، ومعنا أدوات وهي الجوارح ، ومطلوب أن تناجر مع الله وتحصل على أكبر ربح وهو الجنة ، فإن استطعت - أيتها النفس - أن تأخذني رأس المال

(١) أخرجه الترمذى (٥٨٦) ، وصححه الألبانى (٣٤٠٣) في «السلسلة الصحيحة» .

والأدوات وتعطيني بعد ذلك الجنة فعلت وإلا فلا ، فإذا استصعبت عليك نفسك فألزمها بالمكث في المسجد عقاباً لها . كان محمد بن المنكدر يجلس في المسجد يخاصم نفسه يقول لها : لماذا تحبين الخروج من بيت ربك !؟ تريدين أن تنظري إلى دار فلان ودار فلانة !؟ والله ليس لك إلا هذه العجوز (يعني زوجته) ، والله ليس لك طعام إلا هذه الكسرة ، وليس لك شراب إلا هذه الشربة من ماء المسجد ، أترضين أم تحبين أن تموتي ؟ ، يقول : فأراها تقول : رضيت .. رضيت ، فهكذا افعل مع نفسك ، لكن النفس مخادعة أمارة بالسوء توافقك ظاهراً ، وتريد أن تخالفك وترفض ما تشرط عليها ؛ فتأتي الكلمة الثانية وهي المراقبة .

ثانياً : المراقبة :

راقب نفسك وكن رقيباً على تصرفاتك ، ولا تدع للنفس فرصة للتفلت منك ، إنك قد تخرج من المسجد فتقع عينك على امرأة متبرجة ، فتجاهد نفسك وتمنعها من النظر وتقول لها : ألم نشرط الجنة ؟! ، كان أحد السلف يمشي في الشارع فووقيت عينه على امرأة ؛ فضرب عينه حتى نفرت (يعني تورمت) وجعل يقول : مالي أراك تتطلعين إلى ما لا يحل لك . فراقب نفسك وألجمها وامنعها مما لا يحل لها ، خذ بزمامها وخطامها وألزمها الصراط المستقيم ، ولا تغفل عنها لكي تنجو .

ثالثاً : المجاهدة :

وأشد شيء جهاد النفس ، فهي مقيدة بقييد الجسم ، مقيدة في هذا الجسم ، ثم هي مقيدة بقييد العبودية ، ثم أنت تتوعدها بقييد ثالث وهو قيد المكث في المسجد ، فالنفس تحتاج إلى مجاهدة ، وهذه المجاهدة لابد لها من صبر وثبات أمام طغيان هذه النفس وتملصها ، جاهدتها لكي لا تضيعك وتسير في طريق جهنم ، جاهدتها ما استطعت .

رابعاً : المحاسبة :

لابد من محاسبة النفس ، قال الله سبحانه وتعالى : «**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ يَنْ حَيْرَ عَظِيزًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ يَبْيَهَا وَبَيْهَا أَمَّا بَعِيدًا وَيُعَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ» [آل عمران: ٣٠] ، وقال سبحانه : «إِنَّا أَنذَرْنَاهُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْأَرْضُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ» [النبا: ٤٠] ، سترى عملك بعينك وتسمعه بأذنك ؛ لذلك يجب أن تجلس مع نفسك وتنظر في أعمالك لتصلحتها قبل أن تراها يوم القيمة ، اكتب أعمالك وضعها أمامك ، وقل لنفسك : أتخيل أن تقابلني ربك بهذه الصحيفة !؟ ، هل ستأخذين كتابك باليمين أم بالشمال ؟ ، هل هذا تدخلين به الجنة أم تدخلين به النار ؟ ، هل هذا يرضي الله عنك أم يسخطه عليك ؟ ، وهذا هو توبيخ النفس وزجرها ؛ لتعلم حقيقتها وقدرها .**

خامساً : المعايبة والمعاقبة :

وذلك بأن تتعاتب نفسك وتؤديها وتعاقبها بأن تمنعها مثلاً من بعض المباحثات تأدبياً وزجراً ، وتهذيباً وتربية ، أو تعاقبها بأن تلزمها وتفرض عليها استغفار عشرة آلاف مرة وتمنعها من النوم ، تعاقبها بأن تأكل خبزاً جائعاً بغیر إدام وتشرب بعد الخبز ماء فقط . بعض السلف أراد أن يعالج نفسه من الغيبة فما استطاع أن يعالجها بعد أن جرب معها بعض العلاجات ، ثم عاقبها بأنه إذا اغتاب إنساناً تصدق ، فكلما اغتاب إنساناً تصدق ، حتى قال : فغلبني حب الدنانير فتركت الغيبة ، فعاقب نفسك لعلك تستطيع قيادة زمامها .

ستة الأعمال :

ثم بعد ذلك هناك صلاة الضحى فصلها ركعتين أو أربع أو ست أو ثمان ، ثم انصرف من المسجد ، إن كان ثمة وقت للنوم أو المضي إلى العمل فامض ، ثم المحافظة على الأذكار الموظفة كاذكار دخول المسجد والخروج

منه ، ودخول البيت والخروج منه ، أذكار النوم ، دعاء الأكل والشرب ، دعاء الركوب ، وعليك في هذا الشأن بكتاب حصن المسلم للقحطاني ، أو كتاب مختصر النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة^(١) .

فإذا مضيت إلى عملك فاعلم أنك في عبادة من ساعة نویت الصوم عند طلوع الفجر ، كأنك دخلت الصلاة بتکبیرة الإحرام ؛ فإياك أن تلتفت بقلبك عن الله أثناء النهار .

نعم : إن نية الصيام عند الفجر بمثابة تکبیرة الإحرام ، فأنت منذ ذلك الوقت في هذه العبادة - أي الصيام - متثبت بها ، فلا تنصرف بقلبك عنها ، فلا يصح أن تكون في عبادة وتکذب أو تغتاب أو تنم أو تنظر إلى امرأة متبرجة ؛ لذلك قال بعض السلف : أهون الصيام ترك الطعام والشراب ، وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه : إذا صمت فليصم سمعك ، وبصرك ، ولسانك من الكذب ، ودع أذى الجار ، ول يكن عليك وقار وسکينة ، ولا تحمل يوم صومك ويوم فطرك سواء .

ليصم سمعك عن الحرام ، ليصم عن الأغانی والغيبة ، ليصم عن النفاق والنميمة ، ليصم عن البذاءة والفحش ، ليصم عن السب والشتم واللعان ، ليصم سمعك عن سماع كل ما يغضب الله عز وجل ، وليرصم بصرك عن النظر إلى النساء المتبرجات في الشوارع ، في المجلات ، في الأفلام والمسلسلات ، في الفوازير والمسرحيات ، في الإنترن特 والفضائيات ، ليصم بصرك عن الحسد واحتقار الناس ، ليصم بصرك عن النظر إلى متعة الدنيا ، ليصم بصرك فلا يرى إلا الخير والنور .. لا يرى إلا القرآن .. لا يرى إلا صفحة الكون المنظورة التي تزيده إيماناً ويقيناً وخوفاً وتعظيمًا لله جل جلاله .

(١) للشيخ محمد بن إسماعيل المقدم - حفظه الله .

إنك قد تجد بعض الناس يصوم عن الحلال ويفطر على الحرام ، يصوم عن زوجته الحلال ويفطر على النساء في الشوارع ، يصوم عن الطعام الحلال ويأكل لحم أخيه ميتاً بالغيبة والنميمة وهو حرام ، يجلس أمام التلفاز فيرى النساء العاريات ويسمع الكذب والبذاءة ، إخوتي ، انتبهوا فإن المعصية في رمضان تختلف عن المعصية في غيره ، والطاعة فيه تختلف عن الطاعة في غيره ، فللأوقات المعظمة عظمة وحرمة ، وقد قال الله تعالى في الأشهر الحرم : ﴿فَلَا نَظِلُّمُوْ فِيهِنَّ أَفْسَكُم﴾ [التوبه: ٣٦] ، تعظيمًا لهذه الأشهر .

لذا كان من علامات التوفيق إقبال الطاعات وإدبار المعا�ي ، ومن علامات الخذلان إقبال المعا�ي واستئصال الطاعات ، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَى رَأَدُّهُرُ هُدَى وَأَنْهَمُهُمْ تَقْوَاهُرُهُم﴾ [محمد: ١٧] .

شهر القرآن :

ثم انتبه إلى أن رمضان شهر القرآن ، فينبغي أن يكون العمل مضاعفاً في هذا الشهر ، لابد أن تكشف وتكثر في هذا الشهر من تلاوة القرآن .

أخي الحبيب ، ألسنت تحب الله ؟ ، فلماذا لا تكثر من تلاوة كلامه ؟
لو أحببت الله لأطعه ، وأنا أقول لك : نعم وليس شرط المحب العصمة ،
ولكن شرطه كلما زلت أن يتلافى تلك الوصمة .

قال الله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدَى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهَرَ فَإِيمَانُهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، فكان وجود القرآن قبل التكليف بالعبادة ، فكانه قيل : احتفلوا بالقرآن .. وتفرغوا لقراءة القرآن .. ولكن - للأسف الشديد - تفرغ المسلمون اليوم للدورات الرمضانية في كرة القدم ، ومشاهدة المسلسلات ، وصنع الطعام والكتافة ، شيء عجيب ! ، الله فرغنا لتلاوة كتابه ونحن نعرض عنه !!

كان حال السلف في رمضان مع القرآن عجيبة ، أذكر لك حال الشافعي عليه رحمة الله ، كان يختتم في رمضان ستين ختمة ، في اليوم يختم ختمتين ، ختمة بالليل وختمة بالنهار ، وللهذا علق الحافظ ابن رجب رحمه الله على حديث أنه «مهى رسول الله صلوات الله عليه وسلم أن يقرأ القرآن في أقل من ثلات»^(١) ، بأنه يجوز في الأماكن الفاضلة والأزمنة الفاضلة أن يقرأ القرآن في أقل من ثلات حيث ورد هذا عن كثير من السلف وعن الصحابة ، فقد ورد عن عثمان رضي الله عنه أنه ختم القرآن في ركعة أو تر بها في الحجر .

قال ابن رجب : كان السلف يتلوون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها .

كان الأسود يختتم القرآن في رمضان في كل ليالين ، وكان يختتم في غير رمضان في كل ست ليال .

كان قتادة يختتم القرآن في كل سبع ليال مرة ، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة ، فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة .

قال النووي : روى ابن أبي داود بإسناده الصحيح أن مجاهدا رحمه الله كان يختتم القرآن في رمضان فيما بين المغرب والعشاء ، وكانوا يؤخرون العشاء في رمضان إلى أن يمضي ربع الليل .

قال ابن الحكم : كان الإمام مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم .

وكان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن .

(١) أخرجه أحمد (٢/١٦٤) ، وصححه الألباني (٤٦٦) في «السلسلة الصحيحة» .

وكان عائشة تَقْرِئُهَا تقرأ في المصحف أول النهار في شهر رمضان ، فإذا طلعت الشمس نامت .

قال ابن مسعود : ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، ونهاره إذا الناس يفطرون ، وبيكائه إذا الناس يضحكون ، وبورعه إذا الناس يخلطون ، وبصمتها إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون .

قال أبو الحسين محمد بن علي صاحب الجنيد : صحبت أبا العباس بن عطاء عدة سنين متأدبا بآدابه ، وكان له في كل يوم ختمة ، وفي كل شهر رمضان في كل يوم وليلة ثلاث ختمات .

أين نحن من هؤلاء !! ..

إذا فليستحوذ القرآن على غالب وقتك بالنهار قراءةً وتدبرًا وترتيلًا .. ولتحرص على الختمة دائمًا فلا ترك المصحف من يدك أبداً ، أما إذا كنت في عملك فالزم الذكر ولا تفتر مطلقاً .

احذر الذين يأكلون وقتك :

بعد أن تذهب إلى كليتك أو عملك ستتجد من يقابلك فيقول لك : هل سمعت فزورة أمس ؟ ، تعال نلعب لكي نسلي صيامنا .. هل رأيت المسلسل ؟ .. هل رأيت المسرحية ؟ .. يريد أن يضيع وقتك ويعطلك عن طاعة ربك ؛ لأن قلبه فارغ فيريد منك أن تكون مثله ، وأشر ما على القلب خلطة البشر ، لذلك أريدهك -أيها الحبيب- أن تحول الحوار لصالح الدين ، أن تحول مجلس الغيبة والنميمة واللغو إلى مجلس لذكر الله ، إذا قال لك : هل رأيت المسلسل ؛ فقل له : وهل سمعت أنت أن الله عز وجل يقول : «وَإِذَا سَأَلَكَ عَبْدًا عَنِ فِلَقٍ قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» [البقرة: ١٨٦] .

هكذا يبتعد عنك أو تكون قد أفسدته وعممت الخير ودعوت إلى هدى ، فإذا قرأ عشر آيات فكأنك قرأتها ، لكنني أريدك أن تنجو بنفسك .. أن تعبد الله وحدك بجد ونشاط ؛ فقد فاتت سنتين طويلة وأنت تسوف وتؤجل ، فها هو رمضان قد جاء فلا تضيئ وقتك ، فليس هناك مجال لتضييع الوقت ، وإذا مدت إليك فتاة يدها لتصافحك ؛ فقل لها : «إني لا أصافح النساء»^(١) كما قال النبي ﷺ ، فإذا قلت ذلك فسوف تتخلص من هذه المشكلة نهائياً .

واحدر أن تضييع رمضان في المزاح ، دعك من الضحك والله وتضييع الأوقات بالنكات الكاذبة الفجة المنكرة ، إنما ينبغي أن يعلوك الحزن ؛ لأنك تخاف ذنبك ، وتخاف يوماً تشيب فيه النواصي ، فهل تستطيع أن تضحك في هذا اليوم والله يقول : «وَلَنْ مَنْكُفٌ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتَّىٰ مَقْضِيَّا» [مريم: ٧١] ، أريد أن تمنع عن الضحك والمزاح قليلاً .. خفف منه ما استطعت .

عكس المطلوب :

وكذلك تقلل من الأكل ، والمصيبة أن الناس جعلوا رمضان موسمًا للأكل ، شرع الله الصيام للامتناع عن الطعام بالنهار ، فانفتح الناس فيه بالليل ، وتجدد تكلفة الطعام عنده في رمضان ضعف غيره من الشهور ، لو قلت له : إنك تأكل في غير رمضان ثلات وجبات ، وفي رمضان وجبتين فقط ، فلماذا لا تجعل الثالثة للفقراء ؟ فيقول : ومن أين ؟ ، إنني أفترض في رمضان من أجل الطعام ..

هذا هو الواقع عند كثير من الناس ، صاموا عن الطعام بالنهار ، وتوسعوا فيه بالليل .. صاموا عن شهوة الفرج في النهار ، فسخر بهم شياطين الإنس

(١) أخرجه أحمد (٣٥٧/٦) ، وصححه الألباني (٢٥٢٩) في «السلسلة الصحيحة» .

بالمسلسلات والأفلام والفوازير ليزيدوا لهم من هذه الشهوة في الليل ، وهكذا حصل الناس عكس المقصود من مشروعية الصيام في رمضان ، فزادت الشهوات التي شرع رمضان لعلاجها وضبطها ، وتلك عقوبة .

قال تعالى : «وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِيَّصْ لَهُ شَيْئًا فَهُوَ لَهُ فَرِينٌ» [الزخرف: ٣٦] ، وقال سبحانه : «وَإِذَا أَرَدْنَا أَن تُهْلِكَ قَرْيَةً أَمْرَنَا مُتْرَقِّبَاهَا فَسَقَطُوا فِيهَا فَهَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرَنَاهَا تَدَمِيرًا» [الإسراء: ١٦]؛ لذلك أقول لك : انس الضحك والكلام في نهار رمضان ،أغلق فمك واكتب عليه : (مغلق للتحسينات والافتتاح في آخر رمضان إن شاء الله) .. تعود على المجاهدة ، كان أبو بكر الصديق رض يضع على لسانه حصاة يثقل بها لسانه حتى لا يتكلم .

أخرج للعمل وأنت ذَكَار.. وأريدك أن تعد الأذكار حتى تشجع ، قل سيد الاستغفار خمسمائة مرة .. قلها مئة مئة .. قل مئة ، فإذا شعرت بذلك الذكر فاستمر وأكمل ، فلا تدري متى ينل عنك باب هذه اللذة ، وهكذا ينفتح لك باب الأذكار .. قل : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ألف مرة أو أكثر ، قال رسول الله صل : «كلماتان خفيتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»^(١) ، حبيتان إلى الرحمن ! ، سبحان الله العظيم !! ، الله يدللك على ما يحبه ثم أنت لا تقوله !! ، قل : رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم ، أو صل على النبي صل بالصلاحة الإبراهيمية أو بأي صيغة أخرى من صيغ الصلاة على النبي صل .

صلينا الصبح في جماعة ، وجلسنا في المسجد حتى شروق الشمس ، ثم

(١) متفق عليه ، البخاري (٦٠٤٣) ، مسلم (٢٦٩٤) .

صلينا الضحى ، ثم ذهبنا إلى العمل ، وفي العمل تشغله عملك فقط وتنقنه ، وإن لم يكن هناك عمل فانشغل بالقرآن أو بالذكر ، وحتى وأنت تعمل تستطيع أن تعمل بيدهك ، ولسانك وقلبك منشغلان بذكر الله ، انشغل طوال يومك بالذكر في الطريق ، في السيارة ، في البيت ، في كل وقت انشغل بذكر الله ، لا تغفل .. لا تفتر .

متابعة أهل البيت :

أخي الحبيب ، الآن عدت من العمل ، عندما تدخل بيتك ، قبل أن تسأل زوجتك عن الطعام سلها عن الصلاة : هل صليت العصر .. هل صليت الظهر .. هل قلت الأذكار .. كم مرة استغفرت اليوم ؟ ، كم جزءاً قرأت في هذا اليوم ؟ ، وتتابع أولادك : تعال يا بني ماذا حفظت اليوم ؟ ، استغفرت اليوم كم مرة ؟ ، صليت على النبي ﷺ كم مرة ؟ ، بماذا دعوت الله اليوم ؟ ، قل يا بني : من ربك ؟ ، ما دينك ؟ ، من نبيك ؟ ، قل يا بني : ما معنى الإسلام .. ما معنى اليقين .. ما معنى الإخلاص ؟ ، تعلم وعلم ولدك وزوجتك .. هات المصاحف واجلسوا في حلقة تقرأ فيها معهم القرآن وتتدارسوه .

اللَّهُمَّ اعْلُأْ بيوتَ الْمُسْلِمِينَ قرآنًا وَخِيرًا وَبِرَّةً ، آمين.

البيوت اليوم مليئة بالمشاكل ؛ لأنه لا يذكر الله فيها إلا قليلاً ، البيوت مليئة بالمشاكل ؛ لأن الزوجة ترى الزوج غافلاً فتزداد غفلة .. ترى الزوج يعصي الله فتزداد هي عصيائنا .. ترى الزوج لا يطيع الله فتجترئ عليه .

قال بعض السلف : إني لأرى ذنبي في خلق دابتي وامرأتي .. اللهم أصلاح زوجات المسلمين يا رب .

أخي الحبيب ، لا تغفل عن السؤال عن الصلاة والصيام والذكر والقرآن ..

قال رسول الله ﷺ: «من كانت الآخرة همّه جمع الله عليه شمله ، وجعل غناه في قلبه ، وأنته الدنيا وهي راغمة»^(١)، اجلس مع أولادك وزوجتك قبل المغرب اقرعوا جزءاً من القرآن ، واجتمعوا للدعاء لأنفسكم وللمسلمين .. فيصبح البيت جنة ، تعيش في جنة مع زوجة من الجنة وأولاد من الجنة .

انشغل بأذكار المساء حتى يؤذن المغرب ، ثم تفترط على ثلاث تمرات ، ثم تشرب شيئاً من الماء ، وعندما تفترط لا تنس دعاء وذكر الإفطار : ذهب الظماء وابتلى العروق وثبت الأجر إن شاء الله .. نسأل الله أن يأجرنا وأن يكتب لنا الأجر كاملاً ، ثم صل بعد الأذان سنة المغرب القبلية ، فيجتمع لك أمران : أن الوقت بين الأذان والإقامة يستجاب فيه الدعاء ، وأن هذه ساعة إفطار يستجاب فيها الدعاء ، وأنك وأنت ساجد يستجاب لك الدعاء ، فجمعت بين هذه الثلاثة ؛ فاجعل من الدعاء دعاء للأمة ، اللهم اكشف الغمة عن جميع الأمة .

صلوة المغرب في المسجد :

ثم سارع إلى صلاة المغرب جماعة في المسجد ، إذا أذن للمغرب أفتر ، يباح الأكل مع الأذان وأنت تردد ، ولا تنس أن للصائم عند فطره دعوة مستجابة ، فيما ترى ما هو الذي ستطلب في هذا الدعاء ؟ ، اطلب الجنة وأسبابها ، اللهم إنا نسألك الجنة وما يقرب إليها من قول أو عمل ، ونوعذ بك من النار وما يقرب إليها من قول أو عمل .

حين يؤذن المؤذن تذكر أنك مطالب بصلوة فريضة ، لا تجعل الارتباط بالأذان هو الأكل فقط ، إنما الأذان نداء للصلاة ، حي على الصلاة .. حي على الفلاح ، والأفضل أن تذهب إلى المسجد قبل الأذان وتقف تنتظر

^(١) أخرجه الترمذى (٢٤٦٥) ، وحسنه الألبانى (٩٤) فى «السلسلة الصحيحة» .

الصلاه ، و ساعتها تذكر يوم يقوم الناس لرب العالمين ، و تجتهد في الدعاء أن ينجيك الله في هذا اليوم ، فوائد كثيرة وكلها نافعة .

إن بعض الناس يقول : سوف أفتر ثم أخرج إلى الصلاه ، وهذا غالباً ما تفوته ركعة لاستعمال الناس بصلوة المغرب ، أقول : بل خذ معك تمرة واذهب إلى المسجد ، فإذا لقيت أحداً في الطريق فأعطيه تمرة يفطر عليها ، فيكون لك مثل أجره ، وادعه لصلوة المغرب معك في المسجد ، وتكون قد أمنت على عبادي الصيام والصلاه .

وتلك هي هواية التأمين على العبادات . . من الناس من يهوى التأمين على السيارات والعمارات وعلى الحياة ، وشركات التأمين حرام لا يجوز ، فكن أنت من هواة التأمين على العبادات ، عندما تذهب إلى الصلاه اصطحب معك أحد الناس ، فلو خرجت من صلاتك بخمسين بالمائة فتكمل هذا النقص بصلوة هذا الذي صلئ معك ؛ لأن لك مثل أجره ، قال رسول الله ﷺ : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه »^(١) .

فكذلك عند الصيام ، فَطُر صائمًا يكتب لك مثل أجر صيامه ، حاول أن تؤمن على عباداتك بأن يجعل لك رصيدها مؤخرًا ينفعك إذا حصل منك نوع تقصير ، أعط صائمًا تمرة وقل له : أفتر على هذه وادع لي ، فإن للصائم دعوة مستجابة ، فعسى أن يدعوك فيستجاب له ، واحرص على أن يفطر معك كل يوم مسكين ، قد تقول : كيف أفتر مع مسكين وأترك أهلي وأولادي ، أقول لك : اجمع بين الخيرين ، واجعله هو يفطر مع أهله ولتفطر أنت مع أهلك بأن تعطيه جزءاً من الطعام الذي تعدد لنفسك وأهلك الذي غالباً تأكلون نصفه

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤) .

وتزمون الباقى ، من الآن اشترا العمود الذى يوجد فيه أوان بعضها فوق بعض ويعمل فى اليد ، لتملاه بأصناف الطعام كل يوم وتعطيه للفقير .

الإفطار الأمثل :

ثم تعود إلى بيتك سعيداً منشرياً ، تلقي السلام وتبشرهم بالدعاء ، ثم اجلس إلى الإفطار متذكراً نعمة الله عليك ، مستحضرًا حال من لم يوجد الطعام ، ولا تشغلك النعمة عن المنعم ، وتذكر أن الله تعالى أمرك بالنظر قبل الأكل : «أَنْظُرُوا إِلَيْنَا شَرْوِه إِذَا أَثْمَرَ وَتَنْجِه» [الأنعام: ٩٩] ، قبل أن يقول : «كُلُّوا مِنْ شَرْوِه إِذَا أَثْمَرَ وَمَا تُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَسَابِه وَلَا تُشَرِّفُوا إِلَيْكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسَرِّفِينَ» [الأنعام: ١٤١] ، فلابد أن تنظر إلى طعامك وتأمر أولادك بذلك لكي تشکروا نعمة الله ، وتتدبروا رزق الله ، وتشعروا بنعمة الله عليكم ، هذه فائدة فاغتنمها .

ثم تذكر حديث النبي ﷺ : «بحسب ابن آدم لقيميات يقمن صليبه ، فإن كان لا محالة فاعلاً : فثلاث لطعامه ، وثلاث لشرابه ، وثلاث لنفسه»^(١) ، وإنني أحذرك من مجاوزة الحد والطغيان الحصول في بيوت المسلمين في رمضان في موضوع الطعام والشراب ، قال الله تعالى : «كُلُّوا مِنْ طَيْبَتِ مَا رَزَقْنَاهُمْ وَلَا تَعْلُفُوا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ عَصْبَىٰ وَمَنْ يَحِلِّلْ عَلَيْهِ عَصْبَىٰ فَقَدْ هَوَىٰ» [طه: ٨١] ، إياك والطغيان ، وهو مجاوزة الحد ، يجوز الشبع أحياناً ، لكن اعلم أنه إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة .

فإذا استوفيت الإفطار تقدر الليل بالنوم ، وإذا استوفيت السحور تخطي النهار بالكسل ، بل تأكل عند الإفطار الثالث حتى تشعر عند السحور بالجوع ،

(١) أخرجه أحمد (٤/١٣٢) ، وصححه الألباني (٢٢٦٥) في «السلسلة الصحيحة» .

فستيقظ للسحور طاعة لأمر الله وطلاً لمرضاته ، والتماساً لصلاة الله وملائكته على المتسحرين ، وأيضاً لدفع الجوع العاصل ، والتقوى بالطعام على الطاعة ؛ لكي تستطيع أن تعمل في النهار ، قال رسول الله ﷺ : «بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه» ، صلى الله عليك وسلم يا رسول الله ، كان يمر الهلال والهلال ولا يوقد في بيوت آل محمد نار ، وهو سيدنا وسيد الخلق أجمعين ﷺ .

سبحان الملك ! ، يظل شهرين ولا يذوق فيهما شيئاً قد طهي على النار ، فعلام كان يعيش هو وأزواجه ؟ ، كانوا يعيشون على التمر والماء ، فهل تستطيع أنت أن تعيش على التمر والماء ؟ ، لماذا لا ؟ ، ماذا سيحدث لو فعلت ذلك ؟

إذا امتلأت بطنك ، وأوشك الطعام أن يخرج من حلقك ؛ سوف تستطيل الصلاة ، ولن تخشع فيها ، وتضطر للخروج إلى الحمام ويطول مكثك فيه ، وإذا أردت أن تعرف مقامك ، فانظر أين أقامك ؛ لذلك خفف ، كُلِّ الثالث فقط ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ .

تحير الإمام والمسجد :

ثم عَجَّل بالخروج إلى صلاة العشاء مبكراً لتقف خلف الإمام ، وتحير مسجداً تستريح له وإماماً تستمتع بصوته ، ابتعد عن هؤلاء الذين يغدون ، وابتعد عن ضجيج المساجد المشهورة ، وابحث عن مسجد هادئ نظيف ، وابحث عن إمام إذا قرأ حسبيه يخشى الله تعالى ، ولو كان بعيداً عن بيتك ، لا تبخل فالخطوات محسوبة وأجرك مدفوع .

فإنك عندما تدخل هذا المسجد تشعر بالسكينة ، وعندما يقرأ هذا الإمام تزيد ألا يتنهى ، ابحث عن هذا لعله يُرحم فترحم معه ، رأى علي بن أبي

طالب رجلاً يحمل أمه في الطواف ، فطاف خلفه وقال : والله إني لأطوف وما كانت لي نية في الطواف ؛ لأنني لما رأيت هذا يحمل أمه علمت أنه ستنزل عليه رحمة فأردت أن يصيبني شيء منها .. فأنت عندما تصلي وراء إمام مخلص تشعر بأن الرحمة تنزل عليه وتصل إلىك هذه الرحمة ، ولا تمل من الصلاة خلفه .

تدبر القرآن آية آية .. تذكر كيف كانت هذه الآيات تنزل على قلب النبي محمد ﷺ ، كيف كان الصحابة يعملون بها ، وعندما تصلي خلف إمام واحد طيلة الشهر سترى بماذا يقرأ غداً ، فاقرأ القدر الذي سيقرئه قبله أثناء النهار ، وإذا لم تفهم كلمة وأنت تقرأ ارجع إلى كتب التفسير حتى تعيش المعنى الحقيقي للآية عندما يقرأها الإمام في القيام ، فإذا عشت هذا المعنى فعلاً فلن تمل حتى ولو قرأ الإمام طيلة الليل .

كيف أحصل الخشوع في القيام ؟

ولكي تحصل الخشوع يجب أولاً أن تعرف فائدة الخشوع ، قال النبي ﷺ : «إن العبد إذا قام يصلي أتي بذنبه كلها فوضعت على رأسه وعاتقه ، فكلما رکع أو سجد سقطت عنه ذنبه»^(١) ، قال الإمام المتأowi في «فتح القدير» : المراد أنه كلما أتم رکناً سقط عنه رکن من الذنوب ، حتى إذا أتم الصلاة تكامل السقوط ، وهذا شرط في صلاة متوفرة الشروط والأركان والخشوع كما يؤذن به لفظ العبد والقيام ، «إن العبد إذا قام يصلي» .. فالشرط أن يكون عبداً وقام ، إذ هو إشارة إلى أنه قام بين يدي ملك الملوك مقام عبد ذليل .

(١) أخرجه ابن حبان (١٧٣٤) ، وصححه الألباني (١٣٩٨) في «السلسلة الصحيحة» .

فائدة تحصيل الخشوع :

أولاً : أنك كلما ركعت أو سجدت سقطت عنك الذنوب.

ثانياً : أن الأجر المكتوب بحسب الخشوع .

ثالثاً : ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها .

رابعاً : أن الرسول ﷺ قال : «ما من أمرٍ مسلمٍ تحضره صلاةٌ مكتوبةٌ فيحسنُ وضوءها وخشوعها وركوعها وسجودها إلا كانت كفارةً لما قبلها»^(١).

خامساً : أن الخاشع في صلاته إذا انصرف منها وجد خفةً من نفسه ، وأحسنَ بأثقالٍ قد وضعت عنه ، يجد نشاطًا وراحة ، وتتصبح الصلاة قرةً عينه وروحه ، وجنةً قلبِه ومستراحِه في الدنيا ، فلا يزال كأنه في سجنٍ وضيقٍ حتى يدخل فيها ف يستريح بها لا منها ، قال النبي ﷺ : «يا بلال ، أرحنا بالصلاحة»^(٢) ، وقال ﷺ : «وَجَعَلْتُ قرْبَةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٣) .

هذه خمس فوائد للخشوع أجعلها سبباً لتحصيل الخشوع ، لتخشع في الصلاة المفروضة ، وصلاة القيام وتظل مع الإمام حتى يتم صلاته .

استمر في الصلاة مع الإمام حتى ينتهي ، فقد جاء في حديث أبي ذر قوله ﷺ : «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصُرِفَ حُسْبَانُهُ لِلْيَلَةِ»^(٤) .

ماذا أفعل بعد الرجوع من القيام ؟

ثم تعود إلى البيت ، لتجري مسابقة نافعة لأولادك مثلاً ، استخرج آية من

(١) أخرجه مسلم (٢٢٨) .

(٢) أخرجه أحمد (٣٦٤ / ٥) .

(٣) أخرجه أحمد (١٢٨ / ٣) ، وصححه الألباني (٣٠٩٨) في « صحيح الجامع » .

(٤) أخرجه أحمد (١٥٩ / ٥) ، وصححه الألباني (١٦١٥) في « صحيح الجامع » .

التي كان الإمام يقرؤها فتقول لولدك أو زوجتك : متى سمعت هذه الآية آخر مرة ؟ ، فمن أجاب أعطه جائزة : تمرة .. أو كتبيا .. أو ورقة أذكار .. أو شريطاً جديداً .. أو ملابس العيد .. أو هدية مناسبة ، أو أجعلهم يتنافسون من يختتم القرآن أولاً ، تفتن في أن تحب الله إلى أولادك وزوجتك .

أجعلهم يحبون الله ، أعطهم وأحسن إليهم وقل لهم : لو لا أن الله أمرني بهذا ما فعلت هذا معكم أبداً ، فيحبون الله ، فيحبونك ، اجعل ابنك يحب الله لكي يحبك ؛ لأنه لو أحبك من أجل أنك تعطيه ، فسوف يكرهك عندما تمنعه ، لكن لو أحب الله لأحبك سواء أعطيته أو منعه ؛ لأن الله أمره بهذا ، وكذلك فافعل مع زوجتك ، وبعد أن ترجع من المسجد إياك أن تغفل ، احتفظ بحرارة الخشوع ، ولست أطلب منك أن تختتم القرآن كل يوم مرة ، ولا كل ثلاثة أيام ، اختمه في كل أسبوع مرة ، يعني اقرأ كل يوم خمسة أجزاء .

اقرأ جزءاً في الصباح قبل الصلاة ، وجزءاً في المواصلات ، وجزءاً بعد العصر مع الأولاد ، وجزءاً قبل النوم ، ونصف جزء تقوم به ركعتين في البيت ، فتختتم القرآن أربع مرات ، فتكون قد كُوئِّنت ثروة كبيرة من الحسنات ، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم الجنة .. تذهب إلى البيت تقرأ جزءاً من القرآن ، وتجلس للتحاسبة ، ثم تنام مبكراً لتستطيع أن تستيقظ مبكراً .

التهجد :

قال تعالى : «وَمَنْ أَيْلَلَ فَتَهَجَّدَ بِهِ، نَافِلَةً لَّكَ» [الإسراء: ٧٩] ، تصلي التهجد ركعتين فقط كي تصيب السنة ، لأن الرسول ﷺ قال : «أفضل الصلاة طول الليل»^(١) ، وعندما تقوم لا تنس أن تقيم امرأتك معك ، قال رسول الله ﷺ :

(١) أخرجه مسلم (٧٥٨).

«رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى ركعتين وأيقظ أهله ، فإن أبْتَ نَصَحَّ فِي وجْهِهَا الْمَاء»^(١) ، اجتهد أن تقوم ساعة أو أكثر قبل أذان الفجر ، فهذا وقت التنزيل الإلهي كل ليلة ، ينادي ربنا جل جلاله كل ليلة في السحر في ثلث الليل الآخر : «هل من مستغفر فأغفر له ، هل من تائب فأتوب عليه ، هل من سائل فأعطيه»^(٢) ، حتى يطلع الصبح وذلك كل ليلة ، فلا يفوتك هذا الفضل العظيم ، وكن من الذاكرين في هذه الساعة فهي بركة اليوم وكل يوم .

قال بعض السلف : ما علمني القيام إلا ولدي ، قرأ يوماً : «يَأَيُّهَا الْمَرْءُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْلِمُكُمْ بِأَيْمَانِكُمْ وَإِنَّمَا يَأْلِمُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» [المزمل: ٢-١] ، فقال : يا أبْتَ ، ما معنى قم الليل ؟ ، قلت : يا بني أن يصلِّي العبد في الليل ، قال : يا أبْتَ فما لي لا أراك تقوم ، قلت : هذه الآية خاصة بالنبي ﷺ ، فلما تعلم الولد : «كَانُوا قَلِيلًا مِنْ أَيَّلٍ مَا يَهْجِمُونَ» [الذاريات: ١٧] ، قال : يا أبْتَ ، من هؤلاء ؟ ، قلت : عباد الله المؤمنون ، قال : فما لي لا أراك تقوم ؟ ، قلت : سأقوم من الليلة يا بني ، قال : يا أبْتَ دعني إذا قمت أقوم معك ، فقلت : يا بني أنت صغير لم تكلف بعد ، فنم حتى تستريح ، قال : يا أبْتَ ، أرأيت لو بعثني الله يوم القيمة فسألني : لم لم تقم ؟ ! ، أقول له : أبي قال لي : نعم ؟ ! ، فبكى الرجل وقال : يا بني قم .

فهكذا ينبغي أن نعلم أولادنا القيام ، أن نربيهم على ذلك ، اليوم كثير من لا يستطيع أن يصلِّي الصبح ؛ لأنَّه لم يتربَ في بيت يصلِّي أو كان أهل البيت يصلُّون لكنهم لم يوقظوه ، وإن استيقظ لا يصلِّي في المسجد ، فلهذا ينبغي أن نعود زوجاتنا وأولادنا على الاستيقاظ من النوم للصلوة ؛ بل يجب أن تكون أنت وزوجتك متناوبين ؛ توقظها وتوقظك للصلوة ، وتعاتباً وتعاقباً إن لم تقوما .

(١) أخرجه أحمد (٢٥٠/٢) ، وصححه الألباني (٣٤٩٤) في « صحيح الجامع » .

(٢) أخرجه مسلم (٧٥٨) .

تقوم قبل الفجر بساعة أو ساعتين ، توقظ أولادك كبيرهم وصغيرهم ، وقبل الفجر بنصف ساعة تحضرون طعام السحور ، قال رسول الله ﷺ : «السحور أكله بركة ؛ فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء ، فإن الله عز وجل وملائكته يصلون على المتسحرين»^(١) ، تأكلون في عشر دقائق ، وتذهب إلى المسجد مبكراً ، وتصلِّي تحيَّة المسجد قبل الأذان وتجلس تستغفر لله ، «وَإِلَّا سَحَّارٍ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» [الذاريات: ١٨] ، وفي الحديث القدسي السابق يقول الله : «هل من مستغفر فأغفر له» ، ثم تصلي الصبح ، صلاة مشهودة محضورة .. وهكذا تم يومك .

إخوتاه .. هل عزمتم !؟ ، هل من مشمر !؟ ، أسأل الله عز وجل أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته ، ونسأله أن يوفقنا إلى الخير دائمًا في رمضان وفي غير رمضان .. وهكذا أجينا - بحول الله وقوته - على سؤال : كيف تعيش يوماً في رمضان ؟

البرنامج :

- (١) التبشير إلى صلاة الصبح في المسجد ، فتخرج من بيتك قبل الفجر بربع ساعة ، وصلاة المرأة في بيتها أفضل ؛ حكم الشرع .
- (٢) صلاة ركعتين تحيَّة المسجد ، ولزوم الاستغفار حتى يؤذن للصلاة ، ثم صلاة ركعتي السنة .
- (٣) تلاوة جزء من القرآن ما بين الأذان والإقامة إن استطعت وإلا فهو عليك بعد الصلاة .

(١) أخرجه أحمد (٤٤/٣) ، وحسنه الألباني (١٨٤٤) في « صحيح الجامع » .

(٤) المكوث في المسجد بعد الصلاة ، وقراءة أذكار الصباح ، وجزء من القرآن آخر حتى طلوع الشمس ، مع مراعاة عدم التحدث مع أحد أو الانشغال بأحد .

(٥) صلاة ركعتي الضحى ثم الخروج من المسجد .

(٦) الذهاب إلى العمل أو المدارس والكليات ، أو العودة إلى البيت إن كان هناك وقت ، والنوم لمدة ساعتين .

(٧) إذا كنت ستذهب إلى العمل فعليك بالذكر طوال الوقت ، ولا تتحدث إلا فيما يرضي الله عز وجل ، وأتقن عملك ، ولا تفسد صيامك ، وأحسن خلقك ، إياك واللغو والرفث والغيبة والنميمة والكذب والفحش فكلها تقضي الصيام ، واقرأ جزءاً من القرآن قبل صلاة الظهر وبعدها ، وكذلك في صلاة العصر .

(٨) إذا كنت ستعود إلى المنزل ، أو المرأة التي صلت في بيتها ، فستنام لمدة ساعتين وتستيقظ في التاسعة تقرأ القرآن وتذكر الله حتى صلاة الظهر .

(٩) عند العودة من عملك ، أو انتهاء المرأة من إعداد الطعام وأعمال المنزل عليك بجمع أولادك حولك تتابعهم وتسألهما ماذا أنجزوا من عباداتهم .

(١٠) يمكنك عمل حلقة قرآن في البيت مع زوجتك وأولادك ، تقرؤون القرآن حتى قرب المغرب ، ثم عليكم بالدعاء فإنه لا يرد .

(١١) الإفطار على ثلاث تمرات وشربة ماء ، وصلاة السنة القبلية للمغرب في البيت ، ثم الخروج لصلاة المغرب في المسجد .

(١٢) عليك بأخذ بعض التمر معك ، أو العجوة ، أو العصير ؛ لإفطار الصائمين الذين لم يعودوا إلى منازلهم بعد .

(١٣) صلاة ركعتين تحيه المسجد إن كان هناك وقت لذلك ، ثم صلاة المغرب ، ثم العودة إلى بيتك للإفطار مع أهلك ، وتكون زوجتك قد صلت المغرب مع أولادها الصغار .

(١٤) لا تنس إفطار الفقراء والمساكين ، واسكر نعمة الله .

(١٥) التبشير إلى صلاة العشاء في المسجد لكي تقف خلف الإمام ، ويمكنك أن تأخذ زوجتك وأولادك معك ، وصلّ مع الإمام حتى يتنهي .

(١٦) عد إلى بيتك واقرأ جزئي قرآن .

(١٧) نم حتى الساعة الثانية صباحاً .

(١٨) الاستيقاظ وصلاة ركعتي تهجد ، وراع فيهما طول القنوت «الوقوف» .

(١٩) السحور قبل الفجر بنصف ساعة .

(٢٠) الاستغفار ، ثم الذهاب إلى المسجد لصلاة الفجر .

نصائح :

(١) المحافظة على الأذكار الموظفة (الصباح والمساء ، دخول البيت والخروج منه ، دخول المسجد والخروج منه ، دعاء الركوب ، دخول الخلاء والخروج منه) .

(٢) التقليل من الكلام والإكثار من ذكر الله .

(٣) التقليل من الطعام ، والتقليل من الإنفاق والتبذير .

(٤) التقليل من النوم ، والمحافظة على ورد تلاوة القرآن .

(٥) التقليل من الموعيد والارتباطات واللقاءات والمكالمات الهاتفية .

- (٦) التقليل من الخروج من المنزل .
- (٧) التقليل من مخالطة البشر .
- (٨) غض البصر ، حسن الخلق ، الزهد في الدنيا .
- (٩) حفظ اللسان من آفاته جيئاً مثل : (غيبة ، نميمة ، كذب ، رباء ، بهتان ، لغو ، رفت ، فضول ...) .
- (١٠) المحافظة على جميع السنن القبلية والبعدية للصلوات .
- (١١) المحافظة على السواك .
- (١٢) دوام صدق التوبية باستمرار كل ساعة .
- (١٣) صلة الرحم ، بر الوالدين ، صدقة كل يوم .
- (١٤) إفطار صائمين ، إطعام فقراء ومساكين .
- (١٥) تجريد النية وتحقيقها .
- (١٦) علو الهمة والمنافسة .
- (١٧) ختم القرآن أربع مرات على الأقل خلال الشهر مرة كل أسبوع .
- (١٨) المحافظة على ورتك من الذكر يومياً خمسة آلاف مرة (ألف استغفار ، ألف سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ، ألف الباقيات الصالحات ، ألف صلاة على النبي ، وألف ورد مختلف يومياً : تهليل ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم وبحمده ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قادر) ، ومن زاد فهو أفضل .

(١٩) عدم مشاهدة التلفاز.

(٢٠) الدعاء بظهور الغيب لجميع المسلمين.

(٢١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٢٢) الكف عن المعاصي تماماً في رمضان وتجديد التوبة كل ساعة.
وصبّتي لك ..

أيام رمضان أيام تصان، هي كالنّاج على رأس الزمان، وصل توقيع القدم من الرحيم الرحمن: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» [البقرة: ١٨٥].

ياله من وقت عظيم الشأن تجب حراسته مما إذا حل شأن، كأنكم به قد رحل وبان، ووجه الصالح مع الله ما بان، فسوف يكون عليك شاهد «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ».

فمن اللازم أن تحرس فيه العينان، من الواجب أن يحفظ فيه اللسان، من المتعين أن تمنع الخطأ في الخطأ القدمان فإنه شهر عظيم الشأن: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ».

إخوته.. زِنوا أعمالكم في هذا الشهر بميزان، اشتروا خلاصكم بما عز وهان، فإن عجزتم فسلوا المعين وقد أغان، «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ».

إخوته.. قد ذهبت السنة وضاعت البضاعة ما بين التفريط والإضاعة، والتسويف يمحق ساعة بعد ساعة، والشمس والقمر بحسبان، «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ».

يا واقفا في مقام التحرير، هل أنت على عزم التغيير، إلى متى ترضى بالنزول في منازل الهوان، «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ».

في زمن مضى هل مضى من أيامك يوم صالح ، سلمت فيه من جرائم القبائح ، تالله قد سبق الرابع ، وأنت راضٍ بالخسران في شهر رمضان ، **«شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن»** .

عينك مطلقة في الحرام ، ولسانك منبسط في الآثم ، ولأقدامك على الذنوب إقادم ، والكل في الديوان حتى في **«شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن»** .

قلبك غائب في صلواتك ، وفكرك ينقضي في شهواتك ، فإن ركن إليك راكِن في معاملاتك ؛ دخلت به خان من خان ، **«شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن»** .

يا هذا .. أكثر كلامك لهو وهدر ، والوقت بالتفريط شَرَّ مَزَر ، فإن اغتببت مسلماً لم ثقِّ ولم تذر ، الأمان منك الأمان ولو في **«شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن»** .

تالله لو عَقْلَت حالك ، أو ذكرت ارتحالك ، أو تصورت أعمالك ؛ لبنيت بيت الأحزان ، واعتكفت في **«شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن»** .

أخي في الله ، سيشهد رمضان عليك ، بنطق لسانك ، ونظر عينيك ، وسيُشار يوم الجمع إليك : شقي فلان بن فلان ؛ لأنه ضيع **«شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن»** .

أخي .. في كل لحظة تقترب من قبرك ، فانظر لنفسك في تدبير أمرك ، وما أراك إلا في أول شهرك الأول والآخر سينان ، متى تصبح في **«شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن»** .

إخوته .. قد ذهب العام ومن شعبان النصف ، وما أرى من عملك النصف ، فإن كان في الماضي قد قبّح الوصف ؛ فقم الآن .. قم الآن وادع الله أن يصلاحك في **«شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن»** .



مِسْنَاتُ الْعِبُودِيَّةِ

فِي رَمَضَانَ

رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ
وَاصْطَبْرْ لِعِبَدَتِكَ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيَّاً

مشاهد العبودية في الصيام

إخواته ..

شهر رمضان أيام قلبية في الزمن؛ متى أشرفت على الدنيا فكان الزمان يقول لأهله: هذه أيام من نفسك لا من أيامي، ومن طبيعتكم لا من طبيعتي، فيقبل العالم كله على حالة نفسية بالغة السمو، ويتعدّد فيها النفس برياضتها على معالي الأمور ومكارم الأخلاق، ويفهم الحياة على وجه آخر غير وجهها الكالح، ويراماً كأنما أجيعت من طعامها اليومي كما جاء هو، فيزهد فيها، وكأنما أفرغت من خسائصها وشهواتها كما أفرغ هو فتسمو أخلاقه، وكأنما أزمت معاني التقوى كما أزمتها هو، وما أجمل وأبدع أن تظهر الحياة في العالم كله - ولو يوماً واحداً - صائمة نهارها، قائمة ليلها.. ! فكيف بها على ذلك شهراً من كل سنة؟

ولذلك فإن الصيام تغيير كامل للحياة لا مجرد الامتناع عن الطعام والشهوة مدة من الزمن؛ ولهذا لابد أن يكون للصائم مشاهد في هذه العبادة يجد آثارها في قلبه. فإن هذه العبادة تُطّلِعُه على رياض مونقة من أنواع العبودية المختلفة ومن مشاهد العبودية في الصيام:

المشهد الأول: مشهد التوحيد:

قال الله سبحانه وتعالى: «قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَنْجِيدَ وَلِيَا فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَشَدَّ وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» [الأنعام: ١٤]، وقال سبحانه: «مَا أَسْبَحْتُ أَبْنَى مَرِيسَ إِلَّا رَسُولٌ فَدَّ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَمْمَهُ صِدِيقَةٌ كَانَ يَأْكُلُانِ الْطَّعَمَ» [المائدة: ٧٥].

استدل الله جل جلاله على نفي الوهية عيسى وأمه بأنهما كانا يأكلان الطعام ، فإن الذي يأكل الطعام يحتاج إلى الإخراج ، وفيه ما فيه ..

فأول مشهد يشهده الصائم مشهد التوحيد ، فيشهد قلبه عظمة الله جل جلاله وعلوه على خلقه : «**لَيْسَ كَثِيرٌ شَرُّهُ وَهُوَ أَسَيْمَعُ الْبَصِيرُ**» [الشوري : ١١] ، فهو الغني لا يحتاج إلى شيء ، ولا يحتاج إلى أحد ، ويشهد العبد من نفسه ذله وفقره وفاقتة حاجته ، فامتناعه عن الطعام والشراب سويات قليلة يرخي جسمه ، ويفتر عقله ، ويقتل لسانه ، ويمنع عقله عن التفكير إلا فيما هو محتاج إليه من الأكل والشرب .

وشهود العبد مشهد التوحيد هذا نافع له في صيامه وإفطارةه ، فإنه يشهد عظمة ربه وغناه وقدرته سبحانه : «**يَسْتَلِمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**» [الرحمن : ٢٩] ، وقال عز وجل : «**بَيْأَنًا النَّاسُ اذْكُرُوا نُعَمَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلِيقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّ تُؤْفِكُونَ**» [فاطر : ٣] ، وشعور القلب بهذه العظمة يملؤه غنى ، ويمنح القلب قوة في السير إليه سبحانه ، وهذا الشعور بالغنى يستغني به العبد عن رؤية المخلوقين والتوكيل عليهم والارتباط بهم والتعلق بهم ، وتطهير القلب من آفات لا تعد ولا تمحى .

ويقوى هذا المشهد في رمضان دون غيره لاستدامة الصيام ورؤية هذا الحال في الناس ، فإن ثلاثة يوماً يرى فيها العبد انكسار الناس وذلهم لفقد الطعام والشراب وحرمانهم منه ، والغنى العالي الذي يبدو على من شهد مشهد التوحيد يجعله مسروراً بما يجده ، ألم تر أن رسول الله ﷺ أثر الصيام على الإفطار ، فكان يواصل ، ويشبعه مشهد التوحيد هذا فيقول : «**أَبْيَتْ عِنْدَ رَبِّي فِي طَعْمِنِي وَيُسْقِينِي**»^(١) .

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٧٤) ، وصححه الألباني (٢٠٨٠) في « صحيح أبي داود » .

فمشهد التوحيد في الصيام أجل مشاهد العبد وأكثرها نفعاً وأكثرها صلة بالفعل ، فافهم واتكئ ولا تتكل .

المشهد الثاني : مشهد الصبر والشكر :

الدين نصفان : نصف شكر ، ونصف صبر .

تكلم العلماء في مسألة أيهما أفضل : الشكر أم الصبر ؟ ، وخلاصة الكلام والله أعلم أن كل حال للعبد كان لواقعه أوفق فهو له أفضل إذا كان لله أرضى .

والإنسان لا ينفك عن الشكر والصبر ، فإنه يعيش حياته ما بين نعم متراوفة تحتاج إلى شكر ، وبين فتن متکاففة تحتاج إلى صبر ، والصبر أنواع ، صبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية ، وصبر على البلاء ، والش الكر أنواع : شكر نعم راسخة ، وشكر نعم متتجدة ، وشكر نعم حادثة ، وشكر صرف البلاء ، وشكر دفعه . . . وغيرها .

وعظمة رمضان أنه في كل يوم منه يأتي العبد بكل هذه الأنواع من العبودية ، فإن الإنسان يصوم النهار ، فيحتاج إلى الصبر ؛ الصبر على الطاعة ، والصبر عن المعصية في ذات الوقت ، وهو أيضاً صائم ويرى الطعام والشراب يلمعان بين عينيه ولا يقدر عليهما ، فيتذكرة ألم المحرومين الذين يرون ما يشهون ولا يقدرون عليه لفقر أو مرض أو غير ذلك فينشغل بالش الكر .

ويظل يومه هكذا ، ما بين صبر وشكر ، فإذا أفتر في الليل وتناول حاجته من الطعام والشراب وأرضى شهوته ؛ احتاج إلى شكر أعمق وعمل أكثر ، فعاد مرة أخرى إلى الصبر على الطاعة ليقوم الليل ، والصبر عن المعصية ليتمكن عمما يدعوه إليه قطاع الطريق إلى الله في وسائل الإعلام وغيرها من المسلسلات والفوائز والأفلام وكل المعاichi الظاهرة والباطنة .

فيظل العبد المؤمن يعيش أيام رمضان ولياليه متلبساً بتلك العبودية المتراءفة بين الشكر والصبر، قال تعالى: «وَإِذْ تَأْذَنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَا زَيْدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابَ لَشَدِيدٍ» [إبراهيم: ٧]، وقال سبحانه: «وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْرِرْ وَمَا صَبَرْكَ إِلَّا بِإِلَلَهِ» [النحل: ١٢٦-١٢٧]، وقال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن أمره كلها خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»^(١).

المشهد الثالث : مشهد القبض والبسط :

هل الحياة مملة؟! ..

إن الذين لا يفهمون الحياة لا يعرفون كيف يعيشون هذه الحياة، فإذا لم يعيشوا كما ينبغي شكوا الملل !!، ولا أدرى هل هو عقوبة؟

إن الذين لا يفهمون مراد الله منهم، فيعيشون الحياة على وتيرة واحدة، فلا يشعرون بالتجدد والتتجدد في معانٍ الحياة وملذوذاتها؛ يشكون السأم والضجر والممل ..

أما العبد الرباني، الذي يعيش على مراد الله منه لا على مراده من الله؛ فإن حياته متتجدة، فهو في كل لحظة بعبادة، وكل ساعة بنية، وهذا المشهد يتضح أكثر ما يكون في رمضان؛ فإن الصائم يعيش ما بين المنع في النهار فيشهد مشهد القبض ثم يفطر وتنفتح له أبواب خيرات الله فيشهد مشهد البسط، وهكذا ما بين نوم ويقظة، وإفطار وإمساك، ونشاط وراحة، يعيش المسلم في رمضان بلا سأم ولا ملل، فإنه كل ساعة في انتظار تغيير يحدده تتجدد عبادة من العبادات.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

المشهد الثالث : حسن الخلق :

قال الله سبحانه وتعالى : «خُذِ الْعَنْوَ وَأَمْرُّ بِالْمَرْفُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَنِحِيْلِينَ ۝ وَإِنَّمَا يَنْزَغُنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَأَسْتَعِدُ بِاللَّهِ إِنَّمَا سَمِيعُ عَلِيْمٌ» [الأعراف : ١٩٩ - ٢٠٠] ، وقال رسول الله ﷺ : «إنما بعثت لأتمم صلاح الأخلاق»^(١) ، وشهر رمضان له علاقة حميمة بالأخلق السامية ، والمعاني الرفيعة ، فقد قال رسول الله ﷺ : «الصوم جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ولا يصبح ولا يجهل ، وإن سابه أحد أو قاتله ، فليقل : إني صائم»^(٢) .

وكان هذا الحديث وضع أصولاً لأخلاق الصائمين :

أولها : أن الصائم هادئ النفس ، لين الطبع ، في غاية الاحترام ، فإنه يستشعر المراقبة حال الصيام ، فلا يرفث أي لا يتكلم في الجماع ومقدماته . ثانية : لا يفسق : أي إنه لا يخرج عن حدود الأدب ، لا في القول ولا في العمل ، بل هو منضبط إلى أقصى حد .

ثالثها : لا يصبح : لا يرتفع صوته ، لأن الصيام نوع من السكون ، يقال صامت الدابة أي سكتت عن الحركة ، وصامت الخلي أي سكتت عن الصهيل ، فأصل الصيام نوع سكون ، وقد فهم الصائم هذا النوع من التعبد فلا يصبح ، إنه يكره الضجيج ويحب السكون والسكوت ؛ لأنه أجمع لشمل قلبه على ريه .

رابعها : ولا يجهل : والجهل أنواع ، وأبو جهل لا يبالي ، وآباء الجهل كثيرون ، الصائم لا يجهل ، وكل معصية جهالة ، وكل ما عصي الله به فهو

(١) أخرجه أحمد (٢/٣٨١) ، وصححه الألباني (٢٣٤٩) في « صحيح الجامع » .

(٢) أخرجه أحمد (٢/٣٠٦) ، وصححه الألباني (٩٧٨) في « صحيح الترغيب والترهيب » .

جهل ، وكل عاص جاهل ، والذي يعامل الناس بما يكرهون يجهل عليهم لأنه يجهل حقهم وهو معاملتهم بالحسنى ؛ لذلك أمر الصائم أن يتذكر دوماً ليعلم أنه صائم فيقول : إني صائم .

خامسها : وهو الأهم أنه إذا أودي أو اعتدى عليه أو أضر به أحد ، أو كما قال رسول الله ﷺ : «فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ» ؛ فإن المبدأ الإسلامي العظيم يبرز هنا جلياً وهو : رد السيئة بالحسنة .

هذا الخلق المفقود في حياة المسلمين اليوم ، وإنني أعتقد أن كثيراً من منظومة الأخلاق في الإسلام مفقودة ، والأخطر من ذلك أن تستبدل هذه الأخلاق وتحل محلها أخلاقيات أهل الغرب هي الأصل ، وتصبح الأمثلة الشعبية والمقولات العالمية أصولاً لأخلاق المسلمين في عصرنا ، فصارت الدعوة إلى ظلم الناس لثلا تظلم هي الأصل عند الكثير .

قال الله سبحانه وتعالى : «وَلَا سَتَوَى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعَ بِالْأَيْمَنِ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا أَلْيَى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةً كَانَهُ وَلِيُّ حَمِيمٌ ﴿٢١﴾ وَمَا يَلْقَنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَرَبُوا وَمَا يَلْقَنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّمَا يَزَغُنَكَ مِنَ الشَّيْطَنِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذُ بِاللَّهِ إِنَّمَا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» [فصلت : ٣٤-٣٦] ، فانظر كيف وعدك الله سبحانه وتعالى أنك إن أحسنت إلى من أساء إليك أحبك حتى صار كأنه ولي حميم ، والآخرون يقولون لك : إن سامحته طمع فيك وعلى هذا فقس .

ترى إعراض الناس عن وعود الشرع في مسألة الأخلاق ، والاعتماد على تجاربهم الحياتية ، ومن أجل ذلك خذلوا ، يقول رسول الله ﷺ :
«مَا مِنْ شَيْءٍ أثْقَلَ فِي مِيزَانِ الْعَبْدِ مِنْ حَسْنَةِ الْخُلُقِ»^(١) ، وقال ﷺ :

(١) أخرجه أحمد (٤٤٨/٦) ، وصححه الألباني (٥٣٩٠) في « صحيح الجامع » .

«إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وإن حسن الخلق ليبلغ درجة الصوم والصلوة»^(١).

فانتهز أخي الحبيب فرصة رمضان الكريم ، وحسن أخلاقك لكي تكون في أعلى درجة في هذا الصيام ، قال رسول الله ﷺ : «أنا زعيم بيتي في أعلى الجنة لمن حسّن خلقه»^(٢) .

المشهد الرابع : الزهد في الدنيا :

المفروض أن رمضان شهر الزهد ، فإنما شرع الصيام ليقع التقلل ، وفرض الله الصيام على الأمة شهراً كل عام ليعرف الناس قدر الدنيا ، وقيمة الطعام والشراب والشهوات ، ولি�تمكنوا من التحكم فيها ، فلا تحكمهم ولا تكون أهدافهم وأمالهم في حياتهم ، ويتم التدريب على ذلك لمدة شهر يتكرر كل عام للتذكرة بهذه القضية التي يمكن أن نسميها حقاً : الزهد في الدنيا ، ولذلك من مشاهد العبودية في الصيام الزهد ، فما هو الزهد حقيقة .

ذكر ابن القيم - عليه رحمة الله - في كتاب «طريق الهجرتين وبا
السعادتين» عند كلامه عن الزهد كلاماً نفيساً ، نقله هنا بنصه ، فاقرأ وأعد وافهم ثم اعمل : «الزهد على أربعة أقسام :

أحدها : فرض على كل مسلم ، وهو الزهد في الحرام ، وهذا متى أخل به مسلم انعقد سبب العقاب ، فلا بد من وجود مسوبيه ما لم ينعقد سبب آخر يضاده .

الثاني : زهد مستحب ، وهو على درجات الاستحباب بحسب المزهود

(١) أخرجه أحمد (٢٥٠/٢) ، وصححه الألباني (٢٨٤) في «السلسلة الصحيحة» .

(٢) أخرجه الترمذى (١٩٩٣) ، وصححه الألباني (٢٧٣) في «السلسلة الصحيحة» .

فيه ، وهو الزهد في المكره ، وفضول المباحثات والتفنن في الشهوات المباحة .

الثالث : زهد الداخلين في هذا الشأن ، وهم المشمرون في السير إلى الله
وهو نوعان :

أحدهما : الزهد في الدنيا جملة ، وليس المراد تخليتها من اليد ولا إخراجها
وقد عوده صِفْرًا منها ، وإنما المراد إخراجها من قلبه بالكلية ، فلا يلتفت إليها ،
ولا يدعها تساقن قلبه ، وإن كانت في يده ، فليس الزهد أن ترك الدنيا من يدك
وهي في قلبك ، وإنما الزهد أن تتركها من قلبك وهي في يدك ، وهذا كحال
الخلفاء الراشدين ، وعمر بن عبد العزيز الذي يضرب المثل بزهده مع أن
خزائن الأموال تحت يده ، بل كحال سيد ولد آدم عليه السلام حين فتح الله عليه من
الدنيا ما فتح ، ولا يزيده ذلك إلا زهداً فيها .

ومن هذا الآخر المشهور : « ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال
ولا إضاعة المال ؛ ولكن الزهد في الدنيا أن تكون بما في يد الله أو ثق منك
مما في يدك ، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو
 أنها بقيت لك » .

والذي يصحح هذا الزهد ثلاثة أشياء :

أحدها : علم العبد أنها ظل زائل وخیال زائر ، وأنها كما قال الله تعالى
فيها : «أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعْبٌ وَهُوَ وَرِينَةٌ وَتَفَاهُّمٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ»
وَالْأَوْلَادُ كَمَثَلِ عَيْثِ أَجْبَرَ الْكُفَّارُ بِاللَّهِ فَمُمْبَحُ فَرَّهُ مُمْضِرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا»
[الحديد : ٢٠] ، وقال الله تعالى : «إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَلُ أَنْزَلَنَا مِنَ السَّمَاءِ
فَأَخْنَطَ بِهِ نَبَاثَ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَمُ حَتَّى إِذَا أَخْذَتِ الْأَرْضَ زُخْرُفَهَا وَأَزْيَّنَتْ

وَلَظِّبَ أَهْلُمَا أَنْتُمْ فَنَدِرُونَ عَلَيْهَا أَنْتُمَا أَمْرُنَا لَيَلَّا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَانَ لَمْ
تَقْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ تَفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَنْعَكِرُونَ» [يونس : ٢٤] ، وقال تعالى :
«وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الَّتِي كَلَّا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْنَطَ بِهِ نَبَاثُ الْأَرْضِ فَأَضْبَغَ
هَشِيمًا نَذَرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنِدًا» [الكهف : ٤٥].

وسماها سبحانه «مداع الغرور» ، ونهى عن الاغترار بها ، وأخبرنا عن سوء
عاقبة المغتربين بها وحدرنا من مصارعهم ، وذم من رضي بها واطمأن إليها ،
وقال النبي ﷺ : «مالي وللندا ، إنما أنا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح
وتركتها» ^(١).

وفي المسند عنه ﷺ حديث معناه : أن الله جعل طعام ابن آدم وما يخرج
منه مثلاً للدنيا ، فإنه وإن قَرَّحه ومَلَحَه فلينظر إلى ماذا يصير؟ ، فما اغتر بها
ولا سكن إليها إلا ذو همة دنية وعقل حقير ، وقدر خسيس .

الثاني : علمه أن وراعها داراً أعظم منها قدرًا وأجلَّ بُخْطَرًا وهي دارُ البقاء ،
وأن نسبتها إليها كما قال النبي ﷺ : «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم
إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع» ^(٢) ، فالزاهد فيها بمنزلة رجل في يده درهم
رَغْلَ قيل له : اطرحه فلك عوض مائة ألف دينار مثلاً ، فألقاه من يده ر جاء
ذلك العوض ، فالزهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها زهداً فيها .

الثالث : معرفته أن زهده فيها لا يمنعه شيئاً كتب له منها ، وأن حرصه عليها
لا يجلب له ما لم يُفْضَّ له منها ، فمتى تيقن ذلك وصار له به علم يقين هان
عليه الزهد فيها ، فإنه متى تيقن ذلك وثليج له صدره ، وعلم أن مضمونه منها

(١) أخرجه أحمد (٣٠١/١) ، وصححه الألباني (٤٣٨) في «ال الصحيحه» .

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٥٨) .

سيأتيه ، بقي حرصه وتعبه وكده ضائعاً ، والعاقل لا يرضى لنفسه بذلك ، فهذه الأمور الثلاثة تُسْهِل على العبد الزهد فيها ، وتثبت قدمه في مقامه ، والله الموفق لمن يشاء .

النوع الرابع من أنواع الزهد : الزهد في نفسك ، وهو أصعب الأقسام وأشقيها ، وأكثر الزاهدين إنما وصلوا إليه ولم يلجوه ، فإن الزاهد يسهل عليه الزهد في الحرام لسوء مغبته وقبح ثمرته ، وحماية لدينه وصيانة لإيمانه ، وإيثاراً للذلة والنعيم على العذاب ، وأنفة من مشاركة الفجار والفجرة ، وحمية من أن يستأثر لعدوه ، ويسهل عليه الزهد في المكرورات وفضول المباحثات : علمه بما يفوته بإيثارها من اللذة والسرور الدائم والنعم المقيم .

ويسهل عليه زهده في الدنيا معرفته بما ورائها ، وما يتطلبه من العوض التام والمطلب الأعلى ، وأما الزهد في النفس فهو ذبحها بغير سكين ، وهو نوعان : أحدهما : وسيلة وبداية ، وهو أن تميتها فلا يبقى لها عندك من القدر شيء ، فلا تغضب لها ولا ترضي لها ولا تتصر لها ولا تنتقم لها ، قد سُبّلت عزّضها ليوم فقرها وفاقتها ، فهي أهون عليك من أن تتصر لها أو تنتقم لها أو تحييها إذا دعتك أو تكرمها إذا عصتاك أو تغضب لها إذا ذمت ، بل هي عندك أخس مما قيل فيها ، أو تُرْفَهَا عما فيه حظك وفلاحك ، وإن كان صعباً عليها ، وهذا وإن كان ذبحاً لها وإماتة عن طباعها وأخلاقها ، فهو عين حياتها وصحتها ، ولا حياة لها بدون هذا البتة .

وهذه العقبة هي آخر عقبة يشرف منها العبد على منازل المقربين ، وينحدر منها إلى وادي البقاء ، ويشرب من عين الحياة ، ويخلص روحه من سجون المحن والبلاء وأسر الشهوات ، وتعلق بربها ومعبودها ومولاها الحق ، فيا قرة عينها به ، ويا نعيمها وسرورها بقربه ، ويا بهجتها بالخلاص من عدوها ، واللجوء إلى مولاها ومالك أمرها ومتولي مصالحها

وهذا الزهد هو أول نقدة من مهر الحب ، فيا مفلس تأخر .

والنوع الثاني : غاية وكمال ، وهو أن يبذلها للمحبي جلة ، بحيث لا يستنقبي منها شيئا ، بل يزهد فيها زهد المحب في قدر خسيس من ماله قد تعلقت رغبة محبوبه به ، فهل يجد من قلبه رغبة في إمساك ذلك القدر وحبسه عن محبوبه ؟ ، فهكذا زهد المحب الصادق في نفسه قد خرج عنها وسلمها لربه ، فهو يبذلها له دائما يتعرضا منه لقبولها .

وجميع مراتب الزهد المتقدمة مبادٍ ووسائل لهذه المرتبة ، ولكن لا يصح إلا بتلك المراتب ، فمن رام الوصول إلى هذه المرتبة بدون ما قبلها فمتعن متمن كمن رام الصعود إلى أعلى المنارة بلا سُلْم ، قال بعض السلف : إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول ، فمن ضيع الأصول حرم الوصول ». اهـ كلان ابن القيم

أخي الحبيب .. إذا عرفت الزهد كما ينبغي ، وليس بعد كلام الإمام كلام ، ففرصتك في رمضان أن تشهد هذا المشهد ، خصوصاً أنك مُعَان ، لقلة الطعام وقلة الشراب وقلة الفراغ ، والإجهاد من الصيام والقيام وتلاوة القرآن ، هذه هي الحياة فازهد في الدنيا ووسائلها .

المشهد الخامس : الإيثار :

شهر رمضان مدرسة عظيمة ، والدروس المستفادة من هذا الشهر وظائف للعمر وذكريات في الحياة ، وهو تدريب عملي على مدار أيامه الثلاثين للفهم وتذوق هذه المعاني الإيمانية العالية لكي تكون الحياة على هذا النمط بعد رمضان ؛ لأن في هذه المداومة تربية للنفس وتخليص لها من آفاتها .

ومن الآفات التي يفيد الصيام في التخلص منها أجل فائدة : الشح ، لأن

النفس مجبولة عليه ، قال تعالى : « وَأَخْبَرَتِ الْأَنْسُرُ اللَّهُجَّ » [النساء : ١٢٨] ، وقال سبحانه : « وَمَنْ يُوقَ شَعَّ نَقْسِيهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » [الحشر : ٩] ، وقال سبحانه : « قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّيْ إِذَا لَأْتَكُمْ خَشِيَّةَ الْإِنْقَافِ وَكَانَ الْإِنْسُنُ قَثُورًا » [الإسراء : ١٠٠] ، فشرع الله الصيام ولمدة شهر لعلاج هذا المرض ، وذلك بتعود الإنسان على صدّه وهو الإيثار .

وابن القيم - عليه رحمة الله أستاذ علم القلوب في مدرسة الربانية ، قد أفاد وأجاد فبدأ الكلام في هذا الباب وتفصيله في كتاب طريق الهجرتين أيضاً ، فتنقل كلامه هنا بطوله بنصه ، لعل الله ينفعنا جميعاً به ، فما بعد العلم إلا العمل ، فخذله هنيئاً مريئاً .

يقول رَبِّكُلَّهُ : « الدِّينُ كُلُّهُ وَالْمُعَالَمَةُ فِي الْإِيَّاثَارِ ، فَإِنَّهُ تَقْدِيمٌ وَتَخْصِيصٌ لِمَنْ تَؤْثِرُهُ بِمَا تَؤْثِرُهُ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ ، وَقِيلَ : مِنْ آثَرِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِهِ آثَرُهُ اللَّهُ عَلَى غَيْرِهِ .

والإيثار إما أن يتعلّق بالخلق ، وإنما أن يتعلّق بالخالق ، وإن تعلّق بالخلق فكماله أن تؤثّرهم على نفسك بما لا يُضيّع عليك وقتاً ، ولا يفسد عليك حالاً ، ولا يهضم لك ديناً ، ولا يُسُدُّ عليك طريقاً ، ولا يمنع لك وارداً ، فإن كان في إيثارهم شيء من ذلك ، فإيثار نفسك عليهم أولى ، فإن الرجل من لا يؤثّر بمنصبيه من الله أحداً كائناً من كان .

وهذا في غاية الصعوبة على السالك ، والأول أسهل منه ، فإن الإيثار المحمود الذي أثنى الله على فاعله : الإيثار بالدنيا لا بالوقت والدين وما يعود بصلاح القلب ، قال الله تعالى : « وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ حَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شَعَّ نَقْسِيهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » [الحشر : ٩] .

فأخبر أن إيثارهم إنما هو بالشيء الذي إذا وُقيَ الرجلُ الشَّعَّ به كان من

المفلحين ، وهذا إنما هو فضول الدنيا ، لا الأوقات المصروفة في الطاعات ، فإن الفلاح كل الفلاح في الشح بها ، فمن لم يكن شحيحاً بوقته تركه الناس على الأرض عياناً مفلساً ، فالشح بالوقت هو عمارة القلب وحفظ رأس ماله .

ومما يدل على هذا أنه سبحانه أمر بالمسابقة في أعمال البر والتنافس فيها والمبادرة إليها ، وهذا ضد الإيثار بها ، قال الله تعالى : «وَسَارِعُوا إِلَى مَفْرَقَةِ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَاحَةِ عَرْضَهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» [آل عمران : ١٣٣] ، وقال تعالى : «فَاسْتَقِمُوا الْعَيْرَاتِ» [البقرة : ١٤٨] ، وقال تعالى : «وَفِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَافَسُ الْمُتَّقِفِينَ» [المطففين : ٢٦] ، وقال النبي ﷺ : «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفَّ الْأَوَّلِ لَا سَتَهُمُوا عَلَيْهِ»^(١) أي : لكان قرعة .

والقرعة إنما تكون عند التزاحم والتنافس لا عند الإيثار ، فلم يجعل الشارع الطاعات والقربات محلًا للإيثار ، بل محلًا للتنافس والمسابقة ، ولهذا قال الفقهاء : لا يستحب الإيثار بالقربات .

فإن قيل : مما الذي يسهل على النفس الإيثار بالدنيا دون الآخرة ، فإن النفس مجبرة على الأثرة لا على الإيثار ؟ ، قيل : يسهله أمور :

أحدُها : رغبةُ العبد في مكارم الأخلاق ومعاليها ، فإن من أفضل أخلاق الرجل وأشرفها وأعلاها الإيثار ، وقد جبل الله القلوب على تعظيم صاحبه ومحبته ، كما جبلها على بغض المستائز ومقته ، لا تبدل لخلق الله ، والأخلاق ثلاثة : خلق الإيثار ، وهو خلقُ الفضل ، وخلق القسمة والتسوية ، وهو خلق العدل ، وخلق الاستئثار والاستبداد وهو خلق الظلم .

صاحب الإيثار محبوب مطاعٌ مهيب ، وصاحب العدل لا سبيل للنفوس

(١) متفق عليه ، البخاري (٥٩٠) ، ومسلم (٤٣٧) .

إلى أذاء والتسلط عليه ، ولكنـه لا تنقاد إليه انقيادـها لمن يؤثرـها ، وصاحب الاستـشـارـ النـفـوسـ إلى أذـاءـ والتـسـلـطـ عـلـيـهـ أـسـرـعـ منـ السـيلـ فـيـ حـدـورـهـ ، وهـلـ أـزـالـ المـمـالـكـ وـقـلـعـهـاـ إـلـاـ الـاسـتـشـارـ ؟ـ !ـ ، فـإـنـ النـفـوسـ لـاـ صـبـرـ لـهـ عـلـيـهـ ، ولـهـذاـ أمرـ رـسـولـ اللـهـ ﷺـ أـصـحـابـهـ بـالـسـمـعـ وـالـطـاعـةـ لـوـلـةـ الـأـمـرـ وـإـنـ اـسـتـأـثـرـواـ عـلـيـهـمـ ،ـ لـمـ فيـ طـاعـةـ الـمـسـتـأـثـرـ مـنـ الـمـشـقـةـ أـوـ كـرـهـ الـاسـتـشـارـ .ـ

الثاني : النـفـرةـ مـنـ أـخـلـاقـ اللـثـامـ ،ـ وـمـقـتـ الشـعـ وـكـراـهـتـهـ لـهـ .ـ

الـثـالـثـ :ـ تـعـظـيمـ الـحـقـوقـ الـتـيـ جـعـلـهـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ لـلـمـسـلـمـينـ بـعـضـهـمـ عـلـىـ بـعـضـ ،ـ فـهـوـ يـرـعـاـهـ حـقـ رـعـاـيـتـهـ ،ـ وـيـخـافـ مـنـ تـضـيـعـهـ ،ـ وـيـعـلـمـ أـنـ لـمـ يـبـذـلـ فـوـقـ الـعـدـلـ لـمـ يـمـكـنـهـ الـوـقـوفـ مـعـ حـدـهـ ،ـ فـإـنـ ذـلـكـ عـسـيرـ جـداـ ،ـ بـلـ لـابـدـ مـنـ مـجاـوزـتـهـ إـلـىـ الـفـضـلـ أـوـ التـقـصـيرـ عـنـهـ إـلـىـ الـظـلـمـ ،ـ فـهـوـ لـخـوـفـهـ مـنـ تـضـيـعـ الـحـقـ وـالـدـخـولـ فـيـ الـظـلـمـ يـخـتـارـ الإـيـثـارـ بـمـاـ لـاـ يـنـقـصـهـ وـلـاـ يـضـرـهـ ،ـ وـيـكـتـسـبـ بـجـمـيلـ الذـكـرـ فـيـ الدـنـيـاـ وـجـزـيلـ الـأـجـرـ فـيـ الـآـخـرـةـ ،ـ مـعـ مـاـ يـجـلـبـ لـهـ الإـيـثـارـ مـنـ الـبـرـكـةـ وـفـيـضـانـ الـخـيرـ عـلـيـهـ ،ـ فـيـعـودـ عـلـيـهـ مـنـ إـيـثـارـ أـفـضـلـ مـاـ بـذـلـهـ ،ـ وـمـنـ جـرـبـ هـذـاـ عـرـفـهـ ،ـ وـمـنـ لـمـ يـجـرـبـهـ فـلـيـسـتـقـرـ إـحـوالـ الـعـالـمـ ،ـ وـمـوـفـقـ مـنـ وـفـقـهـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ .ـ

الـإـيـثـارـ الـمـتـعـلـقـ بـعـبـادـةـ اللـهـ :

وـالـإـيـثـارـ الـمـتـعـلـقـ بـالـخـالـقـ أـجـلـ مـنـ هـذـاـ وـأـفـضـلـ ،ـ وـهـوـ إـيـثـارـ رـضـاهـ عـلـىـ رـضاـهـ ،ـ وـإـيـثـارـ حـبـهـ عـلـىـ حـبـ غـيرـهـ ،ـ وـإـيـثـارـ خـوـفـهـ وـرـجـائـهـ عـلـىـ خـوـفـ غـيرـهـ وـرـجـائـهـ ،ـ وـإـيـثـارـ الذـلـ لـهـ وـالـخـضـوعـ وـالـاستـكـانـةـ وـالـضـرـاءـ وـالـتـمـلـقـ عـلـىـ بـذـلـ ذـلـكـ لـغـيرـهـ ،ـ وـكـذـلـكـ إـيـثـارـ الـطـلـبـ مـنـهـ وـالـسـؤـالـ وـإـنـزالـ الـفـاقـاتـ بـهـ عـلـىـ تـعـلـقـ ذـلـكـ بـغـيرـهـ ،ـ فـالـأـوـلـ آـثـرـ بـعـضـ الـعـبـيدـ عـلـىـ نـفـسـهـ فـيـمـاـ هـوـ مـحـبـوبـ لـهـ ،ـ وـهـذـاـ آـثـرـ اللـهـ عـلـىـ غـيرـهـ ،ـ وـنـفـسـهـ مـنـ أـعـظـمـ الـأـغـيـارـ ،ـ فـأـثـرـ اللـهـ عـلـيـهـ فـتـرـكـ مـحـبـوبـهـ لـمـحـبـوبـ اللـهـ .ـ

وعلامة هذا الإيثار شيئاً :

أحدهما : فعل ما يحب الله وإن كانت النفس تكرهه وتهرب منه .

الثاني : ترك ما يكرهه ربه وإن كانت النفس تحبه وتهواه .

فيهذين الأمرين يصح مقام الإيثار ، ومؤنة هذا الإيثار شديدة لغلبة الأغیار وقوة داعي العادة والطبع ، فالمحنة فيه عظيمة والمؤنة فيها شديدة والنفس عنه ضعيفة ، ولا يتم فلاح العبد وسعادته إلا به ، وإنه ليسير على من يسره الله عليه ، فحقيقة بالعبد أن يسمو إليه وإن صعب المرقى ، وأن يشمر إليه وإن عظمت فيه المحنة ، ويحتمل فيه خطراً يسيراً لملك عظيم وفوز كبير ؛ فإن ثمرة هذا في العاجل والأجل ليست تشبه ثمرة شيء من الأعمال ، ويسير منه يُرقى العبد ، ويسير ما لا يرقى غيره إليه في المدى المتطاولة ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ولا تتحقق المحبة إلا بهذا الإيثار .

والذى يسهله على العبد أمور :

أحدها : أن تكون طبيعته لينة منقادة سلسة ليست بجافية ولا قاسية ، بل تنقاد معه بسهولة .

الثاني : أن يكون إيمانه راسخاً ويقينه قوياً ، فإن هذا ثمرة الإيمان و نتيجته .

الثالث : قوة صبره وثباته . اه كلام ابن القيم - عليه رحمة الله .

ومشهد الإيثار مشهد عظيم رائع ، يظهر في رمضان أكثر من غيره ، فإن مجرد ترك الطعام والشراب رغم شهوتك الشديدة إلى تناوله طلباً لرضا الله ؛ هذا هو معنى الإيثار ، فاشهد لهذا المشهد ، وعامل الله به دوماً ، وقد ذكر لك الإمام معاني الإيثار بال تمام والكمال ، مما بقي عليك إلا العمل بعد الفهم العميق للكلام ، هذه هي الجادة ؟ فهل من سالك ؟ !

المشهد السادس : استشعار المعاني الإيجابية للصوم :

بعض الناس يظن أن الصيام كبت وحرمان ، ولكنني أقول لهم : إن الهدف من الصيام ليس الكبت والحرمان ، وإنما الصيام وسيلة إلى غاية نبيلة ، إنه التدريب على السيادة والقيادة ، قيادة النفس وضبط زمامها ، وكفها عن أهراها ونزواتها ، بل إنه التسامي بتلك القيادة إلى أعلى مراتبها ، فلقد كنت في بحبوحة الإفطار إنما تحمي جوفك عن تناول السحت والخبيث ، فأصبحت في حظيرة الصيام تقطمه حتى عن الحلال الطيب .

ولقد كنت بالأمس تكف لسانك عن الشتم والإيذاء ، فأصبحت اليوم تصونه حتى عن رد الإساءة وعن إجابة التحرش والاستفزاز ، فإن خاصمك أحد أو شاتمك ، لم تزد على أن تقول : إني صائم ، هكذا ملكت بالصيام زمامي شهوتك وغضبك .

وإنه لصبر يجر إلى صبر ، ونصر يقود إلى نصر ، فلthen كان الصيام قد علمك أن تصبر اليوم طائعاً مختاراً في وقت الأمن والرخاء ، فأنت غداً أقدر على الصبر والمصايرة في البأس والضراء وحين البأس ، ولthen كان الصيام قد علمك كيف تنتصر اليوم على نفسك ، فلقد أصبحت به أجدر أن تتصر غداً على عدوك ، وتلك عاقبة التقوى ، التي أراد الله أن يرشحك لها بالصيام .

إن هذا الهدف الذي صورناه وحددهنا ، إنما يقوم في متصف الطريق الذي رسمه الله للصائمين ، وإن في نهاية هذا الطريق هدفاً آخر ، بل أهدافاً أخرى أهم وأعظم .

وفي الحق أنه لو كان كل ما يطلب من الصائم هو أن يكف نفسه عن شهواتها وانفعالاتها ، ولم يكن أمامه عمل إيجابي جديد يسد به هذا الفراغ ، إذا وكانت تجربة الصيام انتقاصاً للطاقة العاملة من ناحية ، دون إمداد لها من ناحية

أخرى ، وإذا كانت على حد تعبير العلماء « تخلية » بلا « تخلية » ، أو تجارة مأمونة الخسارة ، ولكنها لا ربح فيها ولا غنيمة .

فهل شريعة الصيام هي تلك الصور العارية الجرداء ؟

كلا .. إنها عبادة ذات شطرين ، وليس شطرها الأول إلا تمهيداً وإعداداً لشطرها الثاني ، إنها شجرة جذعها الصبر ، ولكن الله لا يريد للصائم أن يترك هذا الجذع قاحلاً ماحلاً ، بل يريد أن ينبع على جوانبه أغصاناً من الشكر ، وأن يتوج هامته بأوراق وثمار من الذكر والفكير ، وإن من تأمل كلمة التقوى التي عبر بها القرآن الكريم في حكمة الصيام ، يجد لها منظوية على هذين الشطرين .

فهي في شطرها الأول : كف وانتهاء ، وابتعاد واجتناب .

لكنها في شطرها الثاني : إقبال واقتراب ، وإنشاء وبناء .

وإذاً فليس الشأن كل الشأن في أن يغلق الصائم منافذ حسه ، ويُسْكِت صوت الهوى في نفسه ؛ فذلك إنما يمثل إغلاق أبواب النيران ؛ ولكن الشأن الأعظم في أن يكون إغلاق منافذ الحس فتحاً لمسالك الروح ، وأن يكون إسكات صوت الهوى تمكيناً لكلمة الحق والهدى ، فتلك هي مفاتيح أبواب الجنان .

ومن كان في شك من أن هذا الجانب الإيجابي ، هو الهدف الأخير لشريعة الصوم ، فليقرأ كتاب الله يجد دلائله مثبتة في تصاعيف آيات الصيام ، ولبيطاع سنة رسول الله ﷺ ، يجد معالمه مبسوطة في هديه النبوى قوله وفعلاً ، والعجيب في هذا التوجيه أن الإسلام لم يترك الأمر بالصوم دعوة مرسلة ، بل وضع له مناهج معينة ، ورسم له خططاً مفصلة ؛ ذلك أنه لما جعل شهر الصيام موسمًا لانطلاق الروح من عقالها ؛ ففتح فيه للأرواح بابين تتدفق منهما : باباً إنسانياً ، وباباً ربانياً .

فاما انطلاق الروح من الباب الإنساني : فذلك أنه أرشدنا إلى أن يكون

زهدنا في الطعام والشراب ليس قبضاً وإمساكاً بالحفظ والادخار ، بل بسطاً وسخاء بالبذل والإيثار : لا تسد أيها الصائم جوعتك ، ولا تنفع غلتك فحسب ، ولكن أطعم الجائع واسق الظمآن ، وهذا هو الصوم كما فهمه إمامنا الأعظم صلوات الله عليه ، فقد كان أجود ما يكون في رمضان ، حتى إنه كان فيه أجود من الريح المرسلة .

وما زكاة الفطر في آخر رمضان إلا الحلقة الختامية ، والمظهر العلني
الجماعي لهذه الحركات النفسية الفردية ، التي تحولت فيها فضيلة الصبر ، إلى
فضيلة الشكر ، اتباعاً لإرشاد القرآن الكريم حين يقول : ﴿وَلَئِنْخَمِلُوا الْوَعْدَ
وَلَئِنْكَثِرُوا اللَّهُ عَلَىٰ مَا هَدَنَكُمْ وَلَئِنْكُمْ شَكَرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وأما انطلاق الروح في رمضان من الباب الرباني ؛ فذلك أن الإسلام فتح
فيه للطاعة مسالك مسلوكة ، ورسم لها سبلاً ذللاً ، تسييج وتحميد ، تكبير
وتمجيد : ﴿وَلَئِنْكَثِرُوا اللَّهُ عَلَىٰ مَا هَدَنَكُمْ﴾ ، تضرع وابتهال ، ودعاء
وسؤال : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَيْنَ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾
[البقرة: ١٨٦] ، رکوع وسجود ، وقيام وتشمير ونهوض : «من صام رمضان
إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(١) ، وما الاعتكاف في العشر الأواخر
من رمضان إلا نهاية الشوط في السير ، إقبالاً على الله وانقطاعاً بالكلبة إليه :
﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَشْتَرُ عَنِكُفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ألا وإن ذروة الأمر وسنانه في هذا الجانب الرباني ، إنما هو في مناجاة الله
بكلامه ، وفي مدارسة كتابه ، كما كان يفعل الرسول المصطفى من البشر ،
والرسول المصطفى من الملائكة ، إذ كانوا يتدارسان القرآن في رمضان في كل
عام ، ولأمر ما نَوَّهَ اللَّهُ بهذه الصلة الوثيقة بين رمضان وبين القرآن ، وجعلها

(١) متفق عليه البخاري (٣٨) ، مسلم (٧٦٠).

أولى المناقب والمزايا التي اختص بها هذا الشهر المعظم ، فقال جلت حكمته : **«شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلْكَافِرِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ»** [البقرة: ١٨٥] ؛ فكان ذلك إيماء لنا بأن نجعل حظ رمضان من القرآن أوفر الحظوظ .

لما كان الأصل العمل والجهاد في سبيل الله ؛ فإن رسول الله ﷺ جاهد في رمضان ليصل إلى أعلى درجة في العبادة ، دائمًا في المركز الأعلى ، فكان عند الموت يقول : **«بِلِ الرَّفِيقِ الْأَعْلَىٰ»**^(١) ، شرط بشرط ، ولكل سلعة ثمن .

أما صوم الثُّوْم.. أما صوم البطالين.. فمال هؤلاء والجنة؟!

مالك أنت والمحبة وأنت أسيئـ الحبة ، تعلقت بها تعلق الرضيع بالظـر ، والقوم ما أغارواها الطرف .. فالنبي ﷺ كان يصوم ويجهـد .. يصوم ويـقوم .. يصوم ويـتلو .. يصوم ويـدعـو .. يصوم ويـصلـي .. يصوم ويـعلم .. يصوم ويـتلقـي القرآن ويـلـمـه ويـدعـو بـه وإـلـيـه .. بأـبيـ أـنتـ وأـميـ وـنـفـسيـ يا رسول الله ﷺ .

لذلك إخواته فإن الصيام ليس موسمـا للنـوم ، إنـك مـسلم ، فلا بدـ أن تكون عـالـيـ الـهـمـةـ تـطـلـبـ الـقـمـةـ ، لأنـك صـاحـبـ دـينـ قـيـمـ .. فـيـ هـذـهـ الآـيـةـ : **«قُلْ إِنَّمَا هَذَيْنِ رَبِّهِنَّ مَلْكٌ صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ دِينًا قَيْمًا**» ، تـوـجـدـ قـرـاءـةـ أـخـرـىـ وهـيـ دـيـنـاـ قـيـمـاـ ، وـذـلـكـ الـدـيـنـ الـقـيـمـ يـجـعـلـكـ حـيـنـ تـسـلـمـ وـتـسـتـسـلـمـ : تصـومـ وـتـبـذـلـ جـهـدـكـ وـتـسـتـعـيـنـ بـالـلـهـ جـلـ جـالـهـ ، قـالـ اللـهـ سـبـحـانـهـ : **«وَأَسْتَعِنُو بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ»** [البقرة: ٤٥] ، أـيـهـاـ النـاسـ .. أـيـهـاـ الإـخـوـةـ .. أـيـهـاـ الـأـخـوـاتـ .. إـذـاـ أـرـدـتـ النـجـاحـ ؛ فـاسـتـعـيـنـاـ بـالـصـبـرـ وـالـصـلـاـةـ .. وـالتـزـمـواـ الـعـبـودـيـةـ أـيـنـماـ حـلـتـ رـكـائـبـهاـ .

(١) متفق عليه ، البخاري (٤١٧٦) ، مسلم (٢٤٤٤) .

المشهد السابع : العجود والإحسان :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « كان رسول الله ﷺ أجوء الناس ، وكان أجوء ما يكون رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاء في كل ليلة من شهر رمضان فيدارسه القرآن . كان رسول الله ﷺ حين يلقاء جبريل ﷺ أجوء بالخير من الريح المُرْسَلَة »^(١) .

اللهُ الْكَرِيم يَحْبُّ أَن يَرَى أَثْرَ نِعْمَتِه عَلَى عَبْدِه ، قَالَ سَبَّحَهُ وَتَعَالَى : « وَأَنَا بِيَقْرَأَكَ فَحَدَّثْنِي » [الضحى: ١١] ، وَمِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنِي « الْمَئَانُ » ؛ فَهُوَ سَبَّحَهُ يَحْبُّ الْمَدْحُ ، وَرَمَضَانُ شَهْرٌ كَثِيرٌ بِالْبَرَكَاتِ عَظِيمُ الْخَيْرَاتِ ، جَادَ اللَّهُ فِيهِ عَلَى عِبَادِه بِأَنواعِ النِّعَمِ ؛ فَوْجِبَ أَنْ يَكُونَ لِلْعَبْدِ فِي الْمُقَابِلَةِ أَنواعًا مِنَ الْجُودِ شَكِّرًا لِهَذِهِ النِّعَمِ ؛ أَشْوَأَهُ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٌ ﷺ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ أَجْوَدَ مِنَ الْرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ فِي غَيْرِ رَمَضَانٍ ؛ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَصِيرُ أَجْوَدَ مِنْ ذَلِكَ فِي رَمَضَانٍ .

إِنَّا نَرِيدُ أَيْهَا الْأَخْرَى الْكَرِيمَ أَنْ تُظَهِّرَ لَهُ أَنْوَاعًا مِنَ الْجُودِ فِي رَمَضَانٍ :

- أطعِمُ الْفَقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينَ ، مِنْ طَعَامِكَ الَّذِي تَأْكِلُهُ عَلَى مَا يَنْدَثِكُ أَوْ أَفْضَلَ .

- تَصْدِقَ بِصَدَقَةٍ مِنْ أَعْزَّ مَا تَمْلِكُ .

- أَكْرَمُ فَقِيرًا بِأَكْثَرِ مَا يَتَمَنَّى .

نَرِيدُ مِنْكَ مَظَاهِرُ جُودِكَ لَمْ تَحْدُثْ مِنْ قَبْلِ .. اقْتَسِمْ عَمْرُ مَالَهُ مَعَ اللَّهِ ،
وَخُرُجَ أَبُو بَكْرٍ مِنْ مَالِهِ كُلَّهُ ، فَمَاذَا أَنْتَ فَاعِلٌ ؟

وَاعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ تُسْتَجِلْ بِنِعْمَ اللَّهِ قَطْ وَإِكْرَامُهُ وَفَضْلُهُ بِمِثْلِ الْجُودِ وَإِكْرَامِ خَلْقِهِ .



(١) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ (٤/١٢٥) ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ (٢٠٩٥) فِي « صَحِيفَ النَّسَائِيِّ » .

لَمْ يَرِدْ أَوْلُ الْقُرْآنِ

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ

هُدًى لِلنَّاسِ

وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)

رمضان والقرآن

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًىٰ لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

رمضان شهر القرآن العلاقة بينهما وثيقة والارتباط عظيم .

فلا بد من الحديث عن القرآن بتفصيل شديد والعناية به في هذا الشهر الفضيل عنابة خاصة ولذلك إليكم هذا الفصل الماتع عن القرآن الكريم فاقرأوا بروءة ولا تتعجل كي تعمل .

القرآن .. كتاب الله الخالد ، الذي أخرج الله به هذه الأمة من الظلمات إلى النور فأنشأها النشأة الأولى وبدلها من بعد خوفها أمنا ، وتمكن لها في الأرض ، ووهبها مقوماتها التي بها صارت أمة ، ولم تكن من قبل شيئا ، وهي بدون هذه المقومات ليست أمة وليس لها مكان في الأرض ، ولا ذكر في السماء ، فلا أقل من شكر الله على نعمة هذا القرآن بالاستجابة إلى صوم الشهر الذي نزل فيه القرآن ..

القرآن .. كتاب هذه الأمة ، هو روحها وياشعها ، وقوامها وكيانها ، وهو حارسها وراعيها ، وهو بيانها وترجمانها ، هو دستورها ومنهجها ، وهو زاد الطريق ..

ولكن ستظل هناك فجوة عميقة بيننا وبين القرآن مالم تمثل في حسنا ، ونستحضر في تصورنا أن هذا القرآن خطوطت به أمة ذات وجود حقيقي ، ووجهت به أحداث واقعية في حياة هذه الأمة ، وأديرت به معركة ضخمة في داخل النفس البشرية وفي رقعة من الأرض كذلك .

سيظل هناك حاجز سميك بين قلوبنا وبين القرآن طالما نحن نتلوه كأنه مجرد تراثيل تعبدية مهومة ، لا علاقة لها بواقع الحياة البشرية ، بينما هذه الآيات نزلت لتواجه نفوساً ووقائع وأحداثاً حية .

آيات منزلة من حول العرش ، فالأرض بهذه الآيات سماء وهذه الآيات لتلك السماء كواكب ، بل الجندي الإلهي قد نشر له من الفضيلة علم ، وانصوت إليه من الأرواح مواكب ، أغلقت دونه القلوب فاقتجم أفالها ، وامتنعت عليه أعراف الضمائر فابتز أنفالها .

ضمائر العرب امتنعت عن القرآن بما استوغر فيها من العادات والأخلاق ، فنفت إليها وابتزها وغاب عنها على أمرها ..

كم صدوا عن سبيله صدأ ، ومن ذا يدفع السيل إذا هدر ؟ ، واعتربوا بالألسنة ردا ، ولعمري من يرد على الله القدر ؟

الفاظ إذا اشتدت فأمواج البحر الراخمة ، وإذا لانت فأنفس الحياة الآخرة ، متى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تصححك في وجوه الغيوب . وإن أوعدت بعذاب الله جعلت الألسن ترعد من حمئ القلوب .

معان هي عذوبة ترويك من ماء البيان ، ورقة تستروح منها نسيم الجنان ، ونور تبصر به في مرآة الإيمان وجه الأمان ، ترث بندى الحياة على زهرة الضمير ، وتحلق في أرواحها من معاني العبرة معنى العبير ..

يجري في الخواطر كما تصعد في الشجر قطرات الماء .

ويتصل بالروح فكأنما يمدد لها بسبب إلى السماء ..

الفاظ لم تعهد كلّم أحدائقها ، وثمرات لم تثبت في قلم أوراقها ، ونور عليه رونق الماء فكأنما اشتعلت به الغيوم ، وما يتلاّلأ من التّور فكأنما عصير من النجوم ..

وهل رأوا إلا كلاما تضيء ألفاظه كالünsab ، فعصفوا عليه بأفواهم كما تعصف الريح ، يريدون أن يطفئوا نور الله ، وأين سراج النجم من نفحة ترتفع إليه كأنما تذهب تطفيه ، وأين نور القمر من كف يحسب صاحبها أنها في حجمه فيرفعها كأنما يخفيه !

وهيئات هيئات ، دون ذلك دَرْجُ الشمْسِ وهي أم الحياة في كفن ، وإنزالها بالأيدي وهي روح النار في قبر من كهوف الزمن .

لا جرم أن القرآن سر السماء ، فهو نور الله في أفق الدنيا حتى تزول ، ومعنى الخلود في دولة الأرض إلى أن تدول ، ولذلك إن تمادي أهل الباطل في طغيانهم يعمهون ، فستظل آياته تلتف ما يألفون ، «فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَّلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [الأعراف: ١١٨].^(١)

فضائل القرآن :

(١) القرآن رحمة :

قال تعالى : «أَوَلَمْ يَكْنِهِنَّ أَنَّا أَنْزَلَنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُشَلِّ عَيْنَهُمْ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذَرَرَى لِقَوْمٍ يَنْعِنُونَ» [العنكبوت: ٥١] ، أولم يكفهم أن يعيشوا مع السماء بهذا القرآن ، يشعرون أن عين الله عليهم ، وأنه معنى بهم يتنزل عليهم كلامه ، يحدثهم بما في نفوسهم ، وهم هذا الخلق الصغير الضئيل التائه في ملوكوت الله الكبير ..

والله بعد ذلك يكرمنهم حتى أنه ينزل عليهم كلماته تتلى عليهم ، والذين يؤمّنون هم الذين يجدون مس رحمة الله في نفوسهم ، وهم الذين يتذكرون فضل الله وعظيم منته على البشرية بهذا التنزيل ، ويستشعرون كرمه وهو

(١) إعجاز القرآن للرافعي (٢٩-٣١).

يدعوهم إلى حضرته وإلى مائدته وهو العلي الكبير ، وهم الذين ينفعهم هذا القرآن ؛ لأنه يحيا في قلوبهم ، ويفتح لهم عن كنوزه ، ويعنفهم ذخائره ويشرق في أرواحهم بالمعرفة والنور ..

(٢) القرآن طمأنينة :

الإيمان بكلام الله والعيش معه طمأنينة في القلب واستقامة على الطريق ، وثبات على الدرب ، وثقة بالسند ، واطمئنان للحمى ، ويقين بالعاقبة ، قال تعالى : ﴿قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وَرِحْمَتِهِ فَإِذَاكُلُّ فَلَيَقْرَأُوهُ مَوْحِدًا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] ، وقال تعالى : ﴿الَّهُ نَزَّلَ أَخْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَدِّهًا مَّا تَفَعَّلَ نَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادِ﴾ [الزمر: ٢٣] .

الحياة في ظلال القرآن نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها ، نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه ، أي تكريم للإنسان يفوق هذا التكريم العلوي الجليل أن يخاطبه الله جل جلاله ويفهم ؟ ! ، أي نعمة أعظم من نزول القرآن ؟ ! ، نعمة لا يسعها حمد البشر ، فحمد الله نفسه على هذه النعمة فقال جل جلاله : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَوْجَانًا﴾ [الكهف: ١] .

أي رفعة للعمر يرفعها هذا التنزيل ؟ ، أي مقام كريم يتفضل به على الإنسان القليل الصغير خالقه الكريم ؟

هي منة الله على الإنسان في هذه الأرض .. المئة التي ولد الإنسان معها ميلاً جديداً ، ونشأ بها الإنسان نشأة جديدة ..

وليس أشقى على وجه الأرض من يحرمون طمأنينة الأنس إلى الله ، ليس أشقى ممن ينطلق في هذه الأرض مبتور الصلة بما حوله في الكون ، لأنه

انفصم من العروة التي تربطه بالله ، ليس أشقي في الحياة ممن يشق طريقه وحيداً شارداً في فلاة ، عليه أن يكافع وحده بلا ناصر ولا هاد ولا معين ..

هذا القرآن العجيب ، الذي لو كان من شأن قرآن أن تسير به الجبال أو تقطع به الأرض أو يكلم به الموتى ، لكان في هذا القرآن من الخصائص والمؤثرات ما تتم معه هذه الخوارق والمعجزات ، ولكنه جاء لخطاب المكلفين الأحياء .

(٣) القرآن صانع الرجال :

لقد صنع هذا القرآن في النفوس التي تلقته وتكيفت به أكثر من تسخير الجبال وتقطيع الأرض وتکليم الموتى ، ولقد صنع في هذه النفوس وبهذه النفوس خوارق أضخم وأبعد آثاراً ، فكم غير الإسلام والمسلمون من وجه الأرض ، إلى جانب ما غيروا من وجه التاريخ .

الذين تلقوه وتكيفوا به سيروا ما هو أضخم من الجبال وهو تاريخ الأمم والأجيال ، وقطعوا ما هو أصلب من الأرض ، وهو جود الأفكار والتقاليد ، وأحيوا ما هو أخدم من الموتى ، وهو الشعوب التي قتل روحها الطغيان والأوهام .

قال تعالى : «إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلّٰٓئِي هٰٓي أَقْوَمُ» [الإسراء: ٩] ، يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور ، بين ظاهر الإنسان وباطنه ، في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة ، في علاقات الناس بعضهم ببعض ..

(٤) القرآن شفاء :

قال تعالى : «وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا» [الإسراء: ٨٢] ، في القرآن شفاء ، وفي القرآن رحمة لمن خالطت

قلوبهم بشاشة الإيمان فأشرقت ، وتفتحت لتلقي ما في القرآن من روح وطمأنينة ..

في القرآن شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة ، فهو يصل القلب بالله ، فيرضي ويستروح الرضا عن الله والرضى عن الحياة .

والقلق مرض ، والحيرة نصب ، والوسوسة داء ، ومن ثم هو رحمة للمؤمنين ..

وفي القرآن شفاء من الهوى والدنس والطمع والحسد ونزعات الشيطان .

وفي القرآن شفاء من الاتجاهات المختلة في الشعور والتفكير ، فهو يعصم العقل من الشطط .

وفي القرآن شفاء من العلل الاجتماعية التي تخخل بناء المجتمعات .

(٥) القرآن حماية بعد الهدایة :

قال تعالى : «وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِيقُ لَهُ شَيْطَنًا فَهُوَ لِهِ قَرِينٌ» [الزخرف: ٣٦] ، وأسوأ ما يفعله قرین بقرينة أن يصده عن السبيل الواحدة القاصدة ، ثم لا يدعه يفيق أو يتبيّن الضلال فيتوب ؛ إنما يوهمه أنه سائر في الطريق القاصد القويم ، حتى تفاجئهم النهاية وهم سادرون ، هنا يفيقون كما يفيق المخمور ، ويفتحون أعينهم بعد العشى والكلال .

فالقرآن يحميك في طريقك إلى الله ، ويصرف عنك شياطين الجن ، ويعطيك من الحجة ما تغلب به شياطين الإنس .

(٦) القرآن حياة القلوب :

وقال تعالى : «إِنَّمَا يَأْنِي لِلَّذِينَ مَأْمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنْ

الْمُقِّ) [الحديد: ١٦] ، لا يأس من قلبٍ حَمَدَ وَجَدَ وَقَسَا وَتَبَلَّدَ ، فإنه يمكن أن تدبُّ فيه الحياة ، وأن يشرق فيه النور ، وأن يخشع لذكر الله ، فالله يحيي الأرض بعد موتها ، فتنبض بالحياة ، وتزخر بالنبت والزهر ، وتمنح الأكل والثمار ، وكذلك القلوب حين يشاء الله ، وفي هذا القرآن ما يحيي القلوب ، كما تحيا الأرض وما يمدّها بالغذاء والري والدفء .

قال تعالى : «قُلْ إِيمَانُكُمْ بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُونَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَغْرُّنُونَ لِلأَذْقَانِ شُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا» [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٨] ، هم لا يسجدون ولكن : «يَغْرُّنُونَ لِلأَذْقَانِ شُجَّدًا» ، لا تكفي الألفاظ في تصوير ما يجيئ في صدورهم منه ، فإذا الدموع تنطلق معبرة عن ذلك التأثير الغامر الذي لا تصوره الألفاظ ..

هذا أثر القرآن في القلوب المفتتحة لاستقبال فيضه ، العارفة بطبيعته وقيمه ، وإنني لأعجب لقراء القرآن كيف يهينهم النوم ومعهم القرآن ، أما والله لو علموا ما حملوا لطار النوم عنهم فرحا .

رمضان والقرآن :

قال ابن رجب رحمه الله في «لطائف المعارف» : «الصيام يشفع لمن منعه الطعام والشهوات المحرمة كلها ، سواء كان تحريرها يختص بالصيام كشهوة الطعام والشراب والنکاح ومقدماتها ، أو لا يختص كشهوة فضول الكلام المحرمة ، والنظر المحرم والسماع المحرم ، والكسب المحرم ، فإذا منعه الصيام من هذه المحرمات كلها فإنه يشفع له عند الله يوم القيمة ، ويقول : يا رب .. منعته شهواته فشفعني فيه ، فهذا لمن حفظ صيامه ومنعه من شهواته ، فأما من ضيع صيامه ولم يمنعه مما حرم الله عليه ، فإنه جدير أن يضرب به وجه صاحبه ويقول له : ضيعك الله كما ضيعتني .

قال بعض السلف : إذا احْتَضَرَ الْمُؤْمِن يقال للملك : شَمَّ رَأْسَهُ ، قال : أجد في رأسه القرآن ، فيقال : شم قلبه ، فيقول : أجد في قلبه الصيام ، فيقال : شم قدميه ، فيقول : أجد في قدميه القيام ، فيقال : حفظ نفسه حفظه الله عز وجل .

وكذلك القرآن إنما يشفع لمن منعه من النوم بالليل ، من قرأ القرآن وقام به فقد قام بحقه فيشفع له ، أما من كان معه القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار ، فإنه يتتصبب القرآن خصما له يطالبه بحقوقه التي ضيعها » اه .

وقد « كان النبي ﷺ أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن ، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة »^(١) .

قال ابن رجب : « دل الحديث على استحباب دراسة القرآن في رمضان والاجتماع على ذلك ، وعَزَّزَ القرآن على من هو أحافظ له ، وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان .

وفي الحديث أن المدارسة بين جبريل عليه السلام وبين النبي ﷺ كانت ليلاً ، فيدل ذلك على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن ليلاً ، فإن الليل تنقطع فيه الشواغل ويجتمع فيه الهم ، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر كما قال تعالى : « إِنَّ نَاسَةَ الَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأَةً وَأَقْوَمُ فِيلًا » [المزمول: ٦] » اه .

قال رسول الله ﷺ : « من قرأ بمائة آية في ليلة كتب له قنوت ليلة »^(٢) ، وقال ﷺ : « يأتي القرآن يوم القيمة فيقول : يا رب حلّه ، فيلبس تاج

(١) متفق عليه ، البخاري (٦) ، ومسلم (٢٣٠٨) .

(٢) أخرجه أحمد (٤/١٠٣) ، وصححه الألباني (٦٤٤) في « الصحيححة » .

الكرامة، ثم يقول : يا رب زده ، فيليس حلة الكرامة ، ثم يقول : يا رب ارض عنه ، فيرضى عنه ، فيقول : اقرأ وازق ، ويزاد بكل آية حسنة »^(١).

قال أحمد بن الحواري : إني لأقرأ القرآن وأنظر في آية فيَحِيرُ عقلِي بها ، وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهينهم النوم ، ويسعهم أن يستغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الله ، أما إنهم لو فهموا ما يتلون ، وعرفوا حقه وتلذذوا به ، واستحلوا المناجاة به ؛ لذهب عنهم النوم فرحا بما رزقوا .

وكان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن ..

وكان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم .

وكان علي الأزدي يختتم فيما بين المغرب والعشاء في كل ليلة من رمضان ..

وقال ربيع بن سليمان : كان الشافعي يختتم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة ، ما منها شيء إلا في صلاة .

وكان قتادة يختتم القرآن في كل سبع مرة ، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاثة ليال مرّة ، فإذا دخل العشر ختم في كل ليلة مرّة ..

وكان النخعي يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة ، وفي بقية الشهر في ثلاثة ..

وكان الأسود يختتم القرآن في رمضان في كل ليتين ، وفي غير رمضان في كل ست ليال ..

(١) أخرجه الترمذى (٢٩١٥) ، وحسنه الألبانى (٨٠٣٠) في « صحيح الجامع ».

إخوته ..

هذا شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن عباد الله ، وفي بقائه للعابدين مستمتع ، وهذا كتاب الله يتلى فيكم بين أظهركم ويُسمَع .

وهو القرآن الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً يتصدع ، ومع هذا فلا قلب يخشع ، ولا عين تدمع ، ولا صيام يصان عن الحرام فينفع ، ولا قيام استقام فيرجى في صاحبه أن يشفع ، وتراءكت علينا ظلمة الذنب فهي لا تبصر ولا تسمع ..

كم تتلى علينا آيات القرآن وقلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة ، وكم يتواتي علينا رمضان وحالنا فيه كحال أهل الشقاوة ، لا الشباب منه يتنهى عن الصبوة ، ولا الشيخ يتزجر عن القبيح فيلتحق بالصفوة ، أين نحن من قوم إذا سمعوا داعي الله أجابوا الدعوة ، وإذا تلية عليهم آيات الله جلت قلوبهم جلوة ، وإذا صاموا صامت منهم الألسنة والأسماع والأبصار ، أفعالنا فيهم أسوة ؟ ، ما بيتنا وبين حال الصفا وبعد مما بين الصفا والمروءة ، كلما حسنت مِئا الأقوال ساءت الأعمال ..

فهل من توبة صادقة وعزيمةٌ ماضية .. نتلوا كتاب الله بالتدبر والفهم فيكون لنا شافعاً عند ربنا فيرفع ما بنا من غمة ..

هيا لنفهم القرآن مع كيفية تحصيل لذة القرآن :

أيها الإخوة ..

إذا عرفنا الآن أهمية القرآن في العودة بالأمة .. وعرفنا كيف نحفظه ونتعلمـه كما حفظه الصحابة ؛ لتربى عليه وعرفنا ما هو المطلوب منا بالنسبة للقرآن في نقاط محددة .. بقى أن نعرف كيف نحصل لذة تلاوته وقراءته ، لاسيما ونحن في شهر القرآن .

تحصيل لذة التلاوة وقراءة القرآن^(١) :

اعلم أن هذه اللذة لن تحصل إلا بتوافر آداب ظاهرة وآداب باطنية عند تلاوة القرآن العظيم ..

أما الآداب الظاهرة :(١) آداب في القارئ :

أن يكون القارئ على وضوء ، وأن يكون واقفاً على هيئة الأدب والسكنون إما قائماً وإما جالساً ، مستقبل القبلة ، مُطْرِقاً برأسه ، غير متربع ولا متكمي ، ولا جالساً على هيئة التكبر ، فإن قرأ على غير وضوء أو كان مضطجعاً في فراشه ؛ كان له أيضاً فضل ؛ ولكنه دون ذلك ، قال الله تعالى : «**أَلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَنْتَكِرُونَ فِي خَلْقِ أَنْشَأَنَا فِيهِمْ وَأَلْأَرْضَ**» [آل عمران: ١٩١] ، فأثنى على الكل ؛ ولكن قدم القيام في الذكر ، ثم القعود ، ثم الذكر ماضجاً .

(٢) آداب في مقدار القراءة :

وللقراءة عادات مختلفة ، في الاستكتار والاختصار ، والمتأثر عن عثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبي أنهم كانوا يختتمون القرآن في كل جمعة ، يقسمونه سبعة أحزاب .

(٣) الترتيل :

الترتيل هو المستحب في تلاوة القرآن ؛ لأننا سنين أن المقصود من القراءة التفكير ، والترتيل مُعین عليه ؛ ولذلك نعت أم سلمة تعقّلتها عنها قراءة

(١) انظر : إحياء علوم الدين) للغزالى (١/٢٧٧-٢٨٨)

رسول الله ﷺ؛ فإذا هي تنتع قراءة مفسرة حرفاً حرفاً، قال ابن عباس رضي الله عنهما : لأن أقرأ البقرة وأآل عمران أرتلها وأتدبرهما أحب إليّ من أن أقرأ القرآن كله هذرمة ، وجليله أن الترتيل والتزدة أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيراً في القلب من الهذرمة والاستعجال .

(٤) البكاء :

وهو مستحب مع القراءة ، ومنشئه الحزن ؛ وذلك أن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد ، والمواثيق والعقود ، ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره ، فيحزن لا محالة ويكي .

(٥) أن يراعي حق الآيات :

فإذا مر بآية سجدة سجد ، وكذلك إذا سمع من غيره سجدة سجد إذا سجد التالي ، ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة ، وقد قيل في كمالها : إنه يكبر رافعاً يديه لتحريمه من وقوف ثم يهوي ساجداً ، ثم يرفع ويستكمل القراءة .

(٦) آداب الترتيل :

أن يقول في مبتدأ قراءته : أعود بالله السميع العليم من الشيطان الريجيم ، وفي أثناء القراءة إذا مر بآية تسبيح سبع وكير ، وإذا مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر ، وإن مر بمرجو سأل ، وإن مر بمخوف استعاد ، يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه .

(٧) الإسرار بالقراءة :

فهو أبعد عن الرياء والتصنع ؛ وهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه ، فإن لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش على مُصلٍ ؛ فالجهر أفضل ؛ لأن العمل فيه أكثر ، ولأنه يوقد قلب القارئ ، ويجمع همه إلى الفكر

فيه ، ولأنه يطرد النوم في رفع الصوت ، ويزيد في نشاطه للقراءة ، ويقلل من كسله ، فمتى حضره شيء من هذه النيات ؟ فالجهر أفضل .

(٨) تحسين القراءة :

وترتيبها من غير تمطيط مفرط يغير النظم ؛ فذلك سُوءٌ ، وفي الحديث : «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»^(١) ، وفي آخر : «لَيْسَ مَنَا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ»^(٢) ، فقيل : أراد به الاستغناء ، وقيل : أراد به الترنم وترديد الألحان به ، وهو أقرب عند أهل اللغة ، واستمع عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى قراءة أبي موسى فقال : «لَقَدْ أُوتِيَ هَذَا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاؤِدْ»^(٣) ، ويرُوَى أنَّ أصحابَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كانوا إذا اجتمعوا أمرُوا أحدهم أن يقرأ سورةً من القرآن .

وأما الآداب الباطنة :

(١) فهم عظمة الكلام :

فهم عظمة الكلام وعلوه والاعتراف بفضله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة إفهام خلقه ، فلينظر كيف لطف بخلقه في إيصال معاني كلامه إلى أنفاس خلقه ؟ ، وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف وأصوات هي صفات البشر ، إذ يعجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه ، ولو لا استثار كُنْهِ جلاله كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ، ولتلاذئ ما بينهما من عظمة سلطانه وسبعينات نوره ، ولو لا ثبّيت الله عز وجل لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لما أطاق سماع كلامه كما لم يطق الجيل مبادى تجليه حيث صار ذكرا .

(١) متفق عليه ، البخاري (٤٦٥٣) ، مسلم (٧٩٢) .

(٢) البخاري (٧٠٨٩) .

(٣) متفق عليه ، البخاري (٤٧٦١) ، مسلم (٧٩٣) .

لابد لك أيها التالي للقرآن أن تعرف أن القرآن كلام الله وأن صفة التكليم من صفات الجلال للرب جل وعلا ، وربك جل جلاله إذا تحلى بشيء لم يقم لعظمته جلاله سبحانه شيء ، **﴿فَلَمَّا تَجَلَ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَائِئِيَّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِيقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ شَبَحْنَاكَ ثَبَثَ إِيَّاكَ﴾** [الأعراف : ١٤٣].

فافهم واعرف أيها الحبيب المحب أن صفة الكلام من صفات الملك جل جلاله ولها عظمة من عظمته سبحانه ، وكما أنه سبحانه كما ثبت في الحديث أن «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما امتد إليه بصره من خلقه»^(١)؛ فلابد من حجاب لهذه الصفة .

فجعل الله وهو الرحيم بعباده الكريم الحروف والأصوات كأنها حجاب لصفة الكلام ؛ ل تستطيع القلوب والعقول مطالعة هذه الصفة وإلا لصار الخلق دكًا كما جرى للجبل ، قال سبحانه : **﴿لَوْ أَزَّنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتُمْ خَشِعاً مُضَلِّعاً مِنْ خَشْيَةٍ﴾** [العنبر : ٢١].

فاحمد الله أيها التالي للقرآن على هذه المنة العظيمة أن تتمكن من تلاوة القرآن الذي هو كلام الله ، والكلام صفة من صفات الله عز وجل ، قال تعالى : **﴿وَلَقَدْ يَسَرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُذَكَّرٍ﴾** [القمر : ١٧].

(٢) التعظيم للمتكلّم :

فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلّم ، ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر ، وأن في تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطير ، فإنه تعالى قال : **﴿لَا يَمْسِهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾** [الواقعة : ٧٩] ، وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان

(١) أخرجه ابن ماجه ، وصححه الألباني (١٨٦٠) في « صحيح الجامع » .

متطهراً ، فباطنُ معناه أيضاً بحُكم عِزَّه وجلالِه محجوبٌ عن باطن القلب إلا إذا كان القلب متطهراً من كل رجس ، ومستنيراً بنور التعظيم والتوقير .

وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد ، فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ، ولا لينل معانيه كل قلب .

فتعظيم الكلام تعظيم للمتكلّم ، ولن تخضره عظمة المتكلّم ما لم يتفكر في صفاتِه وجلالِه وأفعالِه ، فإذا حضر بياله العرش واستواء ربُّه عليه ، والكرسيُّ الذي وسَع السموات والأرض ، واستحضر مشهد السموات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار ، وعلم أن الخالق لجميعها قادر عليها والرازق لها واحد ، وأن الكل في قبضته متددون بين فضله ورحمته ، وبين نعمته وسلطته ، إن أنعم بفضله ، وإن عاقب بعده ، وأنه الذي يقول هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي ، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي ، وهذا غاية العظمة والتعالى ، فالتفكير في أمثل هذا يحضر تعظيم المتكلّم ومن ثم تعظيم الكلام .

(٣) حضور القلب وترك حديث النفس :

قيل في تفسير : «يَتَبَخَّرُ خَذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ» [مريم: ١٢] ، أي بجد واجتهاد ، وأخذَه بالجد أن يكون متجرداً له عند قراءته من صرف الهمة إليه عن غيره ، وقيل لبعضهم : إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء؟ ، فقال : أو شيء أحب إلي من القرآن حتى أحذث به نفسي !

وكان بعض السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية .

وهذه الصفة تتولد عمّا قبلها من التعظيم ، فإنَّ معظمَ الكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه ، ففي القرآن ما يستأنس به القلب إن كان

التالي أهلاً له ، فكيف يطلب الأنس بالفکر في غيره وهو متنزه ومتفرج ، والذى يتفرج في المتنزهات لا يتذكر في غيرها ، فقد قيل : إن القرآن ميادين ، وبساتين ، ومقاصير ، وعرائس ، وديابيج ، ورياض .

إذا دخل القارئ الميادين ، وقطف من البساتين ، ودخل المقاصير ، وشهد العرائس ، ولبس الديباج ، وتنزه في الرياض ، استغرقه ذلك وشغله عما سواه ، فلم يعزب قلبه ، ولم يتفرق فكره .

(٤) التدبر :

وهو وراء حضور القلب ، فإنه قد لا يتذكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه ، وهو لا يتدبّره ، والمقصود من القراءة التدبر ؛ ولذلك سُنُّ الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن .

قال عليٌ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : لا خير في عبادة لا فقه فيها ، ولا في قراءة لا تدبر فيها . وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بترديد الآية فليردد إلا أن يكون خلف إمام ، فإنه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل الإمام بأية أخرى كان مسيئا ، مثل من يستغل بالتعجب من كلمة واحدة من يناديه عن فهم بقية كلامه ، وكذلك إن كان في تسبيح الركوع وهو متذكر في آية قرأها إمامه فهذا وسواس .

روي عن عامر بن عبد قيس أنه قال : الوسواس يعتريني في الصلاة ، فقيل : في أمر الدنيا ؟ ، فقال : لأن تختلف في الأسنة أحبابي من ذلك ؛ ولكن يستغل قلبي بموقفي بين يدي ربِّي عز وجل ، وأني كيف أصرف ، فعَدَ ذلك وسوانسا ، وهو كذلك ؛ فإنه يشغل عن فهم ما هو فيه ، والشيطان لا يقدر على مثله إلا بأن يشغل بهم ديني ، ولكن يمنعه به عن الأفضل .

وعن أبي ذر قال : قام رسول الله ﷺ بنا ليلة قيام بأية يرددنا وهي :

﴿إِن تُعِذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْمَغِيرُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] ، وقام تميم الداري ليلة بهذه الآية : «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْلَمُهُمْ كَالَّذِينَ إِمَّا مَنَّوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً تَحْيَهُمْ وَمَمَّا هُمْ سَاهُ مَا يَعْكُمُونَ» [الجاثية: ٢١] ، وقام سعيد بن جبير يردد هذه الآية : «وَأَنْتُرُوا إِلَيْهَا الْمُجْرُمُونَ» [س: ٥٩] ، وقال بعضهم : إني لأفتح السورة فيو قفي بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر .

وكان بعضهم يقول : آية لا أتفهمها ولا يكون قلبي فيها لا أعد لها ثوابا ، وحكي عن أبي سليمان الداراني أنه قال : إني لأتلوا الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال ، ولو لا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها .

وعن بعض السلف أنه بقي في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها ، وقال بعضهم : لي في كل جمعة ختمة ، وفي كل شهر ختمة ، وفي كل سنة ختمة ،ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد ، وذلك بحسب درجات تدبره وتفتisنه ، وكان هذا أيضا يقول : أقمت نفسي مقام الأجراء ، فأنما أعمل مياماً ومجامعة ومشاهرة ومسانحة . (يعني بالاليومية فهناك ختمة يومية . ومجامعة : يعني كل جمعة . ومشاهرة : يعني كل شهر . ومسانحة : يعني كل سنة) .

(٥) التفهم :

وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها ؛ إذ القرآن يستعمل على ذكر صفات الله عز وجل ، وذكر أفعاله ، وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام ، وذكر أحوال المكذبين لهم وأنهم كيف أهلكوا ، وذكر أوامره وزواجه ، وذكر الجنة والنار .

أما صفات الله عز وجل فكقوله تعالى : «لَيْسَ كَثِيلٌ شَفِيعٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

البصير》 [الشورى : ١١] ، وكقوله تعالى : «**هُوَ اللَّهُ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ** **الْقَدُوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَارُ الْمُتَكَبِّرُ** **شَهِدَنَ اللَّهُ عَمَّا** **يُشَرِّكُونَ**» [الحشر : ٢٣] ، فليتأمل معاني هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسرارها ، فتحتها معانٍ مدفونة لا تنكشف إلا للموقفين ، وإليه أشار عليه **رَبِّ الْعِظَمَاتِ** بقوله لما سئل : هل عندكم من رسول الله ﷺ شيء سوى القرآن ؟ ، فقال : لا والذى خلق الحبة وبراً النسمة إلا أن يعطي الله عباداً فهما في كتابه .

وأما أفعاله تعالى فكذلكه خلق السموات والأرض وغيرها ، فليفهم التالي منها صفات الله عز وجل جلاله ، إذا الفعل يدل على الفاعل فتدل على عظمته .

وأما أحوال الأنبياء غَلَقَتِ الْبَلَاقَةُ : فإذا سمع منها كيف كذبوا وضرموا وقتل بعضهم ؛ فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والمرسل إليهم ، وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر في ملوكه شيء ، وإذا سمع نصرتهم في آخر الأمر فليفهم قدرة الله عز وجل وإراداته لنصرة الحق .

وأما أحوال المكذبين ، كعاد وثモود وما جرى عليهم ، فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوه ونقمته ، ول يكن حظه منه الاعتبار في نفسه ، وأنه إن غفل وأساء الأدب واغتر بما أمهل فربما تدركه النقطة وتنفذ فيه القضية ، وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القرآن ، فلا يمكن استقصاء ما يفهم منه لأن ذلك لا نهاية له ، وإنما لكل عبد من القرآن بقدر رزقه : «**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلِمَتِ رَبِّ لَنَفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنَفَّدَ كَلِمَتُ رَبِّ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَادًا**» [الكهف : ١٠٩].

فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهم لينفتح بابه ، فأما الاستقصاء فلا مطعم فيه ، ومن لم يكن له فهم في القرآن ولو في أدنى الدرجات دخل في

قوله تعالى : «وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَعِيْلِيْكَ حَقّاً إِذَا حَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ إِنَّا أَنْهَيْنَا الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَأَتَبَعْنَا أَهْوَاءَهُمْ» [محمد : ١٦] ، والطابع هي المowanع التي سذكرها في موانع الفهم .

(٦) التخلّي عن موانع الفهم :

لابد من التخلية قبل التحلية ؛ فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لأسباب وحجب أسلحتها الشيطان على قلوبهم ، فعممت عليهم عجائب أسرار القرآن .

وَحُجْبُ الفهم ثلاثة :

أولها : أن يكون لهم منصرفًا إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها ، وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله عز وجل ، فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف ، يخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه ، فهذا يكون تأملاً مقصوراً على مخارج الحروف فأني تكشف له المعاني ؟ ، وأعظم ضحكة للشيطان ممن كان مطيناً لمثل هذا التلبيس .

ثانيها : أن يكون مقلداً للمذهب سمعه بالتقليد ، وحمد عليه ، وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للسموع من غير وصول إليه بصيرة ومشاهدة ، فهذا شخص قيده معتقده عن أن يتجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده ، فصار نظره موقعاً على مسموعه .

فإن لمع له برق على بعد ، وبدأ له معنى من المعاني التي ثبّتين مسموعه ؛ حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال : كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك ، فيرى أن ذلك غرورٌ من الشيطان فيتباعد منه ويتحرّز عن مثله ، ومثله من يقرأ قوله تعالى : «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى» [طه : ٥] ، وما يحتويه

معنى الآية من علو الله عز وجل على كل مخلوقاته وهيمته وتصرفة في كل الموجودات ، فيجيئه تقليد المعتقدات الموروثة في التأويل ووجوب تنزيه الله عن الجهة ، فيحرم من تحليات تأمل صفة العلو والاستواء ، وهي من الصفات التي تكررت في القرآن بغرض التنبيه على جلال الله وعظمته وحقيقة علوه على خلقه .

ثالثها : أن يكون مُصِرًا على ذنب أو متصرفًا بغير أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع ؛ فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه ، وهو كالخبث على المرأة ، وهو أعظم حجاب للقلب ، وبه حجب الأثرون .

وكلما كانت الشهوات أكثر تراكمًا كانت معاني الكلام أشد احتجاجاً ، وكلما خف عن القلب أثقال الدنيا ، قرب تجلي المعنى فيه ، فالقلب مثل المرأة ، والشهوات مثل الصدا ، ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرأة ، والرياضة للقلب بإماتة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرأة ، وقد شرط الله عز وجل الإنابة في الفهم والتذكير فقال تعالى : «**بَيْسِرَةٌ وَذِكْرٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُتَبَّعٍ**» [ق : ٨] ، وقال تعالى : «**أَمَّنْ يَلْعَثُ أَنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحُقْقُ كُمْ هُوَ أَعْجَمٌ إِنَّمَا يَنْذَرُ أُولُوا الْأَلْبَابُ**» [الرعد : ١٩] ، فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة ؛ فليس من ذوي الألباب ؛ ولذلك لا تكشف له أسرار الكتاب .

(٧) التخصيص :

وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن ، فإن سمع أمراً أو نهياً قدر أنّه هو المنهي والمأمور ، وإن سمع وعداً أو وعداً فكمثيل ذلك أن هذا الوعيد يخصه ، وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علماً أن السمر غير مقصود ، وإنما المقصود ليعتبر به ولیأخذ من تضاعيفه ما يحتاج إليه ، فما من قصة في القرآن إلا ويساقها لفائدة في حق النبي ﷺ وأمته ، ولذلك قال تعالى : «**وَلَا**

نَفَّصُ عَيْنَكَ مِنْ أَبْلَأِ الرِّشْلِ مَا ثَبَّتْ بِهِ فَوَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةً وَذَكْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ» [مود : ١٢٠] ، فَلِيُقْدِرُ الْعَبْدُ أَنَّ اللَّهَ ثَبَّتْ فَوَادَهُ بِمَا قَصَهُ عَلَيْهِ مِنْ أَحْوَالِ
الْأَنْبِيَاءِ وَصَبَرُهُمْ عَلَى الْإِيْذَاءِ وَثَبَاتِهِمْ فِي الدِّينِ لَا تَنْظَارٌ نَصْرَ اللَّهِ تَعَالَى .

وَكَيْفَ لَا يُقْدِرُ هَذَا وَالْقُرْآنُ مَا أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِرَسُولِ اللَّهِ
خَاصَّةً ؛ بَلْ هُوَ شَفَاءٌ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ وَنُورٌ لِلْعَالَمِينَ ؛ وَلِذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى
الْكَافِهُ بِشَكْرِ نِعْمَةِ الْكِتَابِ فَقَالَ تَعَالَى : «وَآذِنُوكُمْ يَقْرَأُونَ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ
مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةُ يَعْلَمُكُمْ بِهِ» [البَرَّ : ٢٣١] ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : «لَقَدْ أَنْزَلْنَا
عَلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» [الْأَنْبِيَاءَ : ١٠] ، وَقَالَ تَعَالَى : «وَأَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ الْكِتَابَ لِتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» [النَّحْلُ : ٤٤] ، وَقَالَ
سَبَحَانَهُ : «وَأَتَيْعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ» [الزُّمُرُ : ٥٥] ، وَقَالَ عَزَّ
وَجَلَّ : «هَذَا بَيِّنٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ» [آلِ عُمَرَ : ١٣٨] .

وَإِذَا قُصِدَ بِالْخُطَابِ جَمِيعُ النَّاسِ فَقَدْ قُصِدَ الْأَحَادِيدُ ، فَهَذَا الْقَارئُ الْوَاحِدُ
مَقْصُودٌ ، فَمَا لَهُ وَلِسَائِرِ النَّاسِ ، فَلِيُقْدِرُ أَنَّهُ الْمَقْصُودُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : «وَأُوْجِيَ
إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانُ لِأَنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ يَلْعَمْ» [الْأَنْعَامُ : ١٩] ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبَ الْقُرَاطِيِّ :
مِنْ بَلْغَهُ الْقُرْآنِ فَكَانَمَا كَلَمَهُ اللَّهُ ، وَإِذَا قَدِرَ ذَلِكَ لَمْ يَتَخَذِ دراسَةً لِلْقُرْآنِ عَمَلَهُ ،
بَلْ يَقْرُؤُهُ كَمَا يَقْرُأُ الْعَبْدُ كِتَابَ مُوَلَّهِ الَّذِي كَتَبَهُ لَهُ لِيَتَأْمِلَهُ وَيَعْمَلَ بِمَقْضِيَاهُ ،
وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءَ : هَذَا الْقُرْآنُ رَسَائِلٌ أَنْتَنَا مِنْ قَبْلِ رِبِّنَا عَزَّ وَجَلَ بِعَهْدِ
نَتَدَبَّرُهَا فِي الصَّلَوَاتِ وَنَفَقُ عَلَيْهَا فِي الْخَلْوَاتِ وَنَفَذَهَا فِي الطَّاعَاتِ وَالسُّنْنِ
الْمُتَبَعَاتِ ، وَكَانَ مَالِكُ بْنُ دِيَنَارَ يَقُولُ : مَا زَرَعَ الْقُرْآنُ فِي قَلْوبِكُمْ يَا أَهْلَ
الْقُرْآنِ ؟ ، إِنَّ الْقُرْآنَ رَبِيعُ الْمُؤْمِنِ كَمَا أَنَّ الْغَيْثَ رَبِيعَ الْأَرْضِ ، وَقَالَ قَتَادَةُ : لَمْ
يَجَالِسْ أَحَدُ الْقُرْآنِ إِلَّا قَامَ بِزِيادةٍ أَوْ نَقْصَانٍ ، قَالَ تَعَالَى : «وَنَزَّلْنَا مِنْ الْقُرْآنِ مَا
هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا» [الْإِسْرَاءُ : ٨٢] .

(٨) التأثر :

وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل آية يقرؤها فهم وحال يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيرها، ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه، فإن التقيد غالب على آيات القرآن ، فلا يرى ذكر المغفرة إلا مقوّيًّا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله عز وجل : «وَلِنِ لَفَار» ثم أتبع ذلك بأربعة شروط : «لَمَنْ تَابَ وَأَمَنَ وَعَمِلَ صَلِحًا ثُمَّ أَهْتَدَى» [طه : ٨٢] ، قوله تعالى : «وَالْعَصِيرِ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالْصَّيْرِ» [العصر : ٣-٤] ، ذكر أربعة شروط ، وحيث انتصر شرط شرطاً جاماً ، فقال تعالى : «إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ وَقِرْبَتِهِ مِنَ الْمُخْسِنِينَ» [الأعراف : ٥٦] ، فالإحسان يجمع الكل ، وهكذا من يتصفح القرآن من أوله إلى آخره ، ومن فهم ذلك فجدير بأن يكون حاله الخشية والحزن .

ولذلك قال الحسن : والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به إلاكثر حزنه ، وقل فرحة ، وكثير بكاؤه ، وقل ضحكه ، وكثير نصبه وشغله ، وقللت راحته وبطالته .

وقال وهيب بن الورد : نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئاً أرق للقلوب ولا أشد استجلاباً للحزن من قراءة القرآن ، وتفهمه ، وتدبره ، فتأثير العبد بالتلاؤمة أن يصير بصفة الآية المتلوة .

ف عند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت ؛ وعند التوسيع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح .

و عند ذكر الله صفاته وأسمائه يتطلطاً خضوعاً لجلاله واستشعاراً لعظمته .

و عند ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل ذكرهم لله عز وجل ولذا وصاحبة - تعالى الله عن ذلك - يغض الصوت وينكسر في باطن حياء من قبح مقالتهم ، و عند وصف الجنة ينبئ بباطنه شوقا إليها .

و عند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها ، ولما قال رسول الله ﷺ لابن مسعود : «اقرأ علي» قال : فافتتحت سورة النساء ، فلما بلغت : «فَكَيْفَ إِذَا ِجْهَنَّمَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ يُشَهِّدُهُ وَجْهَنَّمَ بِكَ عَنْ هَطْلَاءِ شَهِيدًا» [النساء : ٤١] ، رأيت عينيه تذرفان بالدموع ؛ فقال لي : «حسبك الآن»^(١)؛ وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية ﷺ .

ولقد كان من الخائفين من خَرَّ مغشيا عليه عند آيات الوعيد ، ومنهم من مات في سماع الآيات .

فمثل هذه الأحوال يخرجه عن أن يكون حاكيا في كلامه ، فإذا قال : «قُلْ إِنَّ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّيْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» [الأنعام : ١٥] ، ولم يكن خائفاً كان حاكيا .

وإذا قال : «رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوْكِنَّا وَإِلَيْكَ أَبْتَنَّا وَلَيْكَ الْمُعِيرُ» [المتحنة : ٤] ، ولم يكن حاله التوكل والإنبابة كان حاكيا .

وإذا قال : «وَنَقْتَرِنَّ عَلَىٰ مَاٰءَذِيْمُونَا» [إبراهيم : ١٢] ، فليكن حاله الصبر أو العزمية عليه حتى يجد حلاوة التلاوة .

فإن لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات ؛ كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه في قوله تعالى : «أَلَا لَقَنَّهُ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ» [موعد : ١٨] ، وقال تعالى : «كَبَرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا

(١) البخاري (٤٧٦٣).

تَقْلُوتَ» [الصف : ٣] ، وقال عز وجل : **«أَقْرَبَ لِلتَّابِعِينَ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّغَرِّضُونَ»** [الأنياء : ١] ، إلى غير ذلك من الآيات ..

وكان داخلاً في معنى قوله عز وجل : **«وَمِنْهُمْ أَتَيْوْنَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانَى وَإِنَّهُمْ إِلَّا يُظْنَوْنَ»** [البقرة : ٧٨] ، يعني التلاوة المجردة ، وقوله عز وجل : **«وَكَانُوا مِنْ أَهْلِهِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْرُونَ عَنْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُغَرِّضُونَ»** [يوسف : ١٠٥] ؛ لأن القرآن هو المبين لتلك الآيات في السموات والأرض ، ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضًا عنها ؛ ولذلك قيل : إن من لم يكن متصلًا بأخلاق القرآن فإذا قرأ القرآن ناداه الله تعالى : مالك ولكلامي وأنت معرض عنى ، دع عنك كلامي إن لم تتب إلى .

ومثال ذلك : العاصي إذا قرأ القرآن وكرره ، مثال من يكرر كتاب الملك كل يوم مرات ، وقد كتب إليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبيها ومقتصر على دراسة كتابه ؛ فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان أبعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت .

ولذلك قال يوسف بن أسباط : إني لأهُم بالقرآن فإذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فأعدل إلى التسبيح والاستغفار .

والعرض عن العمل به أريد بقوله عز وجل : **«فَتَبَذُّو وَرَاءَ ظُهُورِهِنَّ وَأَشْرَقُوا بِهِ ثُمَّا قَلِيلًا فَيُقْسَ مَا يَشْتَرُونَ»** [آل عمران : ١٨٧] ؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ : «اقرعوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فلستم تقرعونه»^(١) ، وفي بعض الروايات «إذا اختلفتم فقوموا عنه» ، قال تعالى : **«الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيهِ عَلَيْهِمْ مَآيَتُهُمْ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا**

(١) متفق عليه ، البخاري (٤٧٧٣) ، مسلم (٢٦٦٧) .

وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» [الأنفال : ٢] ، وقال ﷺ : «إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن إذا سمعته رأيت أنه يخشى الله تعالى»^(١) .

وقال بعض القراء : قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ ثانية فانتهني وقال : جعلت القرآن على عملاً ، اذهب فاقرأ على الله عز وجل ، فانظر بماذا يأمرك وبماذا ينهاك .

لهذا كان شغل الصحابة ﷺ في الأحوال والأعمال ، فمات رسول الله ﷺ عن عشرين ألفاً من الصحابة ، لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف في اثنين منهم ، وكان أكثرهم يحفظ السورة وال سورتين ، وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم ، ولما جاء واحد ليتعلم القرآن فانتهى إلى قوله عز وجل : «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» [الزلزلة : ٨-٧] ، قال : يكفي هذا وانصرف ، فقال ﷺ : «انصرف الرجل وهو فقيه»^(٢) ، وإنما العزيز مثل تلك الحالة التي من الله عز وجل بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية .

فاما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى ، بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بأن يكون هو المراد بقول الله تعالى : «وَمَنْ أَغْرَصَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَخَسْرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى» [طه : ١٢٤] ، ويقوله عز وجل : «قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَكَ إِيَّا نَا فَنَسِينَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنسَى» [طه : ١٢٦] ، أي تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها ، فإن المقصود في الأمر يقال : إنه نسي الأمر ، وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب ، فحفظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيب ، وحظ العقل تفسير المعاني ، وحظ القلب الاتزان والتأثير بالانزجار والاتئمار ، فاللسان يرتل ، والعقل يترجم ، والقلب يتعظ .

(١) أخرجه ابن ماجه (١٣٣٩) ، وصححه الألباني (١١٠) في « صحيح ابن ماجه » .

(٢) قال الهيثمي في «المجمع» (١٤١/٧) : رجاله رجال الصحيح .

(٩) الترقى :

وأعني به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه ، فدرجات القرآن ثلاثة .

أدنىها : أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله عز وجل واقفاً بين يديه وهو ناظر إليه ومستمع منه ، فيكون حاله عند هذا التقدير : السؤال والتملق والتضرع والابتها .
الثانية : أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل براه ويخاطبه بالطافه ويناجيه بإنعامه وإحسانه ، فمقامه الحياة والتعظيم والإصغاء والفهم .

الثالثة : أن يرى في الكلام المتكلم ، وفي الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ، ولا إلى تعلق الإنعام به من حيث إنه مُنعم عليه ، بل يكون مقصوراً لهم على المتكلم ، موقف الفكر عليه ، كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره ، وهذه درجة المقربين ، وما قبله درجة أصحاب اليمين ، وما خرج عن هذا ؛ فهو من الغافلين .

(١٠) التبرى :

وأعني به أن يتبرأ العبد من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه بعين الرضا والتزكية ، فإذا تلا آيات الوعيد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك ؛ بل يشهد المؤمنين والصديقين فيها ، ويتشوق إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم ، وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين ؛ شهد على نفسه هناك ، وقدر أنه المخاطب خوفاً وإشفاقاً .

ولذلك كان ابن عمر يقول : أستغرك لظلمي وكفري ، فقيل له : هذا الظلم ، فما بال الكفر ؟ ، فتلا قوله عز وجل : «وَإِنَّكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُهُ وَإِنْ تُمْدُوا يَقْرَئُوكُمْ لَا تَخْصُوصُهَا إِنَّكُمْ لَكُفَّارٌ» [البراهيم: ٣٤] .

وقيل ليوسف بن أسباط : إذا قرأت القرآن بماذا تدعوه ؟ ، قال : أستغفر الله عز وجل من تقصيري سبعين مرة .

فإذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كانت رؤيته تقصيره سبب قربه ، فإن من شهد البعد في القرب لطف به في الخوف ، حتى يسوقه الخوف إلى درجة أخرى في القرب وراءها ، ومن شهد القرب في البعد مُكِّر به في الأمن ، الذي يفضيه إلى درجة أخرى في البعد أسفل مما هو فيه .

ومهما كان مشاهدًا نفسه بعين الرضا صار محجوبًا بنفسه عن الله » انتهى
كلام الغزالى رحمه الله .

هذه هي المراتب العشرة لتحصيل لذة تلاوة القرآن أيها الحبيب ، ولن تستطع فهمها بمجرد مرور نظرك عليها لأول مرة ؛ بل تحتاج إلى تأمل ومذاكرة مع غيرك من إخوانك أو مشايخك لتلقيح الأفكار وتفتح الأفهام ، ثم العمل . ولن يفتح لك من أول مرة إدراك ما ذكرت لك ؛ لكن الأمر يحتاج إلى مجاهدة وصبر نَأْنِ لكي يحصل لك .

هيا أبدأ فرصة رمضان مع فتوحاته ونوره .. هيا أبدأ لتنطلق في هذه الأيام المباركة .. هذا هو العلم ؛ فأين العمل أيها الطالب لرضا ربك ؟
إخوته ..

الذكر دواء الحياة ومشاكلها ، وجلاء القلوب وقوتها ، من لزمه سعد في دنياه وأخراء ، وكيف لا والنبي ﷺ يقول : «ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأذكىها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إتفاق الذهب والفضة ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا عنقهم ويضربوا عنقكم ؟» ، قالوا : بلى ، قال : «ذكر الله تعالى»^(١) .

وأفضل الذكر القرآن .. وقد جاءكم موسم القرآن .. شهر رمضان شهر

(١) أخرجه أحمد (١٩٥/٥) ، وصححه الألباني (٢٦٢٩) في « صحيح الجامع » .

القرآن . . فالبدار البدار يا أمة القرآن ، يقول رسول الله ﷺ : «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيمة شفيعاً لأصحابه»^(١) ، ويقول ﷺ : «الصيام والقرآن يشفعن للعبد يوم القيمة ؛ يقول الصيام : أي رب منعك الطعام والشراب في النهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن أي رب منعك النوم بالليل فشفعني فيه ، فيشفعن»^(٢) .

إخواته . .

القرآن كلام الله ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه . . فداوموا على تلاوته ، وأكثروا من قراءته في شهر رمضان ، والتزموا بما ذكرناه آنفاً من الآداب ، الظاهرة والباطنة . . وفقنا الله وإياكم لما قاله ربنا سبحانه وتعالى في أول كتابه : «فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ» [البقرة : ٢] .

استدركك مهم

أيها الإخوة . .

بعد أن ذكرنا أهمية القرآن وحال السلف مع القرآن في رمضان لا يفوتي أيها الإخوة استدركك هام .

هذا الاستدرك توبة للأمة ككل ؛ لإصلاح حال الأمة مع القرآن كي يصلح الله حال الأمة في الواقع المرير ، فافهم معي علمي الله وإياك الحكمة وفصل الخطاب :

إن توصيف واقع الأمة الإسلامية اليوم هو كلمة واحدة : «التّي» . . نعم : الأمة الآن في مرحلة التّي - نسأل الله أن يغفر لنا . . ولن نخرج من هذه

(١) أخرجه أحمد (٥/٢٥٤) ، وصحّحه الألباني (٣٩٩٢) في «الصحيحة» .

(٢) أخرجه أحمد (٢/١٧٤) ، وصحّحه الألباني (٣٨٨٢) في « صحيح الجامع» .

المرحلة إلا بتغيير أنفسنا ليتغير واقعنا؛ فإن لله سننا ربانية لا تغير ولا تتبدل، وهو سبحانه القائل: «أَوْ لَمَّا أَصْبَثْتُكُمْ مُّعَصِّبَةً فَدَأَصْبَثْتُمْ مَثَانِيهَا قُلْتُمْ أَنَّ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِنِي أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَّقِيرٌ» [آل عمران: ١٦٥]، وقال تعالى: «وَمَا أَصْبَثْتُكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُرْ وَيَعْقُلُونَ كَيْرِ» [الشورى: ٣٠]، وقال سبحانه: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ» [الرعد: ١١].

وبعد أن جربت الأمة مراراً وتكراراً كل الوسائل في إعادة كرامتها ومقدساتها؛ لم يعد أمامها إلا الحل الأول والأولى والأصل الذي غفلت عنه .. القرآن الكريم.

ولذا فإن الأمة بحاجة إلى مشروع قومي تتفق عليه في التربية على القرآن، وتتوحد حوله ليخرجها مما هي فيه، ليعيدها إلى مجدها السليب ونهضتها المفقودة.

أيها الإخوة ..

«لقد أنزل اللَّهُ القرآن كتاب هداية وشفاء وتغيير وتقويم لهذه الأمة، وهذا هو سر معجزته، وإن تعلم قراءته، وترتبيله، وحفظه، وسائل مساعدة يتيسر من خلالها الانتفاع بتلك المعجزة، ومما يدعو للأسف أن الأمة قد ابتعدت طوال القرون الماضية عن جوهره، والسبب الذي أنزل من أجله، فتعاملت مع تلك الوسائل على أنها غaiات، وتسابق المسلمين على قراءته وحفظه في أقل وقت ممكن، دون أن يصاحب ذلك اهتمام بالمعاني الإيمانية التي تحملها آياته».

القرآن حاضر معنا بقرائه وحفاظه، وغائب عنا بالأفراد القرآنيين الذين يُعرفون بسيماهم، قرآناً يمشي على الأرض.

القرآن حاضر معنا في المساجد وحلقات التعليم ومدارس التحفيظ والإذاعات ووسائل الإعلام؛ لكنه غائب عنا بأثره ومفعوله.

القرآن حاضرٌ معنا بطبعاته الفاخرة ، وتغليفاته المبهرة ، وأياته التي تزين الجدران ، وترسم على المشغولات الذهبية ؛ لكنه غائبٌ عن دوره الحقيقي في قيادة الحياة وتوجيهها إلى الله عز وجل .

نفتح به الحفلات ، ونصنع منه المسابقات ، ونشئ له الكليات ، ومع ذلك لا نجني من وراء هذا الاهتمام ثماراً حقيقة تظهر في واقعنا ، وتصطبغ بها حياتنا .

فماذا حدث نتيجة هذا التعامل الشاذ مع القرآن؟

توقفت المعجزة القرآنية ، أو كادت تتوقف عن العمل ، وابتعد المسلمون عن سر عزهم ومجدهم وعلوهم عند الله ، قال تعالى : «لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَقْتُلُونَ» [الأنباء: ١٠] فازدادت الفجوة بين الواجب والواقع ، والقول والعمل ، ولم يعد يظهر في الأمة أجيالٌ قرآنية يتمثل فيها القرآن كما حدث في الجيل الأول ، ذلك الجيل العظيم .

السنا من أهل القرآن؟!

قد يقول قائل : ولكنني أقرأ القرآن وأختتمه مرة كل شهر - على الأقل - وأحفظه ، بل وأعمل على تعليمه للناس ، وأعتبر نفسي من أهل القرآن ، بل ويتعامل مَنْ حولي معي على هذا الأساس ، رغم أنني أشعر داخلي بغير ذلك ، فلا يوجد فارق في السلوك بيني وبين غيري ممن لا يهتمون بالقرآن كاهتمامي به ؛ بل إنني أشعر مثلهم بتلك القيود التي تكبلني وتعنعني من فعل ما يرضي الله والتضحية من أجله .

نعم ، هذا وصفٌ دقيقٌ لحال البعض مع القرآن ، وهذا مما يزيد الأمر صعوبة ، أن يعتبر الواحد منا أن اهتمامه بلفظ القرآن وشكله قد جعله من أهل القرآن ، مع أن أهل القرآن هم العاملون به ، المتفعون بمعجزته .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « حامل القرآن حامل راية الإسلام لا يلهمو مع من يلهم ولا يسهو مع من يسهو » .

إن تلاوة ألفاظ القرآن ، وحفظ آياته يقدر عليها الصغير والكبير ، المؤمن والمنافق ، البر والفاجر ، بل والكفار ، وبالتالي لا يمكن لهؤلاء أن يصبحوا من أهله بمجرد حفظهم وكثرة قراءتهم لألفاظه ، والله در عمر بن الخطاب حين قال : لا يغركم من قرأ القرآن ؛ ولكن انظروا من يعمل به .

ويؤكد هذا المعنى ابن القيم يقول : قال بعض السلف : نزل القرآن ليعمل به ، فاتخذوا تلاوته عملاً . ولهذا كان أهل القرآن هم العالمون به ، والعاملون بما فيه ، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب ، وأما من حفظ القرآن ولم يفهمه ولم يعمل به ، فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذكر علامات الساعة : « يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقراءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرّون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » ^(١) .

إن المطلوب من قراء القرآن بالإضافة إلى القراءة والحفظ ، شيء آخر في غاية الأهمية ، المطلوب هو الانتفاع بمعجزته في تغييرنا ووضعنا في القالب الذي يرضي الله عز وجل ، المطلوب أن نستخدم القرآن كوسيلة تقودنا للصلح مع الله ، ومن ثم نتأهل للدخول في دائرة حمايته وكفايته ونصرته ، وهذا لن يتم من خلال قراءته باللسان فقط ولو آلاف المرات .

هذا لن يتم بحفظ حروفه وترك لآلئه وكتنوزه ..

هذا لن يتم إذا جعلنا المذيع يذيع آياته طيلة الليل والنهار ، ونحن غافلون عنه ، منشغلون بغيره ..

(١) أخرجه أحمد (١٣١/١) ، وصححه الألباني (٣٦٥٤) في « صحيح الجامع » .

لن يصبح أولادنا قرآنيين بمجرد حفظهم لألفاظ القرآن، وإن حفظوه كله . . .

سيصبح أولادنا قرآنيين عندما يتعلمون ما في الآيات من معانٍ وإيمان، ويطبقون ما فيها من عمل، بعد أن يحفظوها، وإن أدى ذلك إلى حفظهم لأجزاء قليلة من القرآن، فهذا خيرٌ لهم ولأمّتهم من أن يكونوا مجرد حفظة و فقط ، وإن جعوا الأمرتين - أقصد حفظه كاملاً مع فهمه والعمل به - فهو الأولى بل وهو المطلوب في هذه الأيام؛ فهذا علو همة ، وزيادة طاعة ، ونصرة الأمة .

جاء رجل إلى أبي الدرداء فقال : إن ابني جمع القرآن ، فقال : اللهم غفرًا ؟ إنما جَمِعَ القرآن من سَمِعَ له وأطاع ». .

كيف ربى النبي ﷺ الصحابة على القرآن ؟

ما ذكرناه هو أيضًا للشباب والكبار . . وانظر كيف ربى الصحابة ، يقول الإمام القرطبي رحمه الله في مقدمة تفسيره تحت عنوان «باب كيفية التعلم والفقه لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ»، وما جاء على أنه سهل على من تقدم العمل به دون حفظه» :

ذكر أبو عمرو الداني عن عثمان وابن مسعود وأبي : أن رسول الله ﷺ كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتلذذوا بها من العمل؛ فيعلمون القرآن والعمل جيًعا ، وعن أبي عبد الرحمن السُّلَيْمَيْ قال : كنا إذا تعلمنا عشر آيات من القرآن؛ لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نعرف خلالها وحرامها وأمرها ونهيها .

وعن نافع عن ابن عمر قال : تعلم عمر البقرة في الثنتي عشرة سنة ، فلما ختمها نحر جَزُورًا .

وقال عبد الله بن مسعود : إنما صعب علينا حفظ ألفاظ القرآن ، وسهل علينا العمل به ، وإن من بعده يسهل عليهم حفظ القرآن ، ويصعب عليهم العمل به .

وعن مجاهد عن ابن عمر قال : كان الفاضل من أصحاب الرسول ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها ، ورزقا العمل بالقرآن ، وإن آخر هذه الأمة يقرءون القرآن ، منهم الصبي والأعمى ولا يرزقون العمل به .

وقال خلف بن هشام البزار : ما أظن القرآن إلا عارية في أيدينا ؛ وذلك أنا روينا أن عمر بن الخطاب حفظ البقرة في بضع عشرة سنة ، فلما حفظها نحر جزوراً شكرًا لله ، وإن الغلام في ذهرنا هذا يجلس بين يديه فيقرأ ثلث القرآن لا يسقط منه حرفاً ، مما أحسب القرآن إلا عارية في أيدينا .

وقد قال أهل العلم بالحديث : لا ينبغي لطالب الحديث أن يقتصر على سماع الحديث وكثيشه ، دون معرفته وفهمه ؛ فيكون قد أتعب نفسه من غير أن يظفر بطائل ، ول يكن تحفظه للحديث على التدرج قليلاً قليلاً مع الليالي والأيام .

وممن ورد عنه ذلك من حفاظ الحديث : شعبة وابن عطية ومغمر ، قال مغمر : سمعت الزهري يقول : من طلب العلم جملة فاته جملة ؛ وإنما يدرك العلم حديثاً وحديثين ، والله أعلم .

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه : اعلموا ما شتم فلن يأجركم الله بعلمكم حتى تعلموا .

وقال ابن عبد البر : رُوي أن العلماء همتهم الدراسة ، وأن السفهاء همتهم الرواية» اهـ .

ولابد من تعليق أيها الأحجة في الله بعد كل ما سبق ، وإنما ذكرت لكم كل ما سبق جملة واحدة وإن كان يبدو على خلاف منهجنا في الأمر بتلاوة القرآن وحفظه بتدبر ويعبر تدبر وحفظ القرآن بعلم أو بغير علم ، سُقط ما سبق لتنقل خطوة إلى الإمام ؛ لذلك الشخص أهدافنا في موضوع القرآن جملة واحدة فأقول :

أولاً : الاهتمام بالقرآن وجعله نصب أعيننا لا يفارقها ليل نهار .

ثانياً : التلاوة للقرآن أهم من الحفظ وهي نوعان لا يُستغني بأحدهما عن الآخر .

١ - تلاوة تدبر وتفكير : وهي خاتمة لا يتسع بالوصول إلى آخر القرآن فيها ؛ بل يهتم فيها بالعلم فتعطي كل آية حظها من التدبر ، والبحث عن العلم بها ، والتنقيب عن أسرارها بالقراءة في التفاسير وكتب العلم وسؤال أهل العلم .

٢ - تلاوة الأجر : وهي الختمات التي نطالب بها يومياً وفي رمضان وغيره ؛ إنما هي ابتغاء الأجر ، بكل حرف عشر حسنت ، فهذه يُنفَضِّي فيها عن التدبر ، وتُصرَفُ الهمة إلى تحصيل الأجر من الله فحسب ؛ فإن الوعد بأن على كل حرف عشر حسنت لم يُشترط فيه التدبر .

ثالثاً : حفظ القرآن وظيفة الأمة ومطلب شرعي ، ولا يزهدك في ذلك ما سمعناه من نقولات عن بعض السلف ؛ وإنما كان التركيز السابق من أجل العمل ؛ فلابد أن تحفظ القرآن ؛ لأن درجتك في الجنة بقدر حفظك ؛ بدليل حديث : « يقال لقارئ القرآن : اقرأ وأزق ، ورثُل كما كنت ترثُل في دار الدنيا ؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها »^(١) .

(١) أخرجه أحمد، وصححه الألباني (٨١٢٢) في « صحيح الجامع » .

إخوتي في الله :

إنني أريد أن أحذر بعض قومنا الذين يأخذون بعض الكلام ويتركون بعده
لأهواء في أنفسهم فينتقون من الكلام ما يؤيدون به أهواهم ورغباتهم .

أوكد مرة أخرى أن كل ما هو مطلوب منك :

- تلاوة القرآن . - حفظ القرآن .

- تدبر القرآن . - فهم القرآن .

- إسلام زمامك للقرآن . - العمل بالقرآن .

أن يربيك القرآن ، وأن يصنعك الله بالقرآن ، وأن يقودك القرآن ، وأن
يحكم القرآن حياتك ..

لتكون من أهل القرآن .. الذين هم أهل الله وخاصته ..

اللهم اجعلنا وأهلينا وذرياتنا من أهل

القرآن أهلك وخاصته

قَلْبِي مُرْضٌ مَّا نَمَنْ

صَرْوَهُ وَمَرْدُونْ

لَيْسَ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ يُشْبِهُ نَعِيمَ أَهْلِ الْجَنَّةِ

إِلَّا حَلَاوةُ

الْمُنَاجَاةِ فِي الْقِيَامِ

صلاة التراويح في رمضان

شهر رمضان شهر كله خير وبركة ، وسبحان الله الكريم ، أعطى فيه من فرص المغفرة للمؤمنين ما يفوق الأمنيات ، ولكن وسبحان الملك العليم القدير تجد في شهر رمضان علامه مميزة عجيبة دون غيره من الشهور ، كأنها شامة في جبين هذا الشهر ألا وهي قيام رمضان .

فضلاً عن أن قيام رمضان يستوجب مغفرة الذنوب المتقدمة ، فلقيام رمضان لذة وبهجة خاصة عجيبة ليس كمثلها شيء .

سبحان الملك ! ، قد يقوم الإنسان كثيراً وطويلاً على مدار السنة ؛ ولكن قيام رمضان له مذاق خاص يختلف عن جميع السنة ، وسبحان الملك أيضاً القرآن في رمضان له مذاق خاص يختلف عن جميع أيام السنة ، وفي القيام : القرآن .

والليل في رمضان له مذاق خاص أيضاً يختلف عن جميع ليالي السنة . وأيضاً هذه من خصوصيات رمضان ، أن تجد القيام سهلاً على جميع الناس ، حتى إنك لتجد بعض من لا يصلني الفرائض في غير رمضان يصلني القيام في رمضان ، ومن خصوصيات هذا الشهر الكريم أيضاً نداوة الأصوات ، فأحلى القرآن تسمعه في حياتك تسمعه في ليالي رمضان .

وإليك أخي الحبيب بعض المنشطات لقيام رمضان أولها فوائد هذه العبادة .

فوائد صلاة التراويح :

(١) قيام رمضان من الإيمان ، ومغفرة لسالف الذنوب :

قال رسول الله ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(١)، قال الشيخ الألباني رحمه الله : هذا الترغيب وأمثاله بيان لفضل هذه العبادات ، بأنه لو كان على الإنسان ذنوب ؛ فإنها تغفر له بسبب هذه العبادات ، أما إذا لم يكن للإنسان ذنب ، يظهر هذا الفضل في رفع الدرجات كما في حق الأنبياء المعصومين من الذنوب .

(٢) استحقاق قائمته اسم الصديقين والشهداء :

وهذا فيض الكريم وجوده ، يسوقه ﷺ وفيه الغنم كل الغنم : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، وصليت الصلوات الخمس ، وأديت الزكاة ، وصمت رمضان وقمته ، فممن أنا ؟ ، قال رسول الله ﷺ: «من الصديقين والشهداء»^(٢) .

(٣) من قام مع إمامه كتب له قنوت ليلة :

فقد جاء في حديث أبي ذر قوله ﷺ: «إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام ليلة»^(٣) ، فاتق الله في عمرك ، وأقبل على صلاة التراويح يقبل الله عليك ، أن تخسب لك عند الله ليلة فكل ليالي العمر هدر وضياع لا قيمة لها إلا أن تقومها لله عز وجل ؛ فعندما يُحسب لك عند الله قيام ليلة واحتساب هذا الأجر عند الله عظيم ؛ فاصبر على إمامك حتى ينصرف ولا تستعجل فتخسر ليالتك .

(١) متفق عليه ، البخاري (٣٧) ، مسلم (٧٥٩) .

(٢) أخرجه ابن حبان (٣٤٣٨) ، وصححه الألباني (٩٩٣) في « صحيح الترغيب والترهيب » .

(٣) أخرجه أحمد (١٥٩/٥) ، وصححه الألباني (١٦١٥) في « صحيح الجامع » .

(٤) اختر لنفسك اسمًا عند الله :

قال رسول الله ﷺ : « من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كُتِبَ من القانتين ، ومن قام بألف آية كُتِبَ من المقنطرين »^(١) .

إذا علم المسلم اطلاع الله على حاله ، وقربه منه ، وذكر الله للعبد ، علم أن له اسمًا عند الله يعرف به عند الله سبحانه وتعالى ، قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل ليصدق ويتحرج الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإن الرجل ليكذب ويتحرج الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً »^(٢) ، وفي هذا الحديث الذي معنا أسماء الناس في الليل ، فاختار عملاً يكتب لك به اسمًا عند الله .

(٥) القيام شرف :

قال رسول الله ﷺ : « شرف المؤمن قيام الليل »^(٣) ، وسبحان الملك ! ، هذا سبيل يتشرف به الإنسان ليكون عند الله شريقاً ، وإن البحث عن هذه الصفة ، والانشغال بالوصول إليها ، والانتساب إلى هذا الاسم ؛ لواجب حتم على كل من يتغى الرفعة ؛ فهيا إلى قافلة الشرفاء ، وواظب على قيام الليل تكون من الشرفاء .

(٦) قافلة الصالحين :

قال رسول الله ﷺ : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم »^(٤) ، نعم .. من أراد أن ينضم إلى قافلة الصديقين والشهداء ثم انضاف إلى قافلة

(١) أخرجه أبو داود (١٣٩٨) ، وصححه الألباني (٦٤٣٩) في « صحيح الجامع » .

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٠٧) .

(٣) أخرجه الحاكم (٤/٣٦٠) ، وحسنه الألباني (٨٣١) في « السلسلة الصحيحة » .

(٤) أخرجه الترمذى (٣٥٤٩) ، وحسنه الألباني (٢٨١٤) في « صحيح الترمذى » .

الشرفاء؛ فليجعل قيام الليل دأبه لأنه دأبهم وعلامتهم، وكأنك تستشعر من كلمة الدأب المداومة والصبر والاجتهد في هذا العمل، فاجتهد فيه كجهدهم تكون منهم.

(٧) القيام شفاء وعافية :

قال رسول الله ﷺ: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، ومنهاة عن الإثم، ومطردة للداء عن الجسد»^(١)، سبحانه الله العظيم الذي من عرفه لم يدخل عليه بِنَفْسٍ من أنفاس حياته، فإنه نعم التعامل مع الكريم، إذا ضحيت لله بجزء من راحتك عوضك عن ذلك راحة أكثر وصحة أفضل، بل إنه سبحانه يجعل قيامك له وأنت تغالب شهوة النوم فتطرد ها، فيجعل الجزاء من جنس العمل، أن يطرد مقابل ذلك: الداء عن جسده، فإلى الباحثين عن الصحة، عليكم بقيام الليل فإن رضى الله وقبل؛ طرد الأمراض والأدواء عن أجسادكم.

(٨) عصمة من الذنوب :

مر معنا في الحديث السابق أن رسول الله ﷺ ذكر في مناقب قيام الليل أنه منهاة عن الإثم، نعم والله:

كيف لقلب ذاق حلاوة قيام الليل أن يصبح فيعصي ربه:

كيف لقلب استشعر في الليل وهو قائم رؤية الله له ومباهاته، به ثم يصبح فيعصي الله.

كيف لقلب بات ينادي ربها ويتلذذ بكلمات الله، ثم يصبح تاركاً طاعة به، إنها المكافأة.

(١) أخرجه الترمذى (٣٥٤٩)، وحسنه الألبانى (٢٨١٤) في «صحىح الترمذى».

كما قال الحسن : من أحسن في ليله كوفئ في نهاره ، ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله .

(٩) اللَّهُ يباهي بالقائمين :

قال رسول الله ﷺ : «إذا قام الرجل من الليل يصلي فغلبه عيناه فنام في سجوده ؛ فإن اللَّه يقول لملاكته : انظروا يا ملائكتي ، هذا عبدي روحه عندي وجلده بين يدي ، اكتبوا له قيامه ، واجعلوا نومه صدقة مني عليه»^(١) ، سبحان الملك الكريم ! ، اللَّه يباهي ملاكته بساجد نائم ، فما بالك بالمتيقظ المُقاوم ؟ .. هذا شرف لا يُقاوم .

(١٠) سبيل لمحبة اللَّه :

قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة يحبهم اللَّه ويستبشر بهم ويضحك إليهم» وذكر منهم «رجل عنده امرأة حسنة ، وفراش حسن ، ثم قام يصلي ، فيقول اللَّه عز وجل لملاكته : انظروا يا ملائكتي ، هذا عبدي ، عنده فراش حسن ، وزوجة حسنة ، فتركهما ، ثم قام يصلي يتملقني ، ويتلو آياتي ، ولو شاء رقد»^(٢) ، انظر إليها الحبيب المحب ، كيف أن كل ما تبذل له له قدر عند اللَّه ، ويقع عند اللَّه بموقع ، والشاهد : قوله سبحانه للملائكة : «ولو شاء رقد» ؛ فالله يحفظ لك جميل أنك غالب الرقود وأثرت القيام ؛ فأحبك ، واستبشر بك ، وضحك لك .

(١١) القيام نور الوجوه والقلوب :

قيل للحسن : ما بال القائمين أحسن الناس وجوها ؟ ، فقال : إنهم خلوا باللَّه في السحر فالبسهم من نوره .

(١) أخرجه ابن ماجه (١٣٤٤) ، وصححه الألباني (١١٠٥) في « صحيح ابن ماجه » .

(٢) أخرجه الحاكم (١/٧٧) ، وصححه الألباني (٣٤٧٨) في « صحيح الترغيب والترهيب » .

نعم نشهد ، وقد رأينا أن أهل القيام أحسن الناس وجوهاً ، إذا رأيتم ذكرت الله ، ورغمهم ظاهر ، وحلوتهم فائقة ، وملاحتهم بادية على سرائرهم . فاعلم يا أخي - هدانا الله وإياك إلى سبيله الأقوم - أن الناصح لنفسه لا تخرج عنه مواسم الطاعات عطلًا؛ لأن الأبرار ما نالوا البر إلا بالبر ، قال رسول الله ﷺ : «الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»^(١) .

فهلم يا باغي الخير إلى شهر يضاعف فيه الأجر للأعمال ، فنَصَبَ المجتهدين في خدمة مولاهم في هذا الشهر هو الراحة ، هبَّت على القلوب نفحة من نفحات نسميم القرب في رمضان ، وسعى سمسار الوعظ للمهجورين في الصلح ، ووصلت البشارة فيه للمنتقطعين بالوصل ، وللمذنبين بالعفو ، والمستوجبين النار بالعتق ، فلم يبق لل العاصي عذر .

كان رسول الله ﷺ يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزم ، ثم يقول : «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(٢) .

قال الخطابي : إيماناً واحتساباً : أي نية وعزم ، وهو أن يقومه على التصدق والرغبة في ثوابه ، طيبة به نفسه ، وقال البغوي : احتساباً : أي طلبًا لوجه الله .

ومن المعلوم أن قيام رمضان يسمى بصلاة التراويح ، قال الحافظ ابن حجر : التراويح جمع ترويحة ، وهي المرة الواحدة من الراحة كتسليمة من السلام ، سميت الصلاة في الجمعة في ليالي رمضان التراويح ؛ لأنهم أول ما اجتمعوا عليها كانوا يستريحون بين كل تسليمتين .

(١) أخرجه مسلم (٢٣٣) .

(٢) متفق عليه ، البخاري (٣٧) ، مسلم (٧٥٩) .

وقد أقر النبي ﷺ الجماعة فيها ، فقد خرج رسول الله ﷺ ذات ليلة في رمضان فرأى ناساً في ناحية المسجد يصلون ، فقال : ما يصنع هؤلاء ، قال قائل : يا رسول الله ، هؤلاء ناس ليس معهم قرآن ، أبي بن كعب يقرؤهم معه يصلون بصلاته ، فقال : « قد أحسنا ، أو قد أصابوا » ، ولم يكره ذلك لهم ^(١).

وقد صلّى النبي ﷺ التراويح ، فعن النعمان بن بشير قال : قمنا مع رسول الله ﷺ ليلة ثلاث وعشرين في شهر رمضان إلى ثلث الليل الأول ، ثم قمنا معه ليلة خمس وعشرين إلى نصف الليل ، ثم قام بنا ليلة سبع وعشرين حتى ظننا أن لا ندرك الفلاح ، قال : وكنا ندعوا السحور الفلاح .

وعن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يصلّي في رمضان ، فجئت فقمت إلى جنبه ، وجاء رجل آخر فقام أيضاً حتى كنا رهطاً ، فلما أحس النبي ﷺ أنا خلفه جعل يتجاوز في الصلاة ، ثم دخل رحله فصلّى صلاة لا يصلّيها عندنا ، قال : قلنا له حين أصبحنا : أفطنت لنا الليلة ؟ ، فقال : « نعم ، ذاك الذي حملني على الذي صنعت » ^(٢).

• إحياء عمر لسنة الجماعة في التراويح :

كان الناس يقوم كل واحد منهم رمضان في بيته منفرداً ، حتى اقضى صدر من خلافة عمر .

يقول عبد الرحمن القاري : خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسجد ، فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلّي الرجل لنفسه ، ويصلّي الرجل

(١) أخرجه البيهقي (٤٣٨٦) ، وحسنه الألباني (١) في « صلاة التراويح » .

(٢) أخرجه مسلم (١١٠٤) .

فيصلي بصلاته الرهط ، فقال عمر : إنني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاته قارئهم ، قال عمر : «نعمت البدعة هذه ، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون - يريد آخر الليل - وكان الناس يقومون أوله»^(١).

• فضل أداء التراويح جماعة :

عن أبي ذر رضي الله عنه قال : صمنا مع رسول الله ﷺ رمضان ، فلم يقم بنا شيئاً من الشهر حتى بقي سبع - أي سبع ليال - فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل ، فلما كانت السادسة لم يقم بنا ، فلما كانت الخامسة قام بنا حتى ذهب شطر الليل ، فقلت : يا رسول الله لو نفلتنا قيام هذه الليلة ، فقال : «إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام الليلة»^(٢) ، فلما كانت الرابعة لم يقم ، فلما كانت الثالثة جع أهله ونسائه والناس ، فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح ، قلت : وما الفلاح؟ ، قال : السحرور ، ثم لم يقم بنا بقية الشهر .

والشاهد من هذا الحديث قوله : من قام مع الإمام ، فإنه ظاهر الدلالة على فضيلة قيام رمضان مع الإمام .

قال صاحب «عون المعبد» : حصل له ثواب قيام ليلة تامة .

وقيل للإمام أحمد : يعجبك أن يصلي الرجل مع الناس في رمضان أو وحده؟ ، قال : يصلي مع الناس .

وقال : يعجبني أن يصلي مع الإمام ويوتر معه ، لحديث النبي «إذا قام مع الإمام ...» .

(١) أثر صحيح . الألباني (١٥) في «صلوة التراويح» .

(٢) أخرجه أحمد (١٥٩/٥) ، وصححه الألباني (١٦١٥) في «صحيح الجامع» .

• وبذلك يكون تطور التراويف في العصر النبوى :

أولاً : بدأت بالترغيب فيها دون أن يعزم عليهم .

ثانياً : انتقلت إلى السنة والندب مقتونه بفرضية الصيام .

ثالثاً : أديث بالفعل ، أداتها أوزاع من الناس .

رابعاً : تسلل الناس إلى مصلاه عليه السلام فائتموا به عليه السلام ، وهو لا يشعر بهم ، ثم أقرهم على ذلك وهو لا يقر على باطل .

خامساً : تقريره عليه السلام لمن يصلى بالناس سواء في المسجد أو في البيت .

سادساً : صلاته هو عليه السلام بالفعل بأهل بيته .

سابعاً : صلاته هو عليه السلام بأهل بيته والناس عدة ليال متفرقة .

عدد ركعات قيام رمضان :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «إن نفس قيام رمضان لم يوقت فيه النبي عليه السلام عدداً معيناً؛ بل كان هو عليه السلام لا يزيد على ثلاث عشرة ركعة؛ لكن كان يطيل الركعات، فلما جمعهم عمر على أبي بن كعب كان يصلى بهم عشرين ركعة، ثم يوتر بثلاث، وكان يخفف القراءة بقدر ما زاد من عدد الركعات؛ لأن ذلك أخف على المأمومين من تطويل الركعة الواحدة.

والأفضل يختلف باختلاف أحوال المصليين ؛ فإن كان فيهم احتمال لطول القيام بعشرين ركعات وثلاث بعدها كما كان النبي عليه السلام يصلى لنفسه فهو الأفضل، وإن كانوا لا يحتملونه فالقيام بعشرين أفضل، وهو الذي يعمل به أكثر المسلمين، فإنه وسط بين العشرين وبين الأربعين، ومن ظن أن قيام رمضان فيه عدد مؤقت عن النبي عليه السلام لا يزاد منه ولا ينقص فقد أخطأ.

وكذلك لم يذكر أنه ﴿جَعَلَهُ حَدَّ مَقْدَارِ الْقِرَاءَةِ فِي كُلِّ رُكْعَةٍ﴾؛ بل يختلف ذلك بحسب نشاط القوم، فقد أمر عمر بن الخطاب أبي بن كعب وتميم الداري أن يقوموا بالناس في رمضان، وقال قائلهم: «فكان القارئ يقرأ بالمئين، حتى كنا نعتمد على العصبي من طول القيام، وما كنا نصرف إلا في بزوغ الفجر».

وقال أبو داود: سئل أَحْمَدُ عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَرْتَيْنَ فِي رَمَضَانَ يَوْمَ النَّاسِ؟، قال: هَذَا عِنْدِي عَلَى قَدْرِ نَشاطِ الْقَوْمِ، وَإِنْ فِيهِمْ عَمَالٌ. اهْ كَلَامُ ابْنِ تَيْمِيَةَ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ.

أخي الحبيب: لا تنشغل بمناقشة عدد ركعات القيام مع الآخرين ولا تجادل وتضيع رمضان، عليك بالعمل: فاجتهد في أن تقوم أكثر الليل ولا تضيع وقتك مع البطالين.

ويجوز للنساء حضور الجماعة في قيام رمضان، إذا تأدبوا بآداب الخروج الشرعية من الحجاب، وعدم التطيب، وعدم رفع أصواتهن أو الاختلاط بالرجال في المواصلات والشوارع ونحو ذلك، وغض البصر، وعدم البقاء لوقت متأخر خارج المنزل دون محرم، وإلا فصلاتهن في بيتهن أفضل، ويمكن لرجل من أهل البيت أن يؤمهن للصلاة، فعن جابر قال: جاء أبي ابن كعب في رمضان فقال: يا رسول الله كان مني الليلة شيء، قال: «ما ذاك يا أبي؟»، قلت: نساء داري قلن: إنا لا نقرأ القرآن، فنصلي خلفك بصلاتك، فصليت بين ثمان ركعات والوتر، فسكت عنه وكان شبيه الرضا^(١).

ويمكن أيضاً أن تؤم المرأة النساء في قيام رمضان، عن أم ورقة الأنصارية:

(١) أخرجه ابن حبان (٢٥٤)، وحسنه الألباني (٧٩) في «صلوة التراويف».

أن رسول الله ﷺ أمرها أن تؤم أهل دارها ، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويسميها الشهيدة ، وكان لها مؤذن .

وإذا لم يكن الإمام قارئاً ، جاز له أن يصلّي بالناس ويقرأ من المصحف ، فقد كانت السيدة عائشة تأمر مولى لها يومها في شهر رمضان في المصحف ، وعدة من أصحاب النبي ﷺ .

قال أبو داود : سمعت أَحْمَدَ قَيْلَ لِهِ : زُعْمَ الزَّبِيرِيَّ أَنَّهُ إِذَا خَتَمُوا الْقُرْآنَ رفعوا أيديهم ودعوا في الصلاة ؟ ، فقال : هكذا رأيتم بمكة يفعلون ، وسفيان يومئذ حي ، يعني في قيام رمضان ، وكذلك الاستراحة بعد كل أربع ركعات بجلسة يسيرة فعله السلف ، ولا يدعوا إذا استراح .

أخي .. وحبيبي :

الصلاحة مكيال .. فمن وَفَىٰ وُفِيَ لَهُ ، ومن طَفَفَ ، فقد علمتم ما قيل في المطفيين ، أما يستحيي من يستوفى مكيال شهوته ، ويطفف في مكيال قيامه وصلاته ؟ ! ، ألا بعدها لمدين .

إذا كان الويل لمن طفف في مكيال الدنيا ، فكيف حال من طفف في مكيال الدين ؟ ، كيف حال المسيئين في عبادتهم ؟ ، ارحموا من حسناته كلها سيئات ، وطاعاته كلها غفلات .

كيف لا تخربى للمؤمن على هذه الأيام دموع ، وهو لا يدرى هل بقي له من عمره رجوع ، متى يصلح من لا يصلح في رمضان ؟
من رد في ليلة القدر متى يصلح ؟ ، كل ما لا يثمر من الأشجار في أوان الشمار فإنه يقطع .

شهر رمضان شهر المصابيح ، شهر التهجد والتراويف ، واهما لأوقاته من

زواهر ما أشرفها ، ولساعاته التي كالجواهر ما أظرفها ، أشرقت لياليها بصلة التراويف ، وأنارت أيامها بالصيام والتسبيح ، جلئتها الإخلاص والصدق ، وثمرتها الخلاص والعتق .

قطويٍّ لعبد صام نهاره ، وقام أنسحاره .. يا حُسنه ومصابيح النجوم تزهـر ، والناس قد ناموا وهو في الخير يسهر ، غسل وجهه من ماء عينه ، وعين العين أظهر وأظهر .

إذا ما الليلُ أظلمَ .. كابدوه :

حبيبي في الله ..

لعل أطيب أوقات المناجاة أن تخلو بربك والناس نiam ، والخليلون هجع ، وقد سكن الكون كلـه ، وأرخى الليل سدولـه ، وغابت نجومـه ، فتستحضر قلبـك ، وتتذكرة ربـك ، وتمثل ضعفك وعظمـة مولـاك ، فتأنس بحضورـه ، ويطمئن قلبـك بذكرـه ، وتفرح بفضلـه ورحمـته ، وتبكيـ من خشـيته ، وتشعر بمراقبـته ، وتلحـ في الدعـاء ، وتحجـ في الاستغـفار ، وتفضـي بحوائـجـك لمن لا يعجزـه شيءـ ، ولا يشغلـه عن شيءـ شيءـ ، إنـما أمرـه إذا أرادـ شيئاـ أن يقولـ لهـ : كـنـ ، فـيكونـ ، وتسـألهـ لـدىـكـ وآخـرتـكـ ، وجـهـادـكـ ودـعـوتـكـ ، وأـمـانـيكـ ووطـنـكـ وعـشـيرـتكـ ، ونـفـسـكـ وإـخـوانـكـ .

الليل سـكونـ وهـدوءـ ، وفي الهدـوءـ تركـيزـ وصفـاءـ والنـاسـ نـiamـ ، وفي ذلك بعدـ عنـ الـريـاءـ ، اللـيلـ خـلـوةـ معـ اللهـ ، وفيـ الخـلـوةـ قـرـبـ وأـنـسـ وـمـنـاجـةـ .

قالـ رسولـ اللهـ ﷺـ : «أـفـضلـ الصـيـامـ بـعـدـ رـمـضـانـ شـهـرـ اللهـ المـحـرمـ ، وأـفـضلـ الصـلاـةـ بـعـدـ الفـريـضـةـ صـلاـةـ اللـيلـ»^(١)ـ ، وإنـماـ كانـتـ صـلاـةـ اللـيلـ أـفـضلـ ؛ لأنـ

(١) أـخـرـجهـ مـسـلمـ (١١٦٣ـ)ـ .

القلب فيها يكون أكثر إقبالاً على الله ، وأبعد عن الشواغل ، ولما كان وقت الليل والتهجد فيه أفضل أوقات التطوع بالصلاه ، فيها يكون العبد قريباً من ربه ، فيها تفتح أبواب السماء ويستجاب فيها الدعاء ، فينبغي عليك أن تواظب عليها خلال شهر رمضان .

قال الأزدي : سمعت **الخواص** يقول : دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين .

ولكن لا ينهض إلى قيام الليل إلا أهل المجاهدة والمعالبة وأولوا العزم ، فالنهوض إلى الله في هذه الساعات أشد وطناً على النفس وأنقل من النهوض إليه بغيرها ؛ ولذا كان قيام الليل من مقاييس العزيمة الصادقة وسمات النفوس الكبيرة ، فعليها أن تُدخل هذا في حسابنا ولا نغفل عنه ؛ حتى لا تخدعك نفسك وتضيئ عليك عملاً من أفضل الأعمال التي يتقرب بها إلى الله عز وجل في هذا الشهر وغيره ، وإنما تفاوت القوم بالهمم لا بالصور ، ومن تلمح حلاوة العاقبة هان عليه مرارة الصبر .

قال رسول الله ﷺ : «أقرب ما يكون العبد من رب في جوف الليل ، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن»^(١) .

وصف المتهدجين ولهم

في وصف ليلة واحدة من ليالي أهل القرب والصفاء أهل السبق والبقاء **أهل الله المخلصين** :

يقول ابن القيم - عليه رحمة الله : « أما السابقون المقربون فنستغفر الله

(١) أخرجه الترمذى (٣٥٧٩) ، وصححه الألبانى (٢٠٥٣) في « صحيح الجامع » .

الذي لا إله إلا هو ، أو لا من وصف حالهم وعدم الاتصاف به ، بل ما شمنا له رائحة ، ولكن محبة القوم تحمل على تعرف منزلتهم والعلم بها ، وإن كانت النفوس متخلفة منقطعة عن اللحاق بهم ، فاسمع الآن وصف القوم وأحضر ذهنك لشأنهم العجيب وخطرهم الجليل ، فإن وجدت من نفسك حركة وهمة إلى التشبه بهم فاحمد الله وادخل فالطريق واضح والباب مفتوح .

فبأ القوم عجيب ، وأمرهم خفي إلا على من له مشاركة مع القوم ، فإنه يطلع على ما يريه إياه القدر المشترك ، وجملة أمرهم أنهم قوم قد امتلأت قلوبهم من معرفة الله ، وغمرت بمحبته وخشيتها وإجلاله ومراقبته ، فسرت المحبة في أجزاءهم فلم يبق فيها عرق ولا مفصل إلا وقد دخله الحب .

فإذا وضع أحدهم جنبه على مضجعه صعدت أنفاسه إلى إلهه ومولاه ، واجتمع همه عليه ، متذكرة صفاته العلي وأسمائه الحسنى ، مشاهدا له في أسمائه ، وقد تجلت على قلبه أنوارها ، فانصبغ قلبه بمعرفته ومحبته ، فبات جسمه على فراشه يتتجافي عن مضجعه ، وقلبه قد أوى إلى مولاه وحبيبه فأواه إليه ، وأسجده بين يديه خاضعا خاشعا ذليلا منكسرًا من كل جهة من جهاته ، فيا لها سجدة ما أشرفها من سجدة ، لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء .

وقيل لبعض السلف : أيسجد القلب بين يدي ربه؟ ، قال : إِيَّاَنَّا ، بسجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم القيمة ، فشتان بين قلب يبيت عند ربه قد قطع في سفره إليه يباء الأكون ، وخرق حُجُب الطبيعة ، ولم يقف عند رسم ، ولا سكن إلى علم ، حتى دخل على ربه في داره ، فشاهد عز سلطانه وعظمة جلاله وعلو شأنه وبهاء كماله . فإذا صارت صفات ربه وأسماؤه مشهدًا لقلبه أنسنة ذكر غيره ، وشغلته عن حب من سواه .

وبالجملة : فيبقى قلب العبد - الذي هذا شأنه - عرشا للممثل الأعلى - أي

عرشاً لمعرفة محبوبه ومحبته . وناهيك بقلب هذا شأنه ، فياله من قلب من ربه ما أدناه !!

فهؤلاء قلوبهم قد قطعت الأكوان ، وسجدت تحت العرش ، وأبدانهم في فرشهم كما قال أبو الدرداء : «إذا نام العبد المؤمن عُرِجَ بروحه حتى تسجد تحت العرش ، فإن كان طاهراً أذن لها في السجود ، وإن كان جُنْبًا لم يؤذن لها بالسجود» وهذا - والله أعلم - هو السر الذي لأجله أمر النبي ﷺ الجنب إذا أراد النوم أن يتوضأ .

فإذا استيقظ هذا القلب من منامه ، صعد إلى الله بهمته وحبه وأشواقه ، مشتاقاً إليه ، طالباً له ، محتاجاً له ، عاكفاً عليه ، فحاله كحال المحب الذي غاب عنه محبوبه الذي لا غنى له عنه ، ولا بد له منه ، وضرورته إليه أعظم من ضرورته إلى التّقس والطعام والشراب ، فإذا نام غاب عنه ، فإذا استيقظ عاد إلى الحنين إليه وإلى الشوق الشديد والحب المقلق ، فحببيه آخر خطراته عند منامه وأولها عند استيقاظه كما قال بعض المحبين لمحبوبه :

وآخر شيء أنت في كل هجنة وأول شيء أنت عند هبوبه
فأف لقلب لا يصلح لهذا ولا يصدق به ، لقد صُرف عنه خير الدنيا
والآخرة .

فإذا استيقظ أحدهم ، وقد بدر إلى قلبه هذا الشأن ، فأول ما يجري على لسانه ذكر محبوبه والتوجه إليه ، واستعطافه والتملق بين يديه ، والاستعانة به أن لا يخلُّ بينه وبين نفسه وألا يكله إليها فيكله إلى ضعف وعجز وذنب وخطيئة ، بل يكلاه كلاء الوليد الذي لا يملك ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياء ولا نشوراً .

فأول ما يبدأ به : «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور» متذمراً

لمعناها ؛ من ذكر نعمة الله عليه بأن أحياه بعد نومه الذي هو أخو الموت ، وأعاده إلى حاله سوياً سليماً محفوظاً مما لا يعلمه ولا يخطر بباله من المؤذيات والمهلكات ، التي هو عرض وهدف لسهامه كلها ، التي تقصده بالهلاك أو الأذى ، والتي من بعضها شياطين الإنس والجن . فمن الذي كلاه وحرسه وقد غاب عنه حسه وعلمه وسمعه وبصره ، قال سبحانه : «**فَلَمَنْ يَكُلُوكُمْ بِإِلَيْلٍ وَالنَّهَارَ مِنَ الرَّجْنَنَ بَلْ هُمْ عَنِ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُغَرِّضُونَ**» [الأبياء : ٤٢] فإذا تصور العبد ذلك فقال : «الحمد لله» كان حمده أبلغ وأكمل من حمد الغافل عن ذلك .

ثم تفكّر في أن الذي أعاده بعد هذه الإمامة قادر على أن يعيده بعد موته الكبير ، ثم يقول : «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله» ، ثم يدعوه يتضرع ، ثم يقوم إلى الوضوء بقلبه حاضر مستصحِّب لما فيه ، ثم يصلِّي ما كتب الله له صلاة محِبٌ ناصِح لمحبوبه ، متذلِّل منكسر بين يديه ، لا صلاة مُدلى بها عليه ، يرى من أعظم نعم محبوبه عليه أن أقامه وأنام غيره ، واستزاره وطرد غيره ، وأهله وحرم غيره ، فهو يزداد بذلك محبة إلى محبته ، ويرى أن قرءاً عينه ، وحياة قلبه ، وجنة روحه ونعمته ولذته وسروره في تلك الصلاة ، فهو يتمنى طول ليته ، ويهتم بما قبله بطوع الفجر كما يتمنى المحب الفائز بوصل محبوبه ذلك ، فهو كما قيل :

يَوْمَ أَنْ ظَلَامَ اللَّيْلِ دَامَ لَهُ وَزِينَدَ فِيهِ سَوَادُ الْقَلْبِ وَالْبَصَرِ

فهو يتملق فيها مولاه تملق المحب لمحبوبه العزيز الرحيم ، ويناجيه بكلامه معطياً لكل آية حظها من العبودية .

١ - فتجذب قلبه وروحه إليه آيات المحبة والوداد ، والآيات التي فيها

الأسماء والصفات ، والآيات التي تعرف بها إلى عباده بالآئه وإنعامه عليهم ، وإحسانه إليهم .

٢- وتطيّب له السير آيات الرجاء والرحمة وسعة البر والمغفرة ، فتكون له بمنزلة الحادي الذي يطيب له السير ويروننه .

٣- وتقلقه آيات الخوف والعدل والانتقام وإحلال غضبه بالمعرضين عنه العادلين به غيره ، المائلين إلى سواه ، فيجمعه عليه ويعنده أن يشد قلبه عنه .

فتأمل هذه الثلاثة وتفقه فيها ، والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وبالجملة : فيشاهد المتكلم سبحانه وقد تجلّى في كلامه ، ويعطي كل آية حظها من عبودية قلبه الخاصة الزائدة على مجرد تلاوتها والتصديق بأنها كلام الله ، بل الزائدة على نفس فهمها ومعرفة المراد منها .

ثم شأن آخر لو فطن له العبد لعلم أنه كان قبل يلعب ، كما قيل :

وكنت أرى أن قد تناهى بي الهوى إلى غاية ما بعدها لي مذهب
فلما تلاقينا وعاينت حسنها تيقنت أني إنما كنت ألعب

فوأسفاه وواحسرتاه كيف ينقضى الزمان وينفذ العمر والقلب محجوب ما شم لهذا رائحة ، وخرج من الدنيا كما دخل إليها وما ذاق أطيب ما فيها ، بل عاش فيها عيش البهائم ، وانتقل منها انتقال المفاليس ، فكانت حياته عجزاً وموته كمداً ، ومعاده حسرة وأسفاً .

فإذا صلي ما كتب الله له جلس مطرقاً بين يدي ربه هيبة له وإنجلالاً ،
واستغفاره استغفار من قد تيقن أنه هالك إن لم يغفر له ويرحمه ، فإذا قضى من الاستغفار وطراً وكان عليه بعد ليل ، اضطجع على شقه الأيمن مُجمماً لنفسه مُريحاً لها ، مقوياً لها على أداء وظيفة الفرض ؟ فيستقبله نشيطاً بجهده وهمته

كأنه لم يزل نائما طول ليلته لم ي عمل شيئا^(١). انتهى كلام طبيب القلوب وريحانة المتهجدin ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ.

بكاؤهم . . وبحر الدُّموع :

ولا يُذكَر الليل إلا ويقارنه ذكر الدُّموع ، والبكاء من أعظم ما تقرب به العابدون ، واسترحم به الخائفون ، ومن أرق من المتهجدin أفندة حين اتخذوا من الدمع رسولهم لربهم ، فالدمع ألح شفائعهم ، فقد كاتبوا الله بدموعهم وهم يتظرون الجواب .

قال رسول الله ﷺ : «عينان لا تمسهما النار أبداً : عين بكث من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله »^(٢) ، قيل لصفوان بن محرز عند طول بكائه وتذكر أحزاته : إن ذلك يورث العمى ، فقال : ذلك شهادة لها فبكى حتى عمى .

وقال عبد الرحمن بن مهدي : ما عاشرت رجلاً أرق قلباً من سفيان الثوري ، وكنت أرمقه الليلة بعد الليلة ، فما كان ينام إلا أول الليل ، ثم يتفضض مرعوباً ينادي : النار .. النار ، شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات ، ثم يتوضأ ويقول على إثر وضوئه : اللهم إنك عالم ب حاجتي غير معلم ، وما أطلب إلا فكاك ربتي من النار ، إلهي ، إن الجزء قد أرقني ، وذلك من نعمك السابحة علي ، إلهي ، لو كان لي عذر في التخلص ، ما أقمت مع الناس طرفة عين ، ثم يُقْبِل على صلاته ، وكان البكاء يمنعه من القراءة حتى إن كنت لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكائه .

(١) طريق الهجرتين (٢٠٥-٢١١).

(٢) أخرجه أبو يعلى (٣٠٧/٧) ، وصححه الألباني (٤١١٣) في « صحيح الجامع » .

أما الحسن البصري شيخ البكائين الذي وصفوه بأنه إذا بكى فكأن النار لم تخلق إلا له ، لما قيل له : ما يبكيك ؟ ، قال : أخاف أن يطرحني غدا في النار ولا يبالي .

وفي رواية : وما يؤمني أن يكون قد اطلع على بعض ذنوبه فقال اذهب فلا غفرت لك .

إذا قمت .. أيقظ أهلك :

إن عباد الرحمن لا يكفيهم أنهم يبيتون لربهم سجداً وقياماً فحسب ، بل ويرجون ذرية تسير على نهجهم ، وأن تكون لهم أزواج من نوعيتهم فنقر بهم أعينهم ، وتطمئن لهم قلوبهم . قال سبحانه وتعالى : «**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَأَبْغَنْتُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ بِإِيمَانِ الْفَقَاتِ إِيمَانَ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمَا عَلَيْهِمْ مِنْ شَفِيعٍ كُلُّ أُمَّرِيْمٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ**» [الطور: ٢١]

وتأمل معي قول الرسول الكريم ﷺ : «من استيقظ من الليل وأيقظ أهله فصليا ركعتين جيئا ، كتبها من الذاكرين الله كثيرا والذكريات»^(١) .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «رحم الله رجالاً قام من الليل فصلى ، وأيقظ امرأته ، فإن أبنت نضج في وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصللت وأيقظت زوجها ، فإن أبي نضحت في وجهه الماء»^(٢) ، وهذا النضح من باب المداعبة بين الرجل وزوجته ، فهما متعاونان على طاعة الله تعالى ، ولا يحب أحدهما أن ينفرد بالخير دون الآخر .

(١) أخرجه أبو داود (١٤٥١) ، وصححه الألباني (١٢٨٨) في « صحيح أبي داود ».

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٠/٢) ، وصححه الألباني (٣٤٩٤) في « صحيح الجامع ».

لِمَ كُلَّ هَذَا الْأَهْتِمَامُ بِاللَّيلِ؟لخمسة أمور :

الأول : أن الإنسان عندما يقوم الليل يكون هذا أخلص لربه جل وعلا؛ لأنه يكون في وقت سر لا يطلع عليه أحد.

الثاني : أنه أشق على النفس ولذلك يكون الأجر أكثر، فالأجر على قدر المشقة.

الثالث : مع خلو البال من مشاغل الحياة وسكنى الليل والفراغ من الدنيا والكد فيها يكون القلب أكثر مواطأة وموافقة للسان في الذكر.

الرابع : أن الليل موطن لتنزل الرحمات ولنزول رب الأرض والسموات، فعظمت العبادة فيه.

الخامس : أن قيام الليل عبادة جامعة لطهارة القلب.

وقد قال قتادة : «كان يقال : سهر الليل منافق» يعني في قيام الليل.

ما يعين على التهجد :الأسباب الظاهرة :

(١) قلة الطعام وعدم الإكثار منه :

فكمًا قلت لك سابقاً - أخي الحبيب - حاول أن تقلل من كمية الطعام، فقلة الطعام سحاب، وإذا قل الأكل مطرّ القلب الحكمة، فالواجب على الناصح لنفسه ألا يكثر الأكل، فيكثر الشرب، فيغليبه النوم، ويثقل عليه القيام، أما يربّك حديث رسول الله ﷺ : «أقصر من جُشائك؛ فإن أكثر الناس شبئاً في الدنيا أكثرهم جوعاً في الآخرة»^(١).

(١) أخرجه الحاكم (٤/١٣٥)، وحسنه الألباني (١١٧٩) في «صحيح الجامع».

رأى معقل بن حبيب قوماً يأكلون كثيراً فقال : ما نرى أصحابنا يريدون يصلون الليلة .

وقال وهب بن منبه : ليس منبني آدم أحب إلى شيطانه من الأكول النوام .

وقال أبو سليمان الداراني : من شبع دخلت عليه ست آفات : فقد حلاوة المناجاة ، وتعذر عليه حفظ الحكمة ، وحرمان الشفقة على الخلق ، وثقل العبادة ، وزيادة الشهوات ، وإن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد ، والشباعون يدورون حول المزابل .

(٢) الاقتصاد في الكد نهاراً :

لا تتعب نفسك بالنهار في الأعمال التي تعيها بها الجوارح ، وتضعف بها الأعصاب ، فإن ذلك مجبلة للنوم ، وعليك بالقصد في هذه الأعمال ، وأن تتجنب فضول الكلام ، وفضول المخالطة التي تشتبث القلب .

(٣) الاستعاة بالقليولة نهاراً :

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**قِيلوا فِإِن الشَّيَاطِين لَا تَقِيل**»^(١) .

(٤) ترك المعاصي :

لا تختبب الأوزار بالنهار فتفسיד عليك صيامك ، وتفسسي قلبك ، وتحول بينك وبين قيام الليل .

قال رجل للحسن البصري : يا أبا سعيد ، إني أبیت معافی ، وأحب قیام اللیل ، وأعد طهوري ؟ فما بالی لا أقوم ؟ ، فقال : ذنوبك قیدتك .

(١) أخرجه الطبراني (١٣/١) في «الأوسط» ، وحسنه الألباني (١٦٤٧) في «السلسلة الصحيحة» .

وقال الثوري : حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته ، قيل : وما هو ؟ ، قال : رأيت رجلاً يبكي فقلت في نفسي : هذا مراء .. رحهم الله قلت ذنوبهم فعلموا من أين أتوا ، ونحن كثرت ذنوبنا فلم ندر من أين أتينا .

وقال الفضيل بن عياض : إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار ؛ فاعلم أنك محروم مكبل كبتلك خطيئتك .

(٥) طيب المطعم :

قال بعض العلماء : إذا صمت يا مسكين ، فانظر عند من تفترط ، وعلى أي شيء تفترط ، فإن العبد ليأكل أكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود إلى حالته الأولى ، فالذنوب كلها تورث قساوة القلب ، وتنبع من قيام الليل ، وأخصه بالتأثير تناول الحرام .

ولذلك قال بعضهم : كم من أكلة منعت قيام ليلة ، وإن العبد ليأكل أكلة فيحرم قيام الليل سنة .

(٦) عدم المبالغة في حشو الفراش :

فإن مما يعين على قيام الليل عدم المبالغة في حشو الفراش ؛ لأنه سبب لكثرة النوم والغفلة ، ومجلبة للكسيل والدعة ، ولقد كان فراش رسول الله ﷺ من الحصير الذي خط في جنبه ، وكانت وسادته التي ينام عليها بالليل من أدم حشوها ليف .

فلا تتدثر بالبطاطين ، وتضع المدفأة إلى جوارك ، على سرير وثير مريح ، فأنت بذلك تستعد لنوم طويل لن تستطيع الاستيقاظ منه أبداً ، تعمد أن يكون نومك غير مريح حتى تستطيع القيام بسهولة .

(٧) النوم على الجانب الأيمن ، والوضوء والتتسوک قبل النوم وأذكار النوم هذه سنة النبي ﷺ والأحاديث فيها محفوظة مشهورة فاعمل ولا تكسل .

الأسباب الباطنة :

(١) الإخلاص :

من صفا صفي له ، ومن كدر كدر عليه ، وإنما يكال للعبد كما كال .

إذا اطلع الخير على ما في الضمير فلم يجد غير الخير أقامك بين يديه في الدياجي ، فإن قيامك في الليل علامة من علامات المحبة لله ، وهي عبادة عنوانها وتجاهها الإخلاص .

يا أخي .. كم من سراج قد أطفأته الريح ، وكم من عبادة أفسدها العجب ، وساعة يزري العبد فيها على نفسه خير له من عبادة يُدْلِي فيها بعمله ، وأضر الطاعات على العبد ما أنسنته مساوته وذُكره حسناته .

(٢) يقينك أن الكبير المتعال هو الذي يدعوك للقيام :

إنها دعوة من السماء .. ويكتفى أنها من الله لتلبى وتتنفيذ ، كفاك جزاء على الطاعة أن رضيك لها أهلا .. انظر إلى حديث رسول الله ﷺ : « يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ ، من يسألني فأعطيه ؟ ، من يستغفرني فأغفر له » ^(١) .. قف بوادي الذل .. وقل في الدياجي : يا أيها العزيز .. مسنا وأهلانا الضر ..

(٣) نعم الرجل إن كان يقوم من الليل :

قال رسول الله ﷺ : « نعم الرجل عبد الله إن كان يقوم من الليل » ^(٢) ، فمن كان يصلی من الليل يوصف بكونه نعم الرجل ، وهذه شهادة غالبة عالية من الحبيب محمد ﷺ ، وقد ساق إليك عشرات الأحاديث في فضائل المتهجدين ، فكيف تضيع على نفسك أن تكون منهم !!

(١) أخرجه البيهقي ، وصححه الألباني (٨٠٢١) في « صحيح الجامع » .

(٢) أخرجه أحمد ، وصححه الألباني (٦٧٧١) في « صحيح الجامع » .

(٤) يقينك أنك بعين الله :

الله يسمع ويرى صلاتك بالليل .. هان سهر الحراس لما سمعوا أن أصواتهم بسمع الملك ، قال سبحانه تعالى : ﴿الَّذِي يَرَنِكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلِبُكَ فِي أَسْتَدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢١٩].

(٥) نبيك قَالَ قام ، وأنت تنام !!

كان يَقُولُ يقوم الليل حتى تفطر قدماه ، وكان لا يترك القيام وهو مريض ولا في سفر ، وأنه يَقُولُ ما ترك القيام في وقت الجهاد ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فكيف بك وقد ضج الليل من نومك وضجت الأرض من معاصيك .

(٦) وضع الجنة ثُبَّت عينيك :

ويقينك بأن التهجد يورثك أعلى الجنان .. وتفكيرك فيما أعد الله للمتهجدين في الغرف من نعيم الجنة .. ووقفك طويلاً مع أخبار المتهجدين في ليتهم ونومهم مع الحور العين .

(٧) وضع النار وعذابها وأغلالها وأنكالها نصب عينيك أيضاً :

فمن سهر هنا في طاعة الله متهجداً باكيًا مناجيًا ؛ لا يسهر في النار مع الضريع والزقوم والغسلين ، وسهر الليل بالقيام أهون من مقطعات الحديد وشرب الصديد .

(٨) النوم على نية القيام للتهجد .

(٩) سؤال المولى عز وجل ودعاؤه أن يمن عليك بالقيام .

(١٠) علمك بمدى اجتهد الصحابة الكرام في القيام .

(١١) معرفة مدى اجتهد نساء السلف في القيام :

أما لك بالرجال أسوة؟!!.. أتسبك وأنت رجل نسوة؟!!

(١٢) الشيطان يمنعك من القيام ، أتطيعه؟!!

(١٣) دوام محاسبة النفس :

وتوييغها على قيام الليل إن فرطت فيه .

(١٤) النبي ﷺ كان يتفقد أصحابه ويوقظهم للقيام .

(١٥) علمك بيقاء السلف وتحسرهم على فوات القيام .

(١٦) اتهام النفس :

بالتقصير في القيام ، وقولك لها : قومي يا مأوى كل سوء ، فلأنك أحق بالضرب من شر الدواب ، أيظن أصحاب محمد أن يستأثروا به دوننا .. كان الرجل من السلف لا يأتي فراشه إلا زحفا ، ومع هذا يعاتب نفسه على التقصير في حق ربه .

(١٧) معاقبة النفس :

على ترك القيام ، ومنعها من لذاتها أياما ، والتصدق بالمال ، نام الصحابي تميم الداري ليلة فلم يقم للتهجد ، فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع .

(١٨) الزهد في الدنيا :

فمن زهد في الدنيا وتقلل منها ، وصاحب الدنيا بيدنه صارت روحه معلقة بالملأ الأعلى ، وعلق قلبه بالأخرة ، صفى وقه بمناجاة ربه في القيام ، واتخذ القرآن دثاراً وشعاراً ، ومن عرف قيمة الدنيا وقلة المقام بها ، أمات فيها الهوى طليباً لحياة الأبد ، فاستيقظ من نوم الغفلة واسترجع بالقيام ما انتهيه العدو منه في زمن البطالة ، ومن لم تبك الدنيا عليه ، لم تضحك الآخرة إليه .

(١٩) علمك بأن الحيوانات تذكر ربه ، وأنت نائم !!

لماذا تسبح الحيوانات ربه في السحر؟ وهي التي لم تقرف ذنباً ولم ترتكب جنائية ، وأنت في نومك وغطيطك !!، وتحتجد الديوك في عبادة الله وأنت في لعبك وتفريطك .. أما تستحي !!

(٢٠) كثرة ذكر الموت :

كان النبي ﷺ إذا ذهب ثلث الليل قام فقال : « يا أيها الناس ، اذكروا الله ، جاءت الراجهفة ، من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالبة ، ألا إن سلعة الله الجنة ، جاءت الراجهفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه » ^(١) .

(٢١) قراءة تراجم المتهجدين والعيش معهم :

والتربيـة بالقدوة خـير وسـيلة تعـين عـلـى الـقـيـام ، والـحـكاـيات عن الصـالـحـين المـتـهـجـدـين وكـيف أـنـهـم ما كانـوا يـرـيدـون العـيش فـي الدـنـيـا إـلـا لـلتـهـجـد ..

لما أتى معاذ بن جبل الموت قال : مرحباً بالموت مرحبًا ، زائر مُغْبَّ وحيبٌ جاء على فاقه لا أفلح من ندم ، اللهم ، إني كنتُ أخافك وأنا اليوم أرجوك ، اللهم ، إنك تعلم أنني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لغرس الأشجار ، ولا لكري الأنهر ، ولا لجني الشمار؛ ولكن لظماً الهاواجر ، ومكابدة الساعات ، ومزاحمة العلماء بالرُّكُب في حلقة العلم » .

هذه الحكايات جند من جنود الله يثبت الله بها قلوب من ي يريدون سلوك طريق التهجد ، فيمقـتـ العـبدـ نـفـسـهـ ، وـهـوـ يـرـىـ آـنـاـسـاـ مـصـيرـهـ وـمـصـيرـهـ إـلـىـ اللهـ واحدـ ، وـمـعـ هـذـاـ سـهـرـتـ عـيـونـهـ وـنـامـتـ عـيـنهـ !

(١) أخرجه الحاكم (٤/٣٤٣) ، وحسنه الألباني (٩٥٤) في «السلسلة الصحيحة» .

ما ذاقت أعينهم غمضاً وهو ينام وله غطيط ! بدوا تحت ستار الليل وهو لاعب ! خافوا وهم قد نصبوا أقدامهم حتى تورمت ومالوا في الأسحار إلى الاستغفار وهو الآمن الغافل النائم ! فإذا أراد أن يلحق بالمتهدجين السادة .. فليترك مخاللة الفراش والوسادة ..

وأما الميسرات الباطنة لقيام الليل فأربعة أمور :

الأول : سلامة القلب عن الحقد على المسلمين ، وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا .

الثاني : خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل ، فإنه إذا تفكك أحوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره .

الثالث : أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأحاديث والآثار ، حتى يستحكم به رجاؤه فيهيجه الشوق لطلب المزيد .

الرابع : وهو أشرف البواعث : حب الله وقوه الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج ربه وهو سبحانه معه مطلع عليه .

آداب القيام :

١ - الإخلاص وترك العجب :

قال رسول الله ﷺ : « صلاة الرجل تطوعاً حيث لا يراه الناس تعدل صلاته على أعين الناس خمساً وعشرين »^(١) ، وقد كان ﷺ ينام السحر الأعلى ليذهب النوم بصفة القيام وهو أبعد الناس عن الرياء .

اتباع هدي النبي ﷺ :

(١) صححه الألباني (٣٨٢١) في « صحيح الجامع » .

٢- الاغتسال والتطيب ولبس الثياب الحسنة :

فعن مجاهد بن جبير قال : كانوا يكرهون أكل الثوم والكرات والبصل من الليل ، وكانوا يستحبون أن يمس الرجل عند قيامه من الليل طيباً يمسح به شاربه وما قبل من اللحية .

٣- التسوك لقيام الليل :

قال رسول الله ﷺ : « إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلِّي ، قام الملك خلفه ، فسمع لقراءته ، فيدنو منه حتى يضع فاه على فيه ، وما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك ، فظهروا أفواهكم للقرآن »^(١) ، فانظر رحمك الله إلى حرص الملائكة واعتنائهم باستماع القرآن من البشر ، والذي نفسي بيده لو لم يكن في فضيلة السواك ليلاً إلا هذا الحديث لكفى .

٤- غسل اليد قبل غمسها في إناء الوضوء .

٥- الحرص على أذكار القيام والاستفتح والتأسي بالنبي ﷺ في كيفية صلاته .

٦- ترديد الآية وتدبر ما فيها . ٧- ترديد السورة .

٨- البكاء . ٩- حسن الصلاة وحضور القلب .

١٠- ترك القيام مع النعاس والفتور :

قال رسول الله ﷺ : « إذا نعس أحدكم في الصلاة فليبر قد حتى يذهب عنه النوم ؛ فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه »^(٢) .

(١) أخرجه البزار (٢١٤/٢) ، وصححه الألباني (٢١٣) في « السلسلة الصحيحة » .

(٢) متفق عليه ، البخاري (٢٠٩) ، مسلم (٧٨٦) .

١١- النهي عن تخصيص ليلة الجمعة بقيام :

قال رسول الله ﷺ : « لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ، ولا تختصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم »^(١) .

١٢- إيقاظ الأهل والصبية ومن يليه لقيام الليل .

واعلم - أخي - أنه من اعتاد على القيام ثُبَّه لذلك إذا غفل عنه ، فعن ابن مسعود قال : إذا نام الرجل وهو يريد القيام من الليل أيقظه إما سنور ، وإما صبي ، وإما شيء فيستيقظ ، فيفتح عينيه وقد وكل به قرينان : قرين سوء وقرين صالح ، فيقول قرين السوء : افتح بشرّ ، نم عليك ليلاً طويلاً ما تسمع صوتاً ولا قيام أحد ، فإن نام حتى يصبح أتاه الشيطان فبال في أذنه ، فأصبح ثقيلاً كسلاماً خبيث النفس مغبوناً ، أما الآخر فيقول له الملك : افتح بخير ، قم فاذكر ربك وصل ، فإن قام فتوضاً ثم دخل المسجد فذكر الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي محمد ﷺ ، فإذا فرغ من صلاته استقبله الملك فقبله ، ثم يصبح طيب النفس قد أصاب خيراً .

أخي في الله ..

ألق نفسك في الدجى على باب الذل .

وقل : إلهي ، كم لك سواي ومالى سواك .. عبيدك سواي كثير وليس لي سيد سواك ..

فبغوري إليك وغناك عنى ، بقوتك وضعفي ، بعزمك وذلي إلا رحمتني وغفوت عنى ، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك ..

أسألك مسألة المسكين .. وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل .. وأدعوك

(١) أخرجه مسلم (١١٤٤) .

دعاك الخائف الضرير ، سؤال من خضعت لك رقبته ، ورغم لك أنفه ،
وافتت لك عيناه ، وذل لك قلبك ..

إلهي .. أنا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي ، أنا الذي كلما همت
بترك خطيئة عرضت لي أخرى ..

واذنوباه ! خطيئة لم تبل وصاحبها في أخرى ..

واذنوباه ! إن كانت النار لي مقيلاً ومؤلماً ..

واذنوباه ! إن كانت المقامع لرأسي تهياً ..

رب أفحمنتي ذنبي وانقطعت مقالتي فلا حجة لي ، فأنا الأسير ببليتي ،
المرتهن بعملي ، المتردد في خطبتي ، المتحير عن قصدي ، المنقطع بي ، قد
أوقفت نفسي موقف الأشقاء المجترئين عليك ، المستخفين بوعدك ،
سبحانك أي جرأة اجترأتها عليك ، وأي تغريب غرت بنيتي ..

مولاي ارحم كبوتي لحسر وجهي وزلة قدمي ، وعد بحلنك على جهلي
وبإحسانك على إساءتي ، فأنا المقر بذنبي المعترف بخطبتي ..

وهذه يدي وناصبي ، أستكين بالقَوْد من نفسي ، ارحم ضعفي ونفذ أيامِي
واقترابُ أجلي ، وقلة حيلتي ومسكتي ، مولاي وارحمني إذا انقطع من الدنيا
أثري ، وانمحى من المخلوقين ذكري ، وكنت في المنسيين كمن قد نسي ،
مولاي وارحمني عند تغير صورتي وحالتي ، إذا بلني جسمي وتفرق أعضائي
وتقطعت أوصالي ، يا غفلتي عما يراد بي ..

مولاي وارحمني في حشري ونشرى ، واجعل في ذلك اليوم مع أوليائك
موقفي ، وفي أحبابك مصدرى ، وفي جوارك مسكنى يارب العالمين ،
سبحانك اللهم وحنايك ، سبحانك اللهم وتعالىت ..

الْأَعْلَمُ بِمَا فِي الْأَفْوَى

حَسْنٌ خَلُوٌّ

مُكَبِّرٌ حَسِيلٌ

الاعتكاف

الاعتكاف .. وما أدرك ما الاعتكاف ..

جئنا إلى بيت القصيد والمَحَكُ الصادق للحبِّ الحقيقى ..

حين يخلو كُلُّ حبيب بحبيه

حين يُذكر الاعتكاف تهفو إليه النفوس المؤمنة والقلوب الصادقة .

الاعتكاف بيت المشاعر .. وعمق الإيمان .. وصدق التوجه .. وحلاؤه

الغرية ..

الاعتكاف .. ملازمَةُ الباب .. والوقوف في المحراب : ولذةُ أولي

الأباب ..

الاعتكاف .. لابد منه لكل صادق ؛ فإنه مطلبُ رئيس يحتاجه في حياته ..

في القلب شعث لا يُلْمِه إلا الإقبال على الله ..

وفي القلب فاقة .. لا يسدُها إلا الأنس به واستشعار معيته ..

همُ الحياة وكبدُها .. شتاتُ القلب وتفرقه .. مأساة التعامل مع الناس
ودنياهم .. كل ذلك يجعل الإنسان يتوق إلى خلوة حصينة يخلو فيها مع ربه
وإلهه .. وحبيبه ومعبوده وسيده ومطلوبه ..

يجعل الإنسان يشتقق إلى لحظاتٍ يتخلص فيها من كل شيء ، ومن كل أحد .. ويجتمع همُ قلبه وكل مشاعره وأحساسيه بل وكل حواسه على الله
وحده .

وفرحة اعتكاف رمضان لمن أراد أن يغتنمها فرصة الفرصة ..

فإنه يخص العشر الأواخر من رمضان جوًّا إيمانيًّا عبقً .. جوًّا روحانيًّا طلقً .. فيها هدايا .. وفرائد وفوائد .. ونعم لا تختصى تحتاج إلى شكر ..

ولك في رسول الله ﷺ أسوة؛ فإن هذه الخلوة فترة إعداد وتهيئة وتدريب لأحد عشر شهرًا قادمة .

قال بعض أصحاب التفاسير عند الكلام على خلوة النبي ﷺ في غار حراء
كلامًا نفيسًا أنقله هنا بنصه تأمله وستفيد ما يمس قلبك منه قال ﷺ :

«وكان اختياره ﷺ لهذه العزلة طرقاً من تدبير الله له؛ ليُعده لما يتظره من الأمر العظيم . ففي هذه العزلة كان يخلو إلى نفسه ، ويخلص من زحمة الحياة وشواغلها الصغيرة؛ ويفرغ لموحيات الكون ، ودلائل الإبداع؛ وتسبح روحه مع روح الوجود؛ وتعانق مع هذا الجمال وهذا الكمال؛ وتعامل مع الحقيقة الكبرى ، وتمرّن على التعامل معها في إدراك وفهم .

ولابد لأنّي روح يُراد لها أن تؤثر في واقع الحياة البشرية فتحولها وجهة أخرى .. لابد لهذا الروح من خلوة وعزلة بعض الوقت ، وانقطاع عن شواغل الأرض ، وضجة الحياة ، وهموم الناس الصغيرة التي تشغل الحياة .

لابد من فترة للتأمل والتدبر والتعامل مع الكون الكبير وحقائقه الطليقة . فالاستغراق في واقع الحياة يجعل النفس تألفه وتسنتيم له ، فلا تحاول تغييره . أما الانخلاع منه فترة ، والانزال عنه ، والحياة في طلاقة كاملة من أسر الواقع الصغير ، ومن الشواغل التافهة؛ فهو الذي يؤهل الروح الكبير لرؤيه ما هو أكبر ، ويدربه على الشعور بتكامل ذاته بدون حاجة إلى عرف الناس ، والاستمداد من مصدر آخر غير هذا العرف الشائع !

وهكذا ذَبَرَ - اللَّهُ لِمُحَمَّدٍ وَهُوَ يَعْدُهُ لِحَمْلِ الْأَمَانَةِ الْكَبِيرَى ، وَتَغْيِيرِ وَجْهِ الْأَرْضِ ، وَتَعْدِيلِ خَطِّ التَّارِيخِ .. ذَبَرَ لَهُ هَذِهِ الْعَزْلَةُ قَبْلَ تَكْلِيفِهِ بِالرِّسَالَةِ بِثَلَاثَ سَنَوَاتٍ . يَنْطَلِقُ فِي هَذِهِ الْعَزْلَةِ شَهْرًا مِنَ الزَّمَانِ ، مَعَ رُوحِ الْوُجُودِ الطَّلِيقَةِ ، وَيَتَدَبَّرُ مَا وَرَاءِ الْوُجُودِ مِنْ غَيْبٍ مَكْنُونٍ ، حَتَّى يَحِينَ مَوْعِدَ التَّعَامِلِ مَعَ هَذَا الْغَيْبِ عِنْدَمَا يَأْذِنُ اللَّهُ » اهـ .

أَيْهَا الْإِخْرَوَةِ ..

لَقَدْ كَانَ مَحْوِرُ حِيَاةِ الرَّسُولِ ﷺ الرَّئِيْسِي عِبَادَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَهُوَ خَيْرُ مَنْ عَبَدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذَا الْكَوْنِ ، فَكَانَتْ لَهُ عِبَادَاتُهُ الْيَوْمِيَّةُ الَّتِي كَانَ يَوْاظِبُ عَلَيْهَا مِنْ فَرَوْضٍ وَنَوَافِلَ ، مِنْ أَدَاءِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ، وَأَدَاءِ الْلَّرْوَاتِ ، وَصَلَاةِ الْضَّحْنِ ، وَقِيَامِ اللَّيْلِ ، وَعِيَادَةِ مَرِيضٍ ، وَتَجهِيزِ غَازٍ ، وَقَضَاءِ حَوَاجِنَ النَّاسِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ سُلُوكِهِ الْيَوْمِيِّ .

وَقَدْ كَانَتْ لَهُ عِبَادَاتٌ أَسْبُوعِيَّةٌ ، مَثَلُ : صِيَامُ الْاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ ، وَصَلَاةُ الْجُمُعَةِ .

وَعِبَادَاتٌ حَوْلِيَّةٌ ، مَثَلُ : صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَقِيَامُهُ ، وَاعْتِكَافُهُ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْهُ .

وَكُلُّ هَذِهِ الْأَمْوَارِ التَّعْبُدِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَحْيَا بِهَا ﷺ لَهَا تَوجِيهَاتٌ تَرْبُوِيَّةٌ فِي حِيَاةِ الْإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ ، لِذَلِكَ كَانَ لِزَاماً عَلَى الْمُسْلِمِ مَعْرِفَةُ التَّوْجِيهَاتِ التَّرْبُوِيَّةِ فِي عِبَادَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمُتَنَوِّعَةِ ، حَتَّى يُسْتَطِعَ الْعَمَلُ عَلَى نَجْحٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ لِأَنَّهُ الْقَدُوْرُ فِي كُلِّ أَمْرٍ نَّا عَلَى حَدِّ سُوَاءٍ وَهَذَا هُوَ الْإِتَّبَاعُ بِالْإِحْسَانِ .

وَالْاعْتِكَافُ عِبَادَةٌ لَيْسَ كَفِيرُهَا مِنَ الْعِبَادَاتِ ، فَهِيَ تَعْنِي الْانْقِطَاعَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْكُلِّيَّةِ ، وَهَجْرِ مَلَذَاتِ الدُّنْيَا ، الَّتِي تَعْتَرِضُ عَادَةً السُّمُوِّ الرُّوْحِيِّ لِلْإِنْسَانِ ، وَالصَّلَةُ الْمُتَكَامِلَةُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ الصَّفَاءِ الرُّوْحِيِّ فِي عَلَاقَةِ الْإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

فالجانب الروحي في الشرع وظيفته الرئيسية إيجاد صلة مستمرة بين العبد وخلقه عز وجل من خلال دائرة العبادة الواسعة ، التي تشمل حياة هذا الإنسان بكليته ؛ مبتغيًا بذلك مرضاه اللهم عز وجل ، متبعاً فيه شريعة الحق تبارك وتعالى ، وتنقطع هذه الصلة الروحية عند انحراف هذا الإنسان عن ابتعاده مرضاه اللهم عز وجل ، وتطبيق شرعيه القويم ، وتعود بعودة الإنسان إليها .

وفي الاعتكاف فرصة كبيرة لتحقيق هذه الصلة المستمرة بين العبد وربه عز وجل ، وذلك لتوفر بغية مرضاه اللهم عز وجل ، واتباع شرعه تبارك وتعالى بصورة مستمرة أثناء الاعتكاف ، والجوانب التربوية لسنة الاعتكاف لا تنحصر في تربية النفس على تحري ليلة القدر ، أو في تربية الجانب الروحي في حياة الإنسان المسلم ، وإنما هناك جوانب تربوية متعددة تمكنا أن نقول : إن الاعتكاف يعتبر بحق مدرسة إسلامية تعتقد بصورة سنوية .

وعندما تعمل التربية الإسلامية على الوصول بالإنسان المسلم إلى درجة «أحسن تقويم» ، كان لابد وأن تغيرها السُّلْطَنَةُ جُلَّ اهتمامها ، وتعمل على ترسم خطاب النبي ﷺ في أحواله كما كان يفعل ذلك الصحابة رضوان الله عليهم ، فكانوا نماذج بشرية عالية الهمم ، أمثال : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وغيرهم ﷺ وعن الصحابة أجمعين ، كانوا يعملون باستمرار في اتباعه ﷺ في جميع أموره حتى وإن لم يعرفوا الحِكْمَةَ في سلوكه ﷺ في أي موقف من مواقف حياته .

ولا أدل على ذلك من أنه قد ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه إذ خلع عليه فوضعهما عن يساره ، فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال : «ما حملكم على إلقاءكم نعالكم؟» ، قالوا : رأيناكم أقيت نعليك فألقينا نعالنا ، فقال

رسول الله ﷺ : «إن جبريل عليه السلام أتاني فأخبرني أن فيهما قذراً» ، وقال عليه السلام : «إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظر ، فإن رأى في نعليه قذراً أو أذى فليمسحه ول يصلّ فيهما»^(١) .

فكانت تلك المبادرة الفورية التلقائية لمتابعة سلوك الرسول عليه السلام ألقى نعله فألقوا نعلهم وهكذا دوّماً في كل الأحداث ، ونتج عن ذلك بطبيعة الحال الاستسلام الكلي لشرع الله عز وجل ، الذي كان أساسه ارتفاع درجة الإيمان بالله في تلك النفوس .

وعندما بدأ نور الإيمان يخفت ، وتذهب مؤشراته في نفوس كثير من المسلمين - إلا من رحم ربِّي - بدأ التفلت من دائرة الشريعة الإسلامية ، وخاصة سنة المصطفى عليه السلام ، وقد نبتت نابتة شرّ باعتبار أنَّ كثيراً مما جاء في حياته عليه السلام سنة ، ولا بأس من تركها !!

ترى بعض العلماء والمتقهيـن من أهل عصرنا ، ممن عُرِفَ بالتساهـل في التمسك بالسنن ، إذا قيل له في تركه بعض السنن ، قال : هي سنة ، وهي جائزة الترك ، وينسى أو يغفل المعنى الإيجابي لحب الرسول عليه السلام ، وهو المقتضي للاتـبع والاقتـداء ، واللاـئق بالـمسلم الحـصيف غير هـذا ، فقد كان السلف الأول يـفعلون كل مطلوب شرعاً - ولو كان رغبة أو فضـيلة - ودون تميـز بين ما يـطلب على سـبيل الفـرض أو الـواجب ، وبين ما يـطلب على سـبيل التـرغـيب أو النـدب .

فالـسـنة المـندـوـبة حـصـن لـلـفـرـائـض الـواـجـبـة ، وـبـاب لـزيـادة الـحـسـنـات وـالـأـنـوار على المتـسـنـنـ بها ، وـعـنـوانـ الحـبـ والـاتـبعـ لـهـدـيـ الرـسـولـ الـكـرـيمـ عليهـ السـلامـ فيـ شـأنـهـ

(١) أخرجه أبو داود (٦٥٠) ، وصححه الألباني (١٣) في «مشكاة المصاـبـح» .

كله ، فالحرص على السنن النبوية والتمثيل بها من أكبر الغنائم ، وأجمل الصفات ، وأفضل القربات والطاعات ؛ فعليك به أهلاً الأخ المسلم .

والاعتكاف سنة مؤكدة ، واظب عليها رسول الله ﷺ في حياته بعد هجرته إلى المدينة المنورة ، وقد هُجرت هذه السنة وغيرها من السنن النبوية في حياة الكثير من مسلمي اليوم - إلا من رحم ربِّي - وذلك لأسباب منها :

(١) ضعف الجانب الإيماني في تلك النفوس .

(٢) الإقبال المتزايد على ملذات الحياة الدنيا وشهواتها ، والذي أدى إلى عدم القدرة في الابتعاد عنها ولو لفترة بسيطة ، وبالتالي شغل الوقت والتفكير بها .

(٣) افتقار محبة رسول الله ﷺ على الجانب اللغظي دون العملي ، والذي يتمثل في تطبيق جوانب السنة المحمدية المتعددة ، ومنها الاعتكاف .

قال الزهرى : عجبًا من الناس ! ، كيف تركوا الاعتكاف ، ورسول الله ﷺ كان يفعل الشيء ويتركه ، وما ترك الاعتكاف حتى قبس .

الاعتكاف الذي كان يحياه الرسول ﷺ في العشر الأواخر من رمضان ، واقتصرت مدة الرزمنية بين تسعه إلى عشرة أيام ، إلا أنها تعتبر بمثابة مدرسة تربوية مستقلة متكاملة ، تتخللها كثير من أنواع العبادة لله عز وجل ، والتي تعمل على إيقاظ كثير من الجوانب الحياتية في الإنسان ، وجعلها في دائرة واحدة متوجهة إلى خالقها عز وجل ، فهي بمثابة دورة تربوية مكثفة لها نتائجها الإيجابية الفورية على حياة الإنسان في أيام وليلي الاعتكاف .

ولها أيضًا أثرها الإيجابي على حياة الإنسان فيما يستقبله من أيام خلال حياته التي يحياها إلى رمضان آخر ، فحربي بنا أبناء أمة محمد ﷺ العمل بهذه

السنة ، والإقبال عليها سنة بعد سنة ، للإفادة من جوانبها المتعددة ، وإحياء لسنة الحبيب محمد ﷺ الذي قال : «من أحيا سنتي فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنة»^(١) .

هدي النبي ﷺ في الاعتكاف :

وهدية ﷺ في الاعتكاف كان أكمل هدي وأيسره .

فكان إذا أراد أن يعتكف وضع له سريره وفرشه في مسجده ﷺ ، وبالتحديد وراء اسطوانة التوبة كما جاء في الحديث عن ابن عمر عن النبي ﷺ : «أنه كان إذا اعتكف طرح له فراشه ، أو يوضع له سريره وراء اسطوانة التوبة»^(٢) .

وكان النبي ﷺ يُضرب له خباء على مثل هيئة الخيمة ، فيمكث فيه غير أوقات الصلاة حتى تتم الخلوة له بصورة واقعية ، وكان ذلك في المسجد ، ومن المتوقع أن يُضرب ذلك الخباء على فراشه أو سريره ، وذلك كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت : «كان النبي ﷺ يعنكف في العشر الأواخر من رمضان ، فكنت أضرب له خباء ، فيصلني الصبح ، ثم يدخله»^(٣) .

وكان دائم المكث في المسجد لا يخرج منه إلا لحاجة الإنسان من بول أو غائط ؛ وذلك لحديث عائشة رضي الله عنها حين قالت : «وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة إذا كان معتكفاً»^(٤) .

(١) أخرجه الترمذى (٢٦٧٨) ، وضعفه الألبانى (٥٠١) في «ضعيف الترمذى» .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٧٧٤) ، وضعفه الألبانى (٣٩٢) في «ضعيف ابن ماجه» .

(٣) متفق عليه ، البخارى (١٩٢٨) ، مسلم (١١٧٢) .

(٤) متفق عليه ، البخارى (١٩٢٥) ، مسلم (٢٩٧) .

وكان يُؤتى إليه بطعمه وشرابه إلى معتكفه، وكان يحافظ على نظافته؛ إذ كان يخرج رأسه إلى حجرة عائشة رضي الله عنها لكي ترجل له شعره، فعنها رضي الله عنها: «أنها كانت ترجل النبي صلى الله عليه وسلم وهي حائض، وهو معتكف في المسجد، وهي في حجرتها، يتناولها رأسه»^(١).

وكان لا يعود مريضاً، ولا يشهد جنازة؛ وذلك من أجل التركيز والانقطاع الكلي لمناجاة الله عز وجل، ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يمر بالمريض وهو معتكف فيمر كما هو ولا ينزع يسأل عنه»^(٢)، وأيضاً عنها أنها قالت: «السُّنَّةُ فِي الاعْتِكَافِ أَنَّ لَا يَعُودُ مَرِيضاً، وَلَا يَشْهُدُ جَنَازَةً، وَلَا يَمْسُّ امْرَأَةً وَلَا يَيَّاْشِرُهَا، وَلَا يَخْرُجُ لِحَاجَةٍ إِلَّا لِمَا لَبِدَ مِنْهُ، وَلَا اعْتِكَافٌ إِلَّا بِصُومٍ، وَلَا اعْتِكَافٌ إِلَّا فِي مَسْجِدٍ جَامِعٍ».

وكان أزواجه يزرنـه في معتكفـه، وحدث أنه خرج يوصل إحداهـنـ إلى منزلـها وكان ذلك لضرورةـ، إذ كان الوقت ليلاً، فرأـيـ اللهـ أنـ خروـجهـ معـهاـ لـابـدـ فيـ ذـلـكـ اللـيلـ، فـخـرـجـ معـهاـ منـ مـعـكـفـهـ؛ ليـوصـلـهاـ إـلـىـ بـيـتهاـ.

وخلالـةـ القـولـ : إنـ هـدـيـهـ يـقـيـدـهـ فيـ اـعـتـكـافـهـ كـانـ يـتـسـمـ بـالـيـسرـ، فـقـدـ كـانـ جـلـ وـقـتـهـ مـكـثـ فـيـ الـمـسـجـدـ، وـإـقـبـالـ عـلـىـ طـاعـةـ اللهـ عـزـ وـجـلـ، وـتـرـقـبـ لـلـيـلـةـ الـقـدـرـ.

مقاصـدـ الـاعـتـكـافـ :

(١) تحرـيـ لـيـلـةـ الـقـدـرـ .

(٢) الخـلـوةـ بـالـلـهـ عـزـ وـجـلـ، وـالـانـقـطـاعـ عـنـ النـاسـ مـاـ أـمـكـنـ؛ حتىـ يتمـ أـنـسـهـ بـالـلـهـ عـزـ وـجـلـ وـذـكـرـهـ .

(١) نفسـ الـحـدـيـثـ السـابـقـ .

(٢) أـخـرـجـهـ اـبـنـ مـاجـهـ (١٧٧٦ـ)، وـصـحـحـهـ الـأـلـبـانـيـ (١٤٣٨ـ) فـيـ «ـصـحـيـحـ اـبـنـ مـاجـهـ»ـ .

- (٣) إصلاح القلب ، وَلَمْ شَعِّهِ بِالإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِكُلِّهِ .
- (٤) الانقطاع التام للعبادة الصِّرْف من صلاة ودعا وذكر وقراءة قرآن .
- (٥) حفظ الصيام من كل ما يؤثر عليه من حظوظ النفس وشهواتها .
- (٦) التقلل من المباح من الأمور الدنيوية ، والزهد في كثير منها مع القدرة على التعامل معها .

حكم الاعتكاف :

سُنَّة مؤكدة عن رسول الله ﷺ .

ففي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان ، ثم اعتكف العشر الأوسط في قبة تركية على سدتها حصير ، قال : فأخذ الحصير بيده فتحاها في ناحية القبة ، ثم أطلع رأسه فكلم الناس ، فدنوا منها ، فقال : «إنِي اعتكتَ العشرَ الْأَوَّلَ أَنْتَمْ هَذَا اللَّيْلَةِ ، ثُمَّ اعتكتَ العشرَ الْأَوَسْطَ ، ثُمَّ أتَيْتَ فَقِيلَ : إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْتَكِفْ فَلِيَعْتَكِفْ» ، فاعتكت الناس معه ، قال : «وَإِنِّي أَرَيْتُهَا وَتَرَأَ وَإِنِّي أَسْجَدْتُ صَبِيْحَتْهَا فِي طِينِ وَمَاءٍ» ، فأصبح رسول الله ﷺ من ليلة إحدى وعشرين وقد قام إلى الصبح فمطرت السماء ، فوكف المسجد ، فأبصرت الطين والماء ، فخرج حين فرغ من صلاة الصبح وجبيه وروثة أنه فيهما الطين والماء ؛ وإذا هي ليلة إحدى وعشرين من العشر الآخر^(١) .

شروط الاعتكاف :

- (١) الإسلام : إذ لا يصح من كافر ، وكذلك المرتد عن دينه .

(١) متفق عليه ، البخاري (٧٨٠) ، مسلم (١١٦٧) .

(٢) التمييز : إذ لا يصح من صبي غير ممیز .

(٣) الطهارة من الحدث الأكبر (من جنابة ، وحيض ، ونفاس) ، وإن طرأت مثل هذه الأمور على المعتكاف أثناء اعتكافه وجب عليه الخروج من المسجد ؛ لأن مكثه على هذه الحال في المسجد حرام .

(٤) أن يكون في مسجد : والأفضل أن يكون الاعتكاف في مسجد جامع تقام فيه الجمعة ، حتى لا يضطر إلى الخروج من المسجد لأجل صلاة الجمعة .

أركان الاعتكاف :

(١) النية : وهي أمر ضروري ، وفيه إخلاص العمل إلى الله عز وجل ، وهو كذلك في سائر الأعمال .

(٢) المكث في المسجد : وذلك لقوله تعالى : «وَعَاهَدْنَا إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمَ لِإِسْتَعِيلَ أَنْ طَهَرًا بَيْقَى لِلطَّالِبِينَ وَالْعَدِيقِينَ وَالرُّكْعَ شَجُودًا» [البقرة: ١٢٥] ، وفي هذا تأكيد على أن مكان الاعتكاف هو المسجد .

زمانه وبداية وقته :

إذا كان في رمضان فاكذ وقته العشر الأواخر منه ، ويجوز في أي وقت في رمضان أو غيره ، فهو لا يختص بزمن معين ؛ لأنه أمر مستحب في جميع الأوقات ، وخاصة إذا ألزم المسلم نفسه بذلك ، وأما بالنسبة لبداية وقته فقبل غروب الشمس لمن أراد أن يعتكف ليلة أو أكثر .

محظورات الاعتكاف :

(١) الخروج من المسجد : يبطل الاعتكاف إذا خرج من المسجد لغير حاجة .

(٢) مبشرة النساء : ومنها الجماع ، فهذا الأمر يبطل الاعتكاف ؛ لورود النهي عنه صريحا في قوله تعالى : «وَلَا تُبَرُّوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَذَّكُفُونَ فِي الْسَّجْدَةِ» [البقرة : ١٨٧] .

(٣) الحيض والتنفاس : فإذا حاضت المرأة المعتكفة أو نفست وجوب عليها الخروج من المسجد ؛ وذلك للحفاظ على طهارة قدسيّة المسجد ، وكذلك الجنب حتى يتخلّص .

(٤) قضاء العدة : وذلك إذا تُوفّي زوج المعتكفة وهي في المسجد ، وجوب عليها الخروج لقضاء العدة في منزلها .

(٥) الرُّدَّة : حيث إن من شروط الاعتكاف الإسلام ، فيبطل اعتكاف المرتد .

أهداف الاعتكاف :

لابد أيها الأحبة في الله من تحديد الأهداف المطلوبة وراء هذا العمل العظيم ؛ لأن معرفة الأهداف وتحديدها يجعل النفس تتشرف لها وتتطلع إليها دوماً وتحرص على تحصيلها .. وهي كثيرة :

(١) تطبيق مفهوم العبادة بصورةها الكلية :

يؤصل الاعتكاف في نفس المعتكف مفهوم العبودية الحقة لله عز وجل ، ويدربه على هذا الأمر العظيم الذي من أجله خلق الإنسان ؛ إذ يقول الحق تبارك وتعالى : «وَمَا خَلَقْتُ لَهُنَّ وَإِلَّا لِيَعْبُدُونَ» [الذاريات : ٥٦] ، حيث إن المعتكف قد وهب نفسه كلها ووقته كلها متبعدا لله عز وجل ، فالإنسان كثيراً ما يضيع أوقاتاً ثمينة ، قضاها في أمورٍ مباحة دون أن ينوي بها طاعة الله عز وجل ، وفي هذا المدار تسير حياته ، ويعيش كثيراً من ساعات الغفلة

و خاصة في زمننا المعاصر الذي كثرت فيه المغريات والصوارف عن طاعة الله .

فالمعتكف بادئ ذي بدء نجد أنه ينوي الاعتكاف مخلصاً لله عز وجل ،
ويبدأ ذلك بزيارة المسجد من أجل طاعة ربه ، ويكون شغله الشاغل في زمن
الاعتكاف هو مرضاة الله عز وجل ، فهو يشغل بدنه وحواسه ووقته من أجل هذا
الأمر ، بالصلاحة من فرض ونفل ، وبالدعاة ، والذكر وقراءة القرآن ، وغيرها ،
ويبتعد في نفس الوقت عن صوارف هذه الطاعة ، فيبتعد عن مجالس الكلام
المباح ، وإن تكلم مع أخيه ففي حدود الحاجة وفي مدار طاعة الله عز وجل .
وبذلك يتحقق في واقعه مفهوم العبادة لله عز وجل التي عرفها شيخ الإسلام
ابن تيمية - عليه رحمة الله بقوله : العبادة : هي اسم جامع لكل ما يحبه الله
ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، فالصلاحة والزكاة ، والصيام ،
والحج ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ،
والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والإحسان
إلى الجار واليتيم ، والمسكين وابن السبيل والمملوك من الأدميين أو البهائم ،
والدعاء والذكر القراءة ، وأمثال ذلك من العبادة ، وكذلك حب الله ورسوله ،
وخشية الله والإبانة إليه وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ،
والرضا بقضاءه ، والتوكيل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال
ذلك من العبادة لله . اهـ .

وبهذه الذُّرْبة في مثل أيام العشرة الأخيرة من شهر رمضان المبارك يتربى
المعتكف على كيفية تطبيق مفهوم العبودية لله عز وجل في حياته العامة
والخاصة ، ويوضع موضع التطبيق قول الحق تبارك وتعالى : «قُلْ إِنَّ صَلَاقِي
وَشَسْكِي وَمَحْيَيَيْ وَمَمَّاقِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَإِنَّ أَوَّلَ الْمُشْرِكِينَ
[الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وبعد انقطاع وقت الاعتكاف يجتهد المعتكف قدر استطاعته ليجعل حياته الخاصة والعامة في دائرة العبادة ، ولم يفطن كثيرون من الناس أن النية هي المحول العجيب ، إلا أنها لا تحول الجماد إلى نوع آخر من الجماد ؛ ولكنها تحول العبادة العادية التي تض محل وتزول بمجرد الانتهاء منها إلى أعمال باقية خالدة ؛ فالطعام والشراب والنكاح كل ذلك زائل ذاهب ، فإذا قصد العبد به نية صالحة ؛ لأن ينوي التقوّي بالطعام والشراب على طاعة الله ، وكان يعف نفسه عن الزنا بالنكاح ، ويطلب الولد الصالح الذي يعبد الله ويجahد في سبيله ؛ فإن هذه الأعمال تتحول إلى أعمال باقية صالحة .

وبهذا التوجّه في النفس الإنسانية المسلمة تستقيم هذه النفس في حياته كلها ، وإذا كثر عدد الأفراد من هذه النوعية في أي مجتمع إسلامي استقام ذلك المجتمع أيضاً .

(٢) تحرى ليلة القدر :

يكدح الإنسان في حياته من رمضان إلى رمضان الثاني عشر شهراً بأيامها وليلاتها ، **﴿يَتَأْيَهَا إِلَّا سَنْ أَنَّكَ كَادُحُ إِنَّ رَبَّكَ كَذَّا فَمُلْقِيهِ﴾** [الإنشقاق: ٦] ويبقى الإنسان المسلم في عملية أخذ وعطاء في ميدان الطاعة والمعصية ، ويفعل القلب في كثير من الأحيان عن ميدان الطاعة ، وتتفلت الجوارح في الخطايا ، وتتكاثر الذنوب على كاهل هذا الإنسان من حيث يدرى ومن حيث لا يدرى ، وفي واقع الإنسان المسلم الحصيف نجده مستغفراً منيّاً إلى الله عند درايته بوقوعه في المعصية والخطأ ، وهذه من سمة الإنسان ؛ لقوله **عليه السلام** : «كل بني آدم خطاء ، وخير الخاطئين التوابون»^(١) . فتدوم توبة الحصيف ويضيع الكثير على الغافل .

(١) أخرجه أحمد (١٩٨/٣) ، وحسنه الألباني (٤٥١٥) في « صحيح الجامع » .

وتبقى بذلك الخطايا التي لم يعلم بها ، ولكن هذا الواقع لا يتوافر في حياة الكثير من مسلمي اليوم ، الذين يعيشون في عصر سمته الغفلة عن مرضاة الله عز وجل ؛ وذلك لكثره صوراف وشواغل الدنيا ، وكثرة المُلْهِيات والمنكرات ، التي أصبحت في عرف هذا العصر من المعروف ، كل هذا يستوجب على الإنسان تخمين الفرص التي يقف فيها لمحاسبة نفسه ، والتخلص قدر الاستطاعة من تراكم الذنوب .

ومن رحمة الله عز وجل بالإنسان المسلم أن أوجد له مواسم للطاعات
يتقرب فيها الإنسان إلى ربه عز وجل ، وتحظى عنه من خلال هذا التقرب تلك الخطايا والمعاصي ، ومن هذه المواسم شهر رمضان ، وأخص ما في هذا الشهر ليلة القدر ، إذ يقول الرسول الكريم ﷺ : «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»^(١) .

ففي الاعتكاف فرصة دورية للمعتكف لمراجعة حياته السابقة ، وتأمل
ما عمل فيها من سوء ، وعقد النية على عدم الرجوع إليه ، والتوبة والندم عليه ، والتضرع إلى الله العلي القدير أن يغفو عنه ويغفر له ، وخاصة في ليلة القدر ، وأولئك الناس بشهود ليلة القدر من بداية وقتها وحتى انتهاء هر المعتكف ؛ لأنك تجده قابعاً في المسجد في ذلك الوقت ذاكراً لله في جميع أحواله بمختلف أنواع الذكر متمنياً هذه الليلة المباركة .

وشعور الإنسان المسلم بمعفورة الله عز وجل ، وأنه قد تخفف من كثير من الذنوب التي أزيحت عن كاهله يعطيه نوعاً من الدافعية للانطلاق في طاعة الله عز وجل ، ومرضاته في أعماله المختلفة ، لكسب المزيد من الحسنات التي تنقل موازينه يوم العرض على الله عز وجل .

(١) متفق عليه ، البخاري (٣٥) ، مسلم (٧٦٠) .

(٣) تَعْوِدُ الْمَكَثُ فِي الْمَسْجِدِ :

في الاعتكاف تدريب وتربيه للنفس على تعود المكث في المساجد ، الذي له أهميته في حياة الإنسان المسلم ؛ فالمعتكف قد ألزم نفسه البقاء في المسجد مدة معينة ، وفي شهر رمضان عادةً ما تكون ما بين تسعة إلى عشر ليال يقضي وقته كله في مرضاه اللَّهُ عز وجل ، وقد لا تقبل النفس الإنسانية مثل هذا القيد في بداية الاعتكاف ؛ ولكن عدم القبول هذا عادةً ما يتبدد سريعاً لما تلقاه النفس المسلمة من راحة وطمأنينة في بقائها في بيت اللَّه .

ومعرفة المعتكف بأهمية بقائه في المسجد أثناء اعتكافه ، وبالتالي المبادرة إلى المسجد قبل الأذان أو بعده بعد رمضان ، يجعله يحرص على هذا الأمر في حياته بصورة مستمرة لأهميته التي تجلّى في الأمور التالية :

١ - رجل تعلق قلبه بالمساجد :

أن الرجل الذي يمكث في المسجد قد أحب المسجد من قلبه ، وذلك الحب يجعله من الذين يظلمون اللَّه في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، ففي الحديث : «ورجل قلب معلق بالمساجد»^(١) .

٢ - فضيلة المكث في المسجد :

أن الذي يمكث في المسجد يتضرر الصلاة له أجزٌ صلاة ، وأن الملائكة تستغفر له مدام في مصَلَاه ولم يُخَدِّث . قال رسول اللَّه ﷺ : «صلاة في إثر صلاة لا لغو بينهما كتابٌ في عليين»^(٢) .

(١) متفق عليه ، البخاري (١٣٥٧) ، مسلم (١٠٣١) .

(٢) أخرجه أبو داود (٢٧/٢) ، وحسنه الألباني (١٢٨٨) في «صحيحة أبي داود» .

٣- فرح الله بالعبد :

فرح الله عز وجل باتخاذ المؤمن المسجد موطنًا يقصد الله فيه ويدركه ، وهذه من النعم الجليلة من الله الجليل عز وجل على هذا العبد الفقير ، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : «ما توطن رجل مسلم المساجد للصلوة والذكر إلا تبشير الله له كما يتبشر أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم»^(١) .

الله أكبر ! ، لك أن تتصور من غير تشبه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تأويل تبشير الله لك حال قدومك إليه وإنقاذه عليه .

ومعرفة هذه الفضائل ضرورية بالدرجة الأولى للمعتكف ؛ إذ أنها تعطيه دافعًا للاستمرار في اعتكافه بجد واجتهاد في طلب رضا الله عز وجل ؛ حتى تستمر له هذه الحسنات والأجر .

(٤) بعد عن الترف المادي :

فُتحت الدنيا على كثير من مسلمي اليوم ، وتوفرت وسائل الراحة المختلفة التي كلما أخذت إليها الإنسان ازداد في طلبها ، وبذلك عملت وسائل الراحة هذه في زيادة الغفلة في حياة المسلم ، ويشعر في كثير من الأحيان أن وسائل العيش المترف أمرٌ أساسي في حياته لا يستطيع أن يتخلى عنه .

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، إذ كان راضياً من الدنيا بالكفاف ، وهو الذي كان يعطي عطاءً من لا يخشى الفقر ، ويتمتع بالطيبات متى تيسر من غير سرف ولا مخيلة ؛ ليوضح لأمته حقيقة الرزق لتستَّ به فيه ؛ لأنَّ إمام الزاهدين وقدوة المؤمنين ورحمة الله للعالمين .

(١) أخرجه أحمد (٣٢٨/٢) ، وحسنه الألباني (٥٦٠٤) .

ففي عينيه ﷺ تقول عائشة رضي الله عنها : «ما شَيْءَ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ قَدْمِ الْمَدِينَةِ مِنْ طَعَامٍ بَرُّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا حَتَّى قُبْضٍ»^(١).

وفي إدامه يقول جابر رضي الله عنه : إن رسول الله ﷺ سأله أهل الأدم فقالوا : ما عندنا إلا خل ، فدعا به فجعل يأكل ويقول : «نعم الأدم الخل ، نعم الأدم الخل»^(٢).

وفي مسكنه في حديث عمر الطويل ، يقول عمر : «فدخلت عليه ، فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش ، قد أثر الرمال بجنبه ، متকئ على وسادة من أدم حشوها ليف ...»^(٣).

فهذا واقع خير خلق الله عز وجل في هذه الدنيا ، وهذا موقفه من وسائل العيش التي جعلت الكثير منا - إلا من رحم الله - يتمادى في طلبها بصورة تزيده غفلة عن طاعة الله عز وجل وبيع دينه من أجلها .

وفي الاعتكاف يتخفف المعتكف من هذه الأمور ، فيعرف قيمتها الحقيقية وأنها لا أهمية لها ويصبح كأنه إنسان غريب في هذه الدنيا ، فهو من أجل مرضاته الله عز وجل ارتضى أن يقع في ناحية من المسجد ليس لديه في الغالب إلا وسادة يضع عليها رأسه وغطاء يتغطى به ، فراشه هو فراش المسجد ؛ فهو قد ترك فراشه الوثير وعاداته الخاصة من أجل ذلك الرضى . وكذلك طعامه ، فهو عادة لا يؤتى إليه بالكثير من الطعام ، فيأكل كما يأكل الغريب ، ويأكل كما يأكل العبد الفقير إلى ربه .

وبهذا يتربى الفرد على حقيقة لها أصالتها في التربية الإسلامية ، وهي أن

(١) متفق عليه ، البخاري (٥١٠٠) ، مسلم (٢٩٧٠) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٥٢) .

(٣) متفق عليه ، البخاري (٤٦٢٩) ، مسلم (١٤٧٩) .

الحياة الدنيا دار ابتلاء واختبار ، وأنها دار ممر وعبور إلى حياة أخرى . سرمدية خالدة ، يجب أن يعمل لها الإنسان جُلَّ وقته من خلال تعامله مع هذه الحياة الفانية ، فيترفع عن التعلق بالكثير من الأمور المعيشية ، التي كانت تشغله باله في السابق عن مرضاه الله عز وجل .

(٥) الإلقاء عن كثير من العادات الضارة :

في ظل غياب مفهوم التربية الإسلامية في كثير من المجتمعات الإسلامية ؛ نشأت لدى أفراد هذه المجتمعات كثيراً من المعاصي المنتشرة التي استهان بها الناس ، ومنها : التدخين ، وسماع الموسيقى والأغاني ، ومشاهدة ما يُبَثُّ في الفضائيات من أحاديث تخدش عقيدة المسلم ، ومن مناظر تعمل على هدم أساسيات الأخلاق الإسلامية .

فيتعرف الإنسان المسلم في فترة الاعتكاف ، وقد خلا إلى حالقه ، على مفهوم العبادة بصورتها الشاملة ، وأنه يجب أن يكون متبعداً لله عز وجل على مدار الساعة في حياته العامة والخاصة ، وأن يتغير مرضاه الله عز وجل في كل حين فشغله بالطاعة انشغال عن المعصية ، وهذه المعرفة لمفهوم العبادة تجعله يقف على زيف لذة هذه المعصي السيئة ، فهو عندما يتخذ حب ومرضاه الله عز وجل كميزان يزن به كل عمل يقوم به ؛ يجد أن تلك المعاصي لا تتفق مع هذه المحبة لله عز وجل ، بل تعمل في اتجاه معاكس لها ، ويجد بذلك أن مثل تلك المعاصي تخرجه من دائرة العبودية الصادقة لله ؛ وإذا كان الأمر كذلك فيجب عليه أن يتخلص منها في أسرع وقت ممكن .

فالمسلم العاقل الذي أخلص نيته لله عز وجل في اعتكافه يحرص كل الحرص على سلامه وكمال طاعته وعبادته لله عز وجل ؛ فإذا كان قد ابتدى بشيء من هذه المعاصي ؛ فالاعتكاف فرصة سنوية يستطيع فيها المعتكف أن

يتخلص من هذه البلايا عن طريق التوبة والالتجاء إلى الله عز وجل أولاً ، وعن طريق فطام النفس عن تلك البلايا في فترة الاعتكاف ، وعدم تحقيق رغبة النفس منها وتعويدها على ذلك ، وفي هذا كله تربية للنفس على القدرة على التخلص من كثير من العادات التي لا ترضي الله عز وجل فضلاً عن المعا�ي والذنوب .

(٦) حفظ اللسان والجوارح عما لا ينفع الإنسان :

يُستحب للمعتكف أن يستغل بالصلوة وتلاوة القرآن وذكر الله وما إليها من القراءات ، وعليه أن يتَّرَّه اعتكافه عما لا يعنيه من الأقوال والأفعال ، وأن يتتجنب الجدال والمراء والسباب ، فهذه الأمور تكره لغير المعتكف ، فمته أشد كراهة ، ولا بأس أن يتكلم بما فيه حاجته ومصلحته مما لا إثم فيه .

ومن أطلق عَذَبَةَ اللسان ، وأهمله مَرْخِيَّ العنَان ، سلك به الشيطان في كل ميدان ، وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار ، ولا يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم ، ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع ، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ، ويكتفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله .

وغض البصر أيضاً من الأمور التي أمر الإسلام بها ، فينبغي على المعتكف لا يستخدم بصره إلا في أمور الطاعة من قراءة القرآن ، وطلب علم ، وتدبر ، وتأمل في ملوكوت الحق تبارك وتعالى ، وهو بذلك ممثلاً لأمر الله عز وجل في حالته هذه في مقامه بالمسجد الذي قد يرتاده النساء ، كما هو الحال في المسجد الحرام ، أو في حالة خروجه لحاجاته المختلفة إلى خارج المسجد .

وكذلك بقية الجوارح لا يستخدمها إلا في طاعة الله عز وجل ، حتى القلب والفكر لا يجوز استخدامهما في تمني أمور لا ترضي الله عز وجل .

(٧) التفكير في آلاء الله عز وجل :

في عصر الغفلة الذي نعيشه ، وسعى الإنسان الحيثيث وراء متطلبات الحياة المادية ؛ تقل الفرص التي تتبع للإنسان المسلم إعمال العقل والتفكير في مجال الآيات الكونية والشرعية .

وفي فترة الاعتكاف تصفو النفس المسلمة في اتصالها بخالفتها ، وينفض الإنسان يديه من مشاغل الحياة الدنيا ، ويترفرغ لما يرضي الحق تبارك وتعالى ، وتتاح له الفرصة تلو الفرصة للقيام بعمليات التفكير والتدبر ، وذلك من جراء الوقت الفسيح الذي يعيشه المعتكف ، وقد أخلى قبله من كل شيء إلا الله عز وجل ، فلو تفكك المعتكف في أمر كُل من الصيام والاعتكاف فقط ؛ لعرف ووقف على كثير من الحكم التي تقف وراءهما ، ولارتفاع مؤشر الإيمان لديه .

(٨) الصبر وقوة الإرادة :

في واقع الاعتكاف يتعرض الإنسان المسلم إلى مواقف متعددة هي بمثابة تمرير عملي للعبد على الصبر ، فعلى سبيل المثال :

- * هناك صبر على طاعة الله عز وجل ، فهو أمر لم يكن المعتكف معتاداً عليه في حياة ما قبل الاعتكاف ، وهو الآن بعيد تماماً عن أي صوارف تصرفه عن هذه الطاعة ، وهذه الطاعة المستمرة لله عز وجل تحتاج إلى صبر مستمر من قبيل المعتكف ، وفي هذا تربية للإرادة وكبح لجماح النفس التي عادة ما ترحب في التفلت من هذه الطاعة إلى أمور أخرى تهواها .

- وهناك الصبر على ما نقص مما ألغت عليه النفس من أنواع الطعام مثلاً .

- وهناك الصبر على نوع الفراش الذي ينام عليه ؛ فليس بالإمكان أن يوضع له سرير في المسجد .

- وهناك الصبر على ما يجد في المسجد من مزاحمة الآخرين له ، ومن عدم توفر الهدوء الذي كان يألفه في منزله إذا أراد النوم .
- وهناك الصبر على الزوجة إذ يُحرّم عليه مباشرتها عند دخوله إلى منزله للحاجة وهي حلاله ، وفي هذا الأمر تجلّى قيمة الصبر وقيمة القوة في الإرادة وضبط النفس .

(٩) الاطمئنان النفسي :

إن ذكر الله عز وجل بعموميته جالب لطمأنينة النفس لا محالة ، وتأكد الطمانينة في واقع المعتكف بصورة أساسية ؛ لأن حياته في معتكفه تدور حول هذا الأمر بطريقه مستمرة ، فصحته ذكر ، ومنامه ذكر ، وطعامه ذكر ، وحركاته وسكناته كلها ذكر ، وهنا تشرق على نفسه طمانينة لم يكن يعهد لها في حياته قبل الاعتكاف ؛ لأن رَكْنَ واستكان إلى جنب الله ، فهو ضيف على الله في بيته من بيته ، وقد يتساءل عن سر تلك الطمانينة ومصدرها ، فيجد الإجابة تبرز من ثنياً أعماله التي يقوم بها في اعتكافه ، والتي منها على سبيل

المثال :

- * الصلاة : لقاء مباشر مع خالقه .. يناجيه .. فيسمعه الله عز وجل .. يدعوه في سجوده .. فيستجيب له ، فتطمئن النفس إلى هذا اللقاء وتُثْكِرُ منه .
- * قراءة القرآن : وهو ذكر الله الذي أنزله على رسوله ﷺ ، به طمانينة قلوب المؤمنين ، فإن القلب لا يطمئن إلا بالإيمان واليقين ، ولا سبيل إلى حصول الإيمان واليقين إلا من القرآن ، فإن سكون القلب وطمأنيته من يقينه ، واضطرابه من شَكِّه ، والقرآن هو المحصل لليقين ، الدافع للشكوك والظنون والأوهام ، فلا تطمئن قلوب المؤمنين إلا به .

* **الذكر المقيد والمطلق** : من تهليل وتحميد وتسبيح وتكبير .. وفي استمرارية المعتكف في هذا النوع من الذكر كل أوقاته مَدْعَةً وسُبْتُ لحصول الأمان والاطمئنان النفسي .

يقول ابن القيم : إن ذكر الله عز وجل يُذهب من القلب مخاوفه كُلُّها ، وله تأثير عجيب في حصول الأمن ، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل ، إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه ، حتى كان المخاوف التي يجدها أمان له ، والعاقل خائف مع أمنه ، حتى كأن ما هو فيه من الأمن كُلُّه مخاوف ، ومن له أدنى حِسْن قد جَرَّبَ هذا ، هذا والله المستعان .

(١٠) تلاوة القرآن الكريم :

إن معرفة المعتكف بفضائل قراءة القرآن الكريم ، والعمل به ، وختمه مرة تلو الأخرى ، هي تربية على الحرص على تعلم القراءة السليمة للقرآن الكريم ، وعلى الحرص كذلك على المداومة على قراءته ، وتنصيص ورد يومي يحرص كل الحرص على قراءته ، وبذلك يسعد في دنياه وأخرته .

(١١) التوبة النصوح :

في حياة المعتكف نجد أن هناك أموراً عدة تخته على التوبة النصوح من كل معااصيه ، منها :

- أن القلب قد توجه بكليته إلى الله عز وجل ، وأن الصلة بين هذا الإنسان وخلقه اتسمت بالاستمرارية على مدار اليوم والليلة في أيام وليالي متواتلة ، وحربي بالإنسان المسلم أن يستثمر هذه الصلة بالتوبة والندم والاستغفار ؛ وذلك لقربه من الله عز وجل .

• أن هناك مجالاً للتفكير والتأمل في حياته : كيف هي من تطبيق شرع الله عز وجل؟ ، وما جوانب النقص في هذا التطبيق؟ ، وما الأسباب التي أدت إلى وجود هذا النقص؟ ، ومن خلال هذا التأمل تظهر خطايا ومعاصي هذا الإنسان ، ومن خلال التأمل يأتي الإقرار والاعتراف من جانبه بهذه الذنوب والمعاصي ، ويدفعه ذلك إلى المبادرة بالتوبة والنية والعزم على عدم العودة إليها .

• أن المعتكف يحيا بواقعيته شهر المغفرة والتوبة والعتق من النار ، وفي هذا دافع حقيقي للتوبة النصوح .

• استشعار مرضاه الله عز وجل والثقة فيه بأن يغفر الذنوب جميعاً؛ يورث النفس طمأنينة واستقراراً ، ويدفعها إلى الاستمرارية في العمل الصالح ، وابتغاء مرضاه الله في كل حين ، والمسارعة إلى التوبة والاستغفار كلما بدا منه ذنب أو خطأ أو تقصير ، وبذلك تصلح حياته .

(١٢) التعود على قيام الليل :

المعتكف يتغير مرضاه الله عز وجل من اعتكافه وقيام الليل ، وخاصة في العشر الأواخر من رمضان ، من صلاة التراويح والتهجد ، وبذل جهده فيما يزيده رضا من الله عز وجل .

ومن خلال قيام الليل يتربى المعتكف على حسن الوقف بين يدي الله عز وجل بنفس صافية ، وروح موصولة بالله عز وجل ، يتربى على حسن المناجاة ، ويقف على هذه اللذة ، وهو موقن بأن الله عز وجل قريب منه .. يراه .. يسمعه .. يستجيب له .

وهذا كله يعطي للإنسان دفعه قوية للمواظبة على قيام الليل ، وحربيّة من

تعود على لذة مناجاة خالقه في أوقات السّحر ، والذي يعتبر من أثمن الأوقات في حياة المسلم ، واليقين بأن الله عز وجل يراه ويسمعه ، حرّي به ألا تفوته ليلة من ليالي عمره القصير إلا وقد تلذذ بتلك المناجاة ، وأعز نفسه بالالتجاء الحق إلى بارئه .

(١٣) عمارة الوقت :

يقول ابن القيم - عليه رحمة الله : « وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة ، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم ، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم ، وهو يمر مرّ السحاب ، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره ، وغير ذلك ليس محسوبياً من حياته ، وإن عاش فيه عيش البهائم ، فإذا قطع وقته في الغفلة والسرور والأمانى الباطلة ، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة ، فمودت هذا خير له من حياته » اهـ .

والمعتكف قد عمل جده وحرّض على إنفاق وقته كله في طاعة الله عز وجل ومرضاته ، وعمل أيضاً على تنظيم وقته ، وتعود في فترة اعتكافه على ذلك التقسيم ؛ فاستفاد من كل دقة في مرضاته الله ؛ وهو بذلك قد وقف على قيمة الوقت وحقيقة ، فتربي في هذه الفترة الزمنية القصيرة على كيفية استغلال الوقت بصورة سليمة ؛ مما يتوقع أن يكون له أثره في حياته بعد الاعتكاف .

(١٤) القرب من الله عز وجل ، ومحبته تبارك وتعالى للعبد :

فالمعتكف قد ابتعد عن الخلق ، وأدى ما افترضه الله عليه من صيام وصلاة و Zakah ، وتقرب إلى الله عز وجل بنوافل شتى من اعتكاف وصلوة وقراءة قرآن وذكر وتفكير وتأمل وغير ذلك ، واعتادت النفس أداء هذه النوافل ، فمن طريق هذا القرب من العبد لربه ، وبعده عن الخلق ، يأتي تبادل المحبة بين العبد وخالقه عز وجل ، وهذا فضل من الله عز وجل في رفع درجة المعتكف عنده

تبارك وتعالى ، فهذا وعده سبحانه في الحديث القديسي قال : « لا يزال عبدي يتقرب إلى بيته بالنواقل حتى أحبه »^(١) .

وشعور المعتكف بهذه المحبة يجعله يعمل على المحافظة عليها في حياته بعد الاعتكاف ؛ لأن محبة الله له أثمن ما يملك الإنسان في الدار الفانية ، والدار الباقي ، ولابد له من العمل على تنمية هذه المحبة عن طريق زيادة القرب من الله عز وجل ؛ لأن العبد كلما إزداد تقرباً إلى الله عز وجل زاده الله قرباً منه ، وأثابه على القليل من هذا التقرب بالأجر والثواب العظيم ، فعن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : « يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني بمشي أتيته هرولة »^(٢) .

(١٥) تزكية النفس :

قال سبحانه : « قد أفتحَ مَنْ تَرَكَ » [الأعلى: ١٤] ، والتزكية هي تطهير النفس ، ورفع مكانتها عند الله عز وجل ، بطاعته تبارك وتعالى ، والاعتكاف ميدان رئيسي في تطهير النفس ، وعند استمرارية مفهوم التزكية من اعتكاف في مرحلة ما بعد الاعتكاف ، فيحرص دائماً على تطهير النفس من كل أمر ليس فيه رضى الله تبارك وتعالى ؛ فيكون ذلك عنوان فلاحه ونجاحه في دنياه وآخرته .

(١٦) صلاح القلب وجمعه على الله عز وجل :

وهذا مجموع فيه فضائل الاعتكاف كلها ؛ إذ إن المعتكف إن أخلص النية

(١) أخرجه البخاري (١١/٣٤٨، ٣٤٩) .

(٢) متفق عليه ، البخاري (٦٩٧٠) ، مسلم (٢٦٧٥) .

في اعتكافه وحبس نفسه على طاعة الله ، واشتغل بذكر مولاه ، وابتغى بذلك رضاه ، توجه القلب بكليته إلى خالقه يناجيه ويدعوه ويستغفره ، ويفتقر إليه في كل شئونه ، وفي هذا يقول ابن القيم :

«وَشَرَعَ لَهُمُ الْاعْتِكَافُ الَّذِي مَقْصُودُهُ وَرُوحُهُ : عَكْفُ الْقَلْبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَجْعِيَتِهِ عَلَيْهِ ، وَالخَلْوَةِ بِهِ ، وَالانْقِطَاعِ عَنِ الْاشْتِغَالِ بِالْخُلُقِ ، وَالْاشْتِغَالِ بِهِ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ ، بِحِيثَ يَصِيرُ ذَكْرَهُ وَحْبَهُ وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ فِي مَحْلِ هُمُومِ الْقَلْبِ وَخَطَرَاتِهِ فَيَتَوَلِّي عَلَيْهِ بَدْلَهَا ، وَيَصِيرُ الْهُمَّ كُلُّهُ بِهِ ، وَالخَطَرَاتُ كُلُّهَا بِذَكْرِهِ ، وَالْتَّفَكُرُ فِي تَحْصِيلِ مَرَاضِيهِ وَمَا يَقْرُبُ مِنْهُ ، فَيَصِيرُ أَنْسَهُ بِاللَّهِ بَدْلًا مِنْ أَنْسَهُ بِالْخُلُقِ ، فَيَعُدُّهُ بِذَلِكَ لَأَنْسَهُ بِهِ يَوْمَ الْوَحْشَةِ فِي الْقُبُورِ حَيْثُ لَا أَنِيسُ لَهُ ، وَلَا مَا يُفْرِحُ بِهِ سُواهُ ، فَهَذَا مَقْصُودُ الْاعْتِكَافِ الْأَعْظَمُ » اهـ .

إِنَّ الْخَلْوَةَ وَالْأَنْسُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّتِي يَحْيَاهَا الْمُعْتَكِفُ فِي مَعْتَكِفِهِ هِيَ بِمَثَابَةِ تَرْبِيةٍ وَتَدْرِيبٍ لَهُ ؛ لَكِي تَسْتَمِرُ تِلْكَ الْخَلْوَةُ وَالْأَنْسُ بِاللَّهِ فِي حَيَاةِ بَعْدِ الْاعْتِكَافِ ؛ حَتَّى يَتَخَلَّصَ فِي حَيَاةِ الْعَايَةِ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ مَتَعَلِّقاتِ النَّفْسِ الْمَادِيَةِ ، وَتَسْتَمِرُ تَهْيَةُ النَّفْسِ لِلْأَنْسِ بِاللَّهِ فِي وَحْشَةِ الْقُبُورِ ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ مِنْ فَوَائِدِ الْاعْتِكَافِ مَا لَا يَقْتَصِرُ عَلَى الدُّنْيَا ؛ بَلْ يَتَعَدَّهَا إِلَى الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ ، فَالْقَبْرُ أَوْلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ .

(١٧) حقيقة اتباع ومحبة الرسول ﷺ :

اعتكف المعتكف اتباعاً للرسول واستمر في اعتكافه متابعاً لهدي النبي ﷺ .

فاتبع الرسول ﷺ في جميع أقواله وأعماله يؤدي إلى أمور أساسية يسعى إليها المعتكف ، منها :

- محبة الإنسان لله عز وجل ، وهذا مطلب أساسى .

- محبة الله عز وجل لهذا الإنسان ، وهي نتيجة أساسية لاتباع الرسول ﷺ .
- غفران الذنوب من الله عز وجل لهذا الإنسان .
- ثم نتيجة تلقائية ، وهي محبة الإنسان المسلم للرسول ﷺ ، محبة فعلية والتي تأتي عن طريق الاتباع ، فالمحب الحقيقي هو المتابع لجميع أعماله وأقواله من غير زيادة أو نقصان ، ودرجة التكامل في محبة الرسول ﷺ هو التمسك بالسنة الواجبة والمستحبة على السواء ؛ لأنها دليل حقيقي على المحبة والاستكثار من الحسنات التي تأتي من طريق متابعة الإنسان المسلم لسلوكه ﷺ بصورة عامة .

قال ابن القيم - عليه رحمة الله : «لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره إلى الله تعالى متوقفا على جمعيته على الله ، ولم شعثه ياقبه بالكلية على الله تعالى ، وكان فضول الطعام والشراب وفضول مخالطة الأنام ، وفضول الكلام ، وفضول المنام ، مما يزيده شعثا ، ويشتبه في كل واد ، ويقطعه عن سيره إلى الله أو يضعفه أو يعوقه ويوقفه .»

اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعياده أن شرع لهم من الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب ، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعاوقة له عن سيره إلى الله تعالى ، وشرعه بقدر المصلحة بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراء ، ولا يضره ولا يقطعه عن مصالحة العاجلة والأجلة .

فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره ، وقطع نفسه عن كل شاغل يشغله عنه ، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقرره منه ؛ فما بقي له هم سوى الله وما يرضيه عنه » اه .

ولهذا ذهب الإمام أحمد إمام السنة إلى أن المعتكف لا يستحب له مخالطة

الناس ، حتى ولا لتعليم علم وإقراء قرآن ؛ بل الأفضل الانفراد بنفسه ، والتخلي بمناجاة ربه وذكره ودعائه .

إذا فمعنى الاعتكاف وحقيقة :

قطع العلاقة عن الخالق للاتصال بخدمة الخالق ، وكلما قويت المعرفة بالله والمحبة له والأنس به ؛ أورثت صاحبها الانقطاع إلى الله بالكملة على كل حال . كان بعضهم لا يزال منفرداً في بيته خالياً بربه ، فقيل له : أما تستوحش ؟ ، قال : كيف أستوحش وهو يقول : «أنا جليس من ذكرني» .

كيف نحصل حلاوة الاعتكاف ؟

أما كون الطاعة ذات حلاوة فيدل عليه قوله ﷺ : «ذاق طعم الإيمان»^(١) ، وقوله ﷺ : «ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان»^(٢) ، والمقصود أن ذوق حلاوة الإيمان والإحسان أمر يجده القلب ، تكون نسبة إليه كنسبة ذوق حلاوة الطعام إلى الفم .

واعلم - علمت كُلَّ خير - أن حلاوة الطاعة ملائكة في جمع القلب والهمَّ والسرُّ على الله . ويفسر ابن القيم ذلك قائلاً :

الاعتكاف هو عكوف القلب بكليته على الله عز وجل ، لا يلتفت عنه يمنة ولا يشرأ ، فإذا ذاقت الهمة طعم هذا الجمع اتصل اشتياق صاحبها وتراجعت نيرانُ المحبة والطلب في قلبه ..

ثم يقول : فللله هِمَّةٌ نفس قطعت جميع الأكون وسارت ، فما ألت عصا السير إلا بين يدي الرحمن تبارك وتعالى ، فسجدت بين يديه سجدة الشكر

(١) أخرجه مسلم (٣٤) .

(٢) متفق عليه ، البخاري (١٦) ، مسلم (٤٣) .

على الوصول إليه ، فلم تزل ساجدة حتى قيل لها : ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْتَبَتِي﴾ ﴿فَادْخُلِي فِي عِبْدِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠] ، فسبحان من فاوت بين الخلق في هممهم حتى ترى بين الهمتين أبعد ما بين المشرقين والمغاربيين ، بل أبعد مما بين أسفل سافلين وأعلى علسين ، وتلك مواهب العزيز الحكيم : ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتَيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْقَبْلَيْنِ الْعَظِيمُ﴾ [ال الجمعة : ٤] .

ثم يقول : وهكذا يجد لذة غامرة عند مناجاة ربه ، وأنسا به ، وقربا منه ، حتى يصير كأنه يخاطبه ويسامره ، ويعذر إليه تارة ، ويتملقه تارة ، ويثنى عليه تارة ، حتى يبقى القلب ناطقا بقوله : أنت الله الذي لا إله إلا أنت ، من غير تكليف له بذلك ؛ بل يبقى هذا حالا له ومقاما ، كما قال النبي ﷺ : «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»^(١) .

وهكذا مخاطبته ومناجاته له ، كأنه بين يدي ربه ، فيسكن جأسه ويطمئن قلبه ، فيزداد لهجا بالدعاء والسؤال ، تذللأ لله الغني سبحانه ، وإظهارا ل الفقر العبودية بين يدي عز الربوبية ؟ فإن الرب سبحانه يحب من عبده أن يسأله ويرغب إليه ؛ لأن وصول بره وإحسانه إليه موقف على سؤاله ..

بل هو المتفضل به ابتداء بلا سبب من العبد ، ولا توسط سؤاله وطلبه ، بل قادر له ذلك الفضل بلا سبب من العبد ، ثم أمره بسؤاله والطلب منه إظهارا لمرتبة العبودية ، والفقر وال الحاجة ، واعترافا بعز الربوبية ، وكمال غنى الرب ، وتفرده بالفضل والإحسان ، وأن العبد لا غنى له عن فضله طرفة العين ، فيأتي بالطلب والسؤال إتيانا من يعلم أنه لا يستحق بطلبه وسؤاله شيئا ، ولكن ربه تعالى يحب أن يسأل ، ويرغب إليه ، ويطلب منه ..

(١) متفق عليه ، البخاري (٤٤٩٩) ، ومسلم (٨) .

ثم قال : فإذا تم هذا الذل للعبد تم له العلم بأن فضل ربه سبق له ابتداء قبل أن يخلقه ، مع علم الله سبحانه به وتقديره ، وأن الله تعالى لم يمنعه علمه سبحانه بتقصير عبده أن يقدر له الفضل والإحسان ، فإذا شاهد العبد ذلك ؛ اشتد سروره بربه وبموقع فضله وإحسانه ، وهذا فرج محمود غير مذموم ، قال الله تعالى : ﴿فَقُلْ يَعْظِلِ اللَّهُ وَرَحْمَتِهِ فِي ذَلِكَ فَلَيَقْرَأُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس : ٥٨] « اهـ ^(١)

برنامنج الاعتكاف :

- (١) الدخول إلى المعتكاف المغرب يوم ٢٠ رمضان ، فليلة الحادي والعشرين هي أول ليلة من ليالي العشر .
- (٢) لا تنس نية الاعتكاف ، والأجر على قدر النية « إنما لكل امرئ ما نوى » ، والنية تجري مجرى الفتوح من الله تعالى ، فعلى قدر إخلاصك يفتح الله عليك بالنيات ، مثلاً :

* أتباع سنة الرسول ﷺ طلبًا لمحبة الله ورسوله .

* التماس ليلة القدر .

* جمع شمل القلب .

* التخلی عن هموم الدنيا ومشاغلها .

* مصاحبة الصالحين والتأسي بهم .

* شد المئزر في العبادة والتخلص من الكسل .

* عمارة المسجد .

(١) تهذيب مدارج السالكين (٢/٨٧٢).

* التبتل .

* التخلص من العادات وتحقيق معنى العبودية .

هذه أمثلة والفتح يأتي من الله .

(٣) أول اعتكافك الإفطار ، وتعودمنذ يومك الأول ترك العادات الملازمة والطقوس التي تصاحب الإفطار ، تعود البساطة واجتنب التكلف ، تمرات وماء وقد أفترطت .

(٤) تعلم في هذا المعتكف ألا تضيع وقتك ، فتمرات وكوب من الماء لا تستغرق لحظات ، كن يقظاً .

(٥) ثم اجلس مكانك في الصف الأول خلف الإمام ، استعداً لصلاة المغرب مع استحضار النيات في المسارعة والمسابقة إلى الصف الأول .

(٦) ابدأ المسابقة والمسارعة في المسجد لكل أعمال الخير وإن استطعت ألا يسبقك أحداً إلى الله فافعل .

(٧) أحضر قلبك وكل جوارحك ومشاعرك ، واحتفظ بكل حضورك العقلي والذهني في صلاة المغرب ، هذه أول صلاة في الاعتكاف ، وسل الله بصدق : التوفيق والإعانة وألا تخرج من هذا المكان إلا وقد رضي ربك عنك رضاً لا سخط بعده ، وأن يتوب عليك توبه صدق لا معصية بعدها ، وأن يقبل عملك ويوفقك فيه ويزنك الإخلاص في القول والعمل ، وأن يصرف عنك القواطع والصوارف ، وأن يرزقك إتمام هذا العمل ولا يحرمك خيره ، ركز في هذه الأدعية وأمثالها ، وابتله إلى ربك وتضرع ؛ فإنه لا يرد صادقاً سبحانه .

(٨) لا تتعجل وتعلم وتعود ذلك ، ألا تتعجل الانصراف بعد الصلاة ؟ فإنك لن تخرج من المسجد ، احتفظ بحرارة الخشوع بعد الصلاة أطول فترة

ممكناً، أذكار الصلاة ثم الدعاء . . ثم انشغل بذكر الله حتى يأتي وقت الطعام وتدعى إليه .

(٩) اضبط بطنك في هذا الاعتكاف ، فإن أخسر وقت تفقدمه هو الذي تقضيه في الحمام ، فكل ما تيسر ببساطة مما تم إعداده في المسجد ، ولا تأمر ولا توصى أن يأتيك الطعام من البيت أو من الخارج ، ارض بما قسم الله لك تكون أغنى الناس .

تواضع وكل مما تيسر ، وتعلم أن ما يُسْدِّد الرَّمَق ويقيم الأَوْد يكفي ، فلا تألف أن تأكل كسرة من خبز ، ولا تتألف من تصرفات مَنْ حولك أثناء الطعام ، ألزم نفسك الذل لله ، وترك التنعم في هذه الرحلة مع الله في الاعتكاف في بيته ، قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيَسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ ، وَكَانَ يَكْرَهُ كَثِيرًا مِنَ الْإِرْفَاهِ»^(١) .

(١٠) فترة الأكل لا تتجاوز خمس دقائق أو عشر دقائق على الأكثر ، وقم فوراً ، ادخل الحمام قبل الزحام ، جدد نشاطك ، توضأ ، غير ملابسك إن أمكن ، خذ مكانك في الصبّ الأول ، صل ٦ ركعات بخشوع «صلاة الاوابين» إلى أذان العشاء .

(١١) اعلم أن القادمين لصلاة العشاء يختلفون عن المعتكفين ، فقلوب مقيمة في المسجد تختلف عن قلوب أنت من الدنيا وهمومها ؛ فاحذر المخالطة «اختئ» .

(١٢) صلاة العشاء والتراويح يجب أن تختلف عند المعتكف عما ذي قبل : حضور القلب . . استشعار اللذة . . حلاؤه المناجاة . . لذة الأنس بالله . .

(١) أخرجه أحمد (٥/٢٤٣)، وحسنه الألباني (٣٥٣) في «السلسلة الصحيحة».

صدق الدعاء .. أنت رجلٌ مقيمٌ في بيت الله ، لا خروج .. لا اختلاط ..
لا معاishi .. كن أفضل .

(١٣) احرص على كل الخيرات : ترديد الأذان ، أو اجعل لك نصيحة من
الأذان ، ثم ركعتي السنة في بين كل أذانين صلاة ، ثم الدعاء بين الأذان والإقامة
والانشغال بالذكر .

(١٤) إذا انقضت صلاة التراويح أسرع إلى خبائك في المعتكف ، ودغلَك
من السلام على الناس ، وكثرة الكلام ؛ فإن ذلك يقسِي القلب ، لابد أنها
الحبيب من العزلة الشعورية الحقيقة وأن تجاهد نفسك لكي تقبل ذلك وتحبَّ
ذلك وترضى بذلك .

أسرع إلى خبائك ، ارقد وانشغل بالذكر ، وسرعان ما ستتم هذه الساعة ،
وهي مهمة طبعاً لجسمك في أول الليل ، وفيها إعاناً على النشاط في التهجد .

(١٥) هي ساعة ، ستون دقيقة تحديداً إن بارك الله فيها ستكون كافية جداً ،
استعن بالله واسأله البركة في أوقاتك وأعمالك .

(١٦) استيقظ وانطلق بسرعة ونشاط ، جدد وضوئك ، تطيب ، جل
ملابسك ، استعد ببعض الأذكار والأدعية للدخول في الصلاة ، صلاة التهجد .

(١٧) تستمر صلاة التهجد إلى ما قبل الفجر بنصف ساعة ، واجتهد في
هذه الصلاة أكثر من غيرها ، فإنه الثالث الأخير من الليل ساعة التنزل الإلهي ،
أكثر الدعاء وأصدق في اللجوء إلى الله ، جدد التوبة ، سل الله القبول .

(١٨) السحور بمتاهي البساطة والسرعة لا يتجاوز ١٠ دقائق ، ثم تجديد
الوضوء حتى ولو كنت على وضوء ، ثم التفرغ للاستغفار بالأحس哈尔 .

(١٩) سابق إلى مكانك في الصف الأول خلف الإمام ، وانشغل بالاستغفار

أسرار المحبين في رمضان

فقط : «وَيَا أَنْشَارِ هُمْ يَسْتَغْرِفُونَ» [الذاريات : ١٨] ، حاذر : لا يتسامرون .. لا ينامون .. لا يغفلون ..

(٢٠) صلاة الفجر مشهودة ، «إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا» [الإسراء : ٧٨] ، كن في أشد حالات الانتباه ، وتدبر الآيات وركز في الدعاء .

(٢١) اجلس في مصلاك بعد الصلاة ، ولا تلتفت بعد أذكار الصلاة .. أذكار الصباح المأثورة كلها لا تترك منها شيئاً .

(٢٢) اقرأ الآن بعد الانتهاء من أذكار الصباح ثلاثة أجزاء ، وهذه القراءة بنية تحصيل الأجر ، أما تلاوة التدبر فلها وقت آخر .

(٢٣) صلاة الضحى ثمان ركعات بالتمام والكمال ، احرص عليها وقد أديت شكر مفاصلك

(٢٤) آن أوان النوم والراحة ، لك أربع ساعات بالتمام والكمال نوم ، نم نوماً هنيئاً ، ورؤى سعيدة .

لا تنس قول معاذ : إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي ، فاحتسب تلك الساعات ، وأشهد الله من قلبك أنك لو استطعت ما نمت ؛ ولكن هذه النومة لا للغفلة ولكن للتنقوي على الاستمرار .

(٢٥) استيقظ قبل الظهر بفترة كافية لاستعادة النشاط وتجديد الوضوء ، وربع ساعة قبل الأذان في الصلاة على النبي ﷺ وبتركيز شديد .

(٢٦) رد الأذان ، وصل قبل الفريضة أربعاً واستغل باقي الوقت في الدعاء .

(٢٧) صل الفريضة بحضور قلب فللصلة السرية أسرار في الأنس بالله أكثر من الجهرية .

- (٢٨) صلٰ بعد الفريضة أربع ركعات ، قال رسول الله ﷺ : «من صلٰ قبل الظهر أربعاً وبعد الظهر أربعاً حرم الله لحمه على النار»^(١) .
- (٢٩) تلاوة قرآن ، أربعة أجزاء إلى ما قبل أذان العصر بربع ساعة .
- (٣٠) ربع ساعة قبل الأذان في قول : الكلمات الحبيتان «سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم» تحبّاً وطلبًا لمحبة الله .
- (٣١) صلٰ قبل الفريضة أربعاً ، قال رسول الله ﷺ : «رحم الله امرأ صلٰ قبل العصر أربعاً»^(٢) .
- (٣٢) اقرأ بعد صلاة العصر ثلاثة أجزاء وقد تمت لك الآن عشرة أجزاء قراءة .
- (٣٣) قبل المغرب بنصف ساعة أذكار المساء بتركيز ودعاة .
- (٣٤) الوقت قبل أذان المغرب في غاية الأهمية ، استحضر الدعوة المستجابة للصائم ، وأنت في نهاية اليوم وفي غاية التعب من كثرة العمل لله ، انكسر وذلٰ واطلب الأجر ، واحتسب التعب ، واسأله بتضرع أن يقبل منك عملك ، ولا تنس الدعاء بظهور الغيب لأهلك وللمسلمين ، ولن أعدم منك دعوة لي بظهور الغيب .

* * *

(١) أخرجه أحمد (٣٢٥/٦) ، وصححه شعيب الأرنؤوط .

(٢) أخرجه أحمد (١١٧/٢) ، وحسنه الألباني (٣٤٩٣) في «صحيح الجامع» .

نصائح الاعتكاف

(١) محظورات :

* ممنوع الكلام :

إياك وكثرة الكلام بغير ذكر الله ، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب ، وإن أبعد القلوب عن الله القلب القاسي .

* ممنوع الهزار :

إياك والضحك ؛ فإن كثرة الضحك ثُمِّيتُ القلب ، دعك من التهريج ، اترك المزاح تماماً أنت في بيت الملك العظيم ، الزم السمت الصالح ، وكن في هذه الفترة متواصل الأحزان .

* ممنوع الاختلاط :

لا تشغل بغيرك ، الاعتكاف في المسجد اعتكاف جاعي ومعك أناسٌ كثيرون ، الطياع مختلفة ، والبيئات متنوعة .

لا تشغل عينك بمتابعة النظر إلى الآخرين .

لا تشغل أذنك بسماع المناقشات والحوارات .

لا تشغل قلبك بالتعليق على الأحداث .

لا تشغل بغيرك .. دع الخلق للخالق .. انشغل بحالك مع الله ، حاول أن تنسى الناس .

* منع التليفون داخل المسجد :

أغلق تليفونك تماماً ، والأفضل أن تكون قد تركته في بيتك مع الدنيا ،
منع دخول الدنيا إلى بيت الله ، إن وجد فهو اتصال واحد يومياً يسمح به
فقط للاطمئنان على أهلك ، لا ربات ، ولا رسائل .

* منع الخروج من المسجد :

آخر حدود عالمك الخاص : حيطان المسجد وأبوابه ..

آخر حدود عالمك الخاص : وجوه المصليين من أهل المسجد ..

احذر أن يفلت قلبك من بين الجدران ويتتجول في الشارع ..

احبس قلبك هنا ..

* منع الكسل :

كل الوقت عمل ، وانتظر إلى البرنامج ، لا تجد دقيقة فراغ ، مطلوب على
الهمة في هذه الفترة ، فلا تفتر .

* منع الشهوات :

هذا زمن المجاهدة :

قلل طعامك .

قلل نومك ما أمكنك .

قلل كلامك ما أمكنك .

لا تتصر لنفسك ، وأحسن إلى من أساء إليك .

غضّ بصرك ، واجعل عينك على قلبك دوماً .

لا تُعجب عن الأسئلة ، ولا تعرف على أحد .

*** ممنوع الفلة :**

جُدُّ التوبَة دائمًا ، ولا تترك نفسك بدون عمل ؛ بل أعمل وادب ، وقاوم الفتور ، وإياك والكسل والدُّعَة والنوم ، واستعن بالله .

*** ممنوع الكبر :**

عند التعامل مع الآخرين ، قد تبدو تصرفات غير مقصودة ؛ ولكنها تشير إلى أمراض قلبية خطيرة من الكبر ، والغرور ، والعجب ، ورؤية النفس ، واحتقار الآخرين وازدرائهم والتعالي عليهم ، وكل هذه الأمراض محبطة للأعمال ؛ فاحذر واحتدرس ، واضبط نفسك على أدب الإسلام :

لا تنظر إلى أحد شرّا .

لا تُشِّزِّ إلى أحد ياصبعك .

لا ترفع صوتك .

لا تسخر من أحد .

إياك وتصعيير الخَد للآخرين .

احذر الغيبة والنميمة والبهتان القلبي .

فتح ثغرات أخرى لذوي الهمم العالية :

- ختمة من الفجر إلى المغرب .

- ختمة من المغرب إلى الفجر .

- صلاة ١٠٠ ركعة أو أكثر في ليلة أو يوم ، **«وَاسْجُدْ وَاقْرِب»** [العلق : ١٩] ،

كل يوم ١٠٠ ركعة في ١٠ يوم = ١٠٠٠ ركعة .

- الذكر ١٢٠٠ مرة تسبيحة في يوم وليلة كأبي هريرة .

- تكوين أكبر رصيد من الحسنات في الاعتكاف .

- الدعاء لمدة ساعة كاملة دون انقطاع .
- الدعاء في سجود لمدة نصف ساعة متواصلة .
- الدعاء بجميع أدعية السنة ، وخذ معك كتاب «مختصر النصيحة» للمقدم أو «الدعاء» للقططاني .
- تعود أن تربط المصحف بيده ، أقصد ألا تتركه من يدك أبداً ، لتكون عادة طبيعية لك بعد رمضان .
- فكر في القيام بأعمال كبيرة فئة ترفعك عند الله ، واكتبهما في كراس ووّقت لها قبل دخول الاعتكاف .
- راجع موضوع «الطفرات» في «عمره رمضان». يفتح لك ثغرات أخرى أكثر ، والله المستعان .

في نهاية فترة الاعتكاف نجد أن الصلة الإيجابية بين العبد وحالقه عز وجل قد ازدادت في استمراريتها على مدار الليل والنهار ، سكن فيها المعتكف إلى بارئه في بيته من بيوت الله عز وجل ، أحب الله عز وجل ، ووجد هذا الحب سبيلاً إلى قلبه عن طريق لزومه لبيت الله عز وجل ، معرضاً عن حياة دنيا أحبها وجمع لها ، وفطم نفسه منها لفترة الاعتكاف .

وَجَدَ هَذَا الْحُبُّ سَبِيلًا إِلَى قَلْبِهِ ، عَنْ طَرِيقِ لَزُومِ طَاعَتِهِ عَزْ وَجَلْ ، مِنْ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ ، وَقِيَامِ بِالتَّوَافُلِ الْمُتَعَدِّدَةِ ، وَتَعْتِيرِ النَّفُوسِ الْمُؤْمِنَةِ الصَّادِقَةِ مُشَاعِرَ الْحُبِّ هَذَا ، وَهِيَ تَتَمَنِي الشُّوْقَ إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ ؛ لِأَنَّهَا ذَاقَتْ لَذَّةَ هَذَا الْحُبِّ ، ذَاقَتْ لَذَّةَ الْمُنَاجَاةِ ، وَذَاقَتْ لَذَّةَ الْخُشُوعِ ، وَذَاقَتْ لَذَّةَ اهْمَارِ الدَّمْوَعِ مِنْ خُشِيَّةِ اللَّهِ وَتَعْظِيمِهِ ، وَذَاقَتْ لَذَّةَ رَاحَةِ النَّفْسِ ، وَذَاقَتْ لَذَّةَ الطَّاعَةِ بِصُورَتِهَا الْكُلِّيَّةِ ؛ فَكَانَ هَذَا الْحُبُّ الَّذِي جَاءَ نَتْيَحَةً قَرْبَ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ عَزْ وَجَلْ .

سُلْطَانِ الْمُصْنَعِ

مُكَافَاةٌ

نِهَايَةُ الْخِدْمَةِ

عمره رمضان

وأقبلت أيام الخير :

أحبتي في الله ، أقبلت أيام الخير ، وهذه الأيام تمر وتجري وتمضي علينا ، وينقضي العمر ويأتي الموت بما فيه ، وتقوم القيامة وعندئذ يتحسر الإنسان ولا تنفعه الحسرة ، ويندم ولات حين مندم ، ويقدم أعداره فلا تقبل : «يَقُولُ الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ أَنَّ الْمَرْءَ كَلَّا لَا وَرَدَ إِنَّ رَبَّكَ يَوْمَئِذٍ الشَّهَنَرٌ يَبْشُرُ الْإِنْسَنَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَلَا زَرَّ بِمَا فَرَّمَ إِنَّ الْإِنْسَنَ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرٌ وَلَوْ أَنَّ الْقَوْمَ مَعَادِيرُهُ» [القيمة : ١٥-١٠] ، نسأل الله أن يرزقنا غنية الأوقات ، قال الله عز وجل : «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ أَيْشَ وَأَنْهَارَ خَلْقَهُ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا» [الفرقان : ٦٢] جعل الليل والنهار خلفة ، يخلف أحدهما الآخر ليستدرك العبد ما فاته ، ودخول رمضان غنية تحتاج أن تغتنمها اغتناماً حقيقياً .

عظمة رمضان :

أيها الإخوة ، أرأيتم لو أن رجلاً رُزِقَ بزوجة صالحة على خلق ودين وجمال وحسب ، كيف يكون حاله ؟ ! ، إنه قد اجتمع له الخير كله ، وهذا المعنى نجده هنا ، إذا اجتمع شرف الزمان وشرف المكان وشرف العبادة ، والزمان الشريف هو رمضان ، رمضان وما أدرك ما رمضان ؟ ، شهر عظيم ، عظيم بكل معاني الكلمة ، يكفي في ذلك أن الله سماه باسمه في كتابه العزيز فقال : «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ» [البقرة : ١٨٥] ، وفرض صومه : «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلِيصُنْهُ» . يكفيك فيه قول النبي ﷺ : «من أدركه شهر رمضان فلم يغفر له فأبعده الله

في النار^(١)، ولذلك قلت مراً : إنني لا أتخيل السنة بدون رمضان ، رمضان هو ترمووتر السنة ، هو الضابط للسنة ، وكأني بحديث رسول الله ﷺ : «تحترقون تحترقون ، فإذا صليتم الصبح غسلتها ، ثم تحترقون تحترقون فإذا صلیتم الظهر غسلتها»^(٢) ، كأني بهذا المعنى في رمضان ، كان المعنى عندي تحترقون تحترقون طوال السنة ، فإذا جاء رمضان أطفأ نيران السنة كلها فهو موسم عظيم جداً .

وكما قلت بأنني لا أتخيل السنة بدون رمضان ، فإنني أقول : لا أتخيل والله وجه الأرض بدون الكعبة ، وهذا شرف المكان ، قال تعالى : «وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَكَابِيَةً لِّتَنَاءِ وَأَنَاءِ» [البقرة : ١٢٥] ، فهذه الكعبة أمان وقيام للدين ؛ لأنه إذا هدمت الكعبة قامت القيامة ، وقد قال الله عز وجل : «جَعَلَ اللَّهُ الْكَبْرَى أَبْيَتَ الْحَرَامَ قِنَائِي لِتَنَاءِ» [المائدة : ٩٧] ، قال العلماء : تقوم به أديانهم ، فقيام الدين بالكعبة أمر ظاهر .. مادامت الكعبة موجودة فالدين موجود .

لذلك ينبغي أن تفقه هذا الأمر وتفهمه إذا أردت أن تؤدي عمرة رمضان ؛ فاعرف شرف الزمان وشرف المكان .

لماذا نعتمر ؟

قال رسول الله ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ مانوي»^(٣) ، فلابد من تحرير النية وتحميسها قبل التفكير في أداء عمرة في رمضان ، وإلا

(١) أخرجه ابن حبان (٤٠٩) ، وصححه الألباني (٧٥) في «صحيح الجامع» .

(٢) أخرجه الطبراني (٩١/١) في «الصغير» ، وحسنه الألباني (٣٥٧) في «صحيح الترغيب والترهيب» .

(٣) متفق عليه ، البخاري (١) ، ومسلم (١٩٠٧) .

فإن هذا العمل العظيم - عمرة رمضان - يصبح عند فساد النية هباءً مثوراً،
تعالوا لنحرر ابتداء لماذا نعتمر في رمضان؟

أولاً : الرحلة إلى الله :

قال بعض السلف : ذكرتني هذه الرحلة بالرحلة إلى الله .

عندما تذهب إلى العمرة ، تذهب إلى من ؟ .. تدخل إلى من ؟ .. إنك تكون في رحلة إلى الله تعالى ، تفهم فيها معنى الفرار إلى الله : «**قُرْبُوا إِلَيَّ أَنْتُمْ**» [الذاريات : ٥٠] ، وترى فيها معنى الهجرة : «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه» ^(١)

فلا بد أن تفهم في العمرة أنك مهاجر إلى الله ، فار إلى الله ، مرتحل ذاهب إليه ، وهذا كله يدخل في معنى كلمة «لبيك اللهم لبيك» .

ثانياً : التلبية والفرار إلى الله :

كثير من الناس يردد هذه التلبية ولا يفهم معناها ، ولبيك معناها : جئتك يا رب .. أستجبت لأمرك .. كان بعض السلف إذا ضاق صدره دخل بيته وأغلق على نفسه الباب وقال : إلهي .. إليك جئت ، هذا المعنى تجده حقيقة في العمرة ، وأنت ذاهب إلى بيت الله تقول : يا رب جئت إليك ، لذلك فإن الذي يحس هذا المعنى لا يردد التلبية على أنها نشيد أو أغنية تقال كما يفعل كثير من الناس ، لا .. وإنما يلبي من قلبه ، بل يلبي قلبه ، فقلبه هو الذي يردد : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعم لله والملك ، لا شريك لك .

(١) أخرجه البخاري (١٠)

لذلك فإن النبي ﷺ قال : «ما من مُلْبِّ يلبي إلَّا بَيْنَ ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مَدَرْ ، حتى تقطع الأرض من هاهنا ومن هاهنا»^(١) ، فيصبح هذا الملبي مركز الكون ، كل ما عن يمينه يلبي معه ، وكل ما عن شماله يلبي معه ، وهو نقطة مركز الدائرة ، فاستشعار ذلك يملاً القلب خصوصاً وخشوعاً للملك جل جلاله ، قال جابر رضي الله عنه : «خرجنا من المدينة نصرخ بالحج صراخاً»^(٢) ، وقال رسول الله ﷺ : «خبر الحج الغَعْ والثَّجْ»^(٣) .

الحج هو رفع الصوت بالتليلة ، والثج : كثرة إراقة الدماء ، لبيك اللهم لبيك .. تقول : جئت إليك ، جئت إليك بذنب العمر .. بهموم العمر .. بماسي السنين .. بكرب الحياة .. جئت إليك وليس لي غيرك .. ومن ذا الذي أذهب إليه سواك؟! .. عيدهك سواعي كثير وليس لي غيرك .. لبيك .. عندما تقولها بهذا المعنى ؟ فسوف تكون من قلبك .. من عقلك .. من عينيك .. تكون لبيك من كل ذرة في جسمك ، بكل كيانك ، لبيك حقيقة ، فالمعنى الثاني من معاني العمرة : الفرار إلى الله ، فرار من الفتنة ، فرار من الدنيا ، فرار من الماضي الحزين إلى الله الرحيم الحنان .

ثالثاً : الهجرة إلى الله :

والهاجر من هجر ما نهى الله عنه ، وفي قصة قاتل المئة ، أمره العالم أن يخرج من بلده ؛ لأنها بلد سوء ، وأن يذهب إلى بلد آخر فيها أناس صالحون ليعبد الله معهم ، وهذا المعنى نجده في العمرة ، فأنت مهاجر إلى الله ، تركت

(١) أخرجه الترمذى (٨٢٨) ، وصححه الألبانى (٥٧٧٠) في « صحيح الجامع » .

(٢) أخرجه مسلم (١٢٤٧) .

(٣) أخرجه الترمذى (٨٢٧) ، وحسنه الألبانى (١٥٠٠) في « الصحيح » .

ذنوبك ، ومعاصيك وغفلتك .. تركت أهلك ، ودنياك ، تركت كل شيء وجنت لربك وليس معك شيء من الدنيا لتعبد الله مع الصالحين من عباده في أطهر بقعة على ظهر الأرض ؟ لذلك فلا بد أن تتكلم عن النية : لماذا نعتمر ؟ ، لماذا ذهبت إلى عمرة رمضان ؟

هل لأنها صارت عادة عندك ؟ ، وهل لو أنك لم تذهب سيمتكلم الناس عنك بسوء ؟ ، وقد يكون أحدهم قد مل من مشاكل الدنيا فيذهب إلى العمرة ليستريح من ذلك العناء ، يذهب متفرجا ، ويقول : رمضان هناك له لذة ، لا يوجد أولاد ولا مشاكل ، أو يذهب إلى الحرم لكي يرى المشايخ ويجلس معهم .. هذه كلها نيات فاسدة ، لماذا تذهب ؟

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، الرجل يغزو في سبيل الله يريد الأجر والذكر بما له ؟ ، قال ﷺ : « لا شيء له »^(١) ، فإذا اختلطت عليك النية بارادة وجه الله وإرادات آخر فسد عملك ولا شيء لك ولا أجر لك ، لابد أن تخلص من كل النيات الفاسدة وكل الآفات المهلكة ، فتنوي نية صالحة متجردة خالصة هي : الرحلة ، والفرار ، والهجرة إلى الله وحده .

رابعاً : التبتل :

إننا نحتاج أن نعمل أعمالاً جديدة ، نريد أن نقوم بأعمال لم نقم بها قبل ذلك ، هذه الأعمال الجديدة تجدد الإيمان ، تنشط الدورة الإيمانية ، ومن هذه الأعمال التبتل ، والتبتل معناه الانقطاع : « وَأَذْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ وَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبَتِّلَا » [المزمل : ٨] ، أي انقطع إليه انقطاعا .. وأنصحك أن تبحث أحياناً عن مسجد

(١) أخرجه النسائي (٣١٤٠) ، وصححه الألباني (٥٢) في « السلسلة الصحيحة » .

بعيد عن حيك ، لا تعرف فيه أحدا ، ولا يعرفك فيه أحد .. اذهب وامكت هناك يوما كاملا من العشاء للفجر ، أو من الظهر إلى العشاء ، انقطع تماما .. ليس معك تليفون ، ولا جوال ، ولا أحد يعرفك ، ولا أحد يصل إليك ويراك ، وتلبس ثيابك وتحلس مسكننا فقيرا ذليلا متمسكنا ، تنقطع عن انشغالاتك بالدنيا وتُقبل على الله بكل قلبك .

وفرصتك لذلك التبتل في الكعبة أعظم وأفضل عندما ترك زوجتك وأولادك وعملك وأملك وأصدقاءك وزملاءك وتليفوناتك وتنقطع لعبادة الله وحده لا شريك له .

إن معنى التبتل الانقطاع ، أما أن تذهب إلى هناك ومعك هواتفك وتتابع عملك من هناك . : ماذا فعلتم ؟ ، ماذا اشتريتم ؟ ، ماذا بعتم ؟ ، هذا ليس معنى التبتل .

أنت قلت : ليك لا شريك لك ، فلماذا جعلت معه شركاء ، ليك يا الله .
أم ليك للمصنع ؟ ، ليك يا الله أم ليك للشركة ؟ ، هل تقول : نعم أنا معك لكن أنا أيضا مع الناس ومع مصالحي وشهواتي وأمالي الدنيوية ... هذا لا يصح أبدا .

الملك لا يرضى ذلك ، ولا يقبله ، إما هو وحده وإلا فلا ..

تبتل .. انقطع .. اترك كل شيء خلف ظهرك ، حاول أن تنسى الدنيا بما فيها ومن فيها ، لذلك إليك أن تتكلم وأنت هناك في التليفون كل الأيام بل أجعله للضرورة فقط كان تطمئن على زوجتك وأولادك ، فالنبي ﷺ كان معتكفا وجاءت إليه السيدة صفية رضي الله عنها تزوره ، وخرج معها فأوصلها إلى بيتها ، فتعلمنا من هذا جواز السؤال للأطهتان على الزوجة والأولاد . كل عمل بدليل إنه شرع ودين .

لا بأس أن تطمئن على أهلك ، بل هذا هو المطلوب منك أن تسأله عن أخبارهم ، وتطمئن على أحوالهم ؛ لأنهم مسؤوليتك ، والرسول ﷺ يقول : «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»^(١) ، هذه مسؤولية شرعية وليس دنيا ، أما المصنوع والعمل فدعك من كل هذا .

نريد أن نعيش حياتنا يوماً بيوم ، فما أسرع موت الناس اليوم ، اللهم ارزقنا حسن الخاتمة ، نريد أن نستفيد من موت الناس من حولنا لا نعيش الدنيا باتساعها .. بطول الأمل فيها ، بل عش كل يوم جزئية مستقلة بذاتها .

أيتها الإخوة ..

نحن اليوم على قيد الحياة ، وغداً في علم الله ، لا ندرى ماذا يكون فيه ، فأنقن عبادتك في يومك ودعك من كثرة الشواغل ، وحقق معنى التبتل وهو الانقطاع للعبادة

ودعني أنتقل معك مرة ثانية إلى النيات : لماذا نذهب إلى العمرة ؟

لأن في هذا جواباً كثيراً من الإشكالات ، فإن بعض الناس يذهب إلى العمرة ، ثم يأتي يشكوا ويقول : ذهبت إلى العمرة ، ولكنني لم أجده قلبي .. كنت أظن أنني سأكون هناك في قمة الإيمان وأأشعر بروحانية كأنني أطير في السماء وأعيش في الجنة ، كنت أظن أنني سأموت من الفرح والسعادة ، ولكنني لم أجده شيئاً من ذلك للأسف الشديد ! ، إن كثيراً من المسلمين يعيش وهما .. وهما حقيقة .. يظن أنه بمجرد أن يذهب ويرى الكعبة سيطير بجناحين !!

أقول : لا يا أخي ، بل هذا الأمر يحتاج إلى عمل إلى عبادة حتى يحصل لك ما تمناه .. أنت لماذا ذهبت إلى هناك ، لو قلنا : للتبتل ، فهذا يعني أنك

(١) متفق عليه ، البخاري (٨٥٣) ، مسلم (١٨٢٩) .

ذاهب لعبادة الله ، صلاة وذكر ودعاء وطواف وقراءة قرآن واستغفار . . إن فعلت ذلك وداومت عليه وجدت ثمرته وإنما فلا ولكل سلعة ثمن .

بعض الناس يذهب فيقوم بالعمرة فقط ، ثم يذهب ليجلس في الفندق ويصلّي في المسجد المجاور للفندق ! ، وكأنها سياحة !

وبعض الناس - للأسف الشديد ! - يقضي أيامه هناك نائماً ، حتى في الاعتكاف في العشر الأواخر ، تجده يصلّي الظهر ثم ينام ، ويصلّي العصر ثم ينام ، فمن أين إذا تجد قلبك ؟ ! ، وكيف بحالك هذه تجد قلبًا ؟ !

حج الإمام مسروق بن الأجدع التابعي المعروف فما نام إلا ساجداً ، إنه لم يضع جنبه على الأرض ، وما نام على ظهره ، وإنما كان يغلبه النوم وهو ساجد ، ما نام على سرير ، ولا استلقى على ظهره ! ، كان يصلّي طوال الوقت ، فكان من طول الصلاة ينام وهو ساجد ، هذه هي الهمة ، إننا نذهب بنيّة التبتل ، فلابد أن نعمل حقيقة ، ونجتهد في هذا العمل .

من يذهب بنيّة التبتل لابد أن يكون له برنامج عمل يقوم به ، ينظر أيهما أفضل : الصلاة أم الطواف أم تلاوة القرآن أم الذكر أم حضور مجالس العلم ، ماذا يعمل ؟ ، وماذا يقدم ؟ .

يقول العلماء : إن كل عمل لا يؤدي إلا في محل وقت فهو واجب الوقت .

فأفضل الأعمال ما كان موافقاً لمكانك ووقتك ، فعندما تكون في الحرم ؛ دروس العلم موجودة لكنها موجودة في أماكن أخرى وفي أوقات أخرى ، تستطيع أن تجلس فتنشغل بالذكر ، لكن الذكر له أوقات غير محددة ، بل تستطيع أن تذكر في أي وقت وفي أي مكان ، إذا الطواف يُقدم ، تقرأ فيه القرآن وتدعوا وتذكرة . لأن الطواف لا يوجد إلا حول الكعبة ، وهذا محله وهذا وقته فهو أولى ، وهذا من فقه العبادة . .

بعض الناس لا يطوف إلا طواف العمرة فقط ، وهذا فهم خاطئ ، بل كلما وجدت السبيل للطواف طف ، كلما دخلت الحرم ووجدت السبيل للطواف طف .

وقد تجد من يقول : الطواف فيه اختلاط ، والنساء يسرن إلى جوارك وخلفك وأمامك ، أقول : وهل وقت الطواف يشعر فيه الإنسان بالنساء ؟ ، إنك تحتاج إلى علاج قوي من البداية ، لابد أن تفهم أولاً ما هو قدر الكعبة ، ولا بد أن تفهم معنى الحب معنى حب الله سبحانه .

فحين تفهم معنى الحب ، وتعرف الله سبحانه ، وتعرف أنك في بيته ، وتعرف قدر بيته سبحانه وتعالى ، وأنت تطوف حول بيت حبيبك بالحب ؛ فلن تشعر ساعتها بمن حولك .

ولكن بعض الناس أساء إلى الحب ، فالحب معنى ، والعلماء يقولون : الألفاظ قوالب المعاني ، فلو أنك وضعت المعنى في قالب معين فإنك بهذا تضيّقه . . تُصْغِرُه ، فلو أردت أن تقول لإنسان : ما هو الحب ؟ ، فقد أخطأت في الحب .

الحب معنى فلا يوضع في قالب ، ولا يُحَجَّم ، الحب معنى سام جداً ، معنى عالي ، وخصوصاً إذا تكلمنا عن حب الله ، فهو معنى يُحس . . يُعاش ، ولا يُوصف ، هذا ما أطالبك به ؛ أن تذهب إلى العمرة بالحب ، وبالطبع إضافة الشرطين الآخرين الخوف والرجاء ، وكذلك أن تصوم رمضان بالحب والخوف والرجاء ، أن تصلي بحب وخوف ورجاء ، وهكذا كل عباداتك وأحوالك مع الله ، ساعتها ستعيش معاني لا تستطيع أن تصفها ، إذا سئلت : بماذا تشعر ؟ ، تقول : أشعر أنني أحب الله جداً . . أحس أنني أحب الله حباً شديداً ، هذا المعنى لا يوصف وإنما يُحسن فقط .

وهناك معان في الإسلام لا تفسر مثل : قرة العين ، والسكينة ، والحب ، فهذه أشياء لا توصف ، لا تعلم ، لا أستطيع أن أعلمك كيف تحب الله ؛ وإنما أستطيع أن أقول لك : افعل كذا لكي يحبك ..

الشاهد : أنك عندما تشرع في الطواف تتذكر عظمة هذا البيت . . وشدة شوقك إليه ، أحد الإخوة عندما ذهب إلى العمرة أول مرة ونظر إلى الكعبة قال : سأصاب بالذهول . . بيت ربنا فيه قطعة من الجنة : الحجر الأسود من الجنة ، قال رسول الله ﷺ : « نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم »^(١) ، فإذا لمست الحجر الأسود فقد لمست شيئاً من الجنة .

ذهبت جارية إلى الحج ؟ فقالت لمن برفقتها : أين بيت ربى ؟ ، فكانوا يقولون لها : اصبري حتى تري بيت ربك ، فلما دخلوا المسجد الحرام ورأوا الكعبة قالوا لها : هذا بيت الله ، فجرت وهرولت وهي تقول : بيت ربى .. بيت ربى ، حتى وضعت خدها على الكعبة فما رفعوها عن جدار الكعبة إلا ميتة !!

هذا هو المعنى ، وهم الذين شعروا به وأحسوا ، بيت ربى . . بيت ربى !! ، إحساسك عندما ترى الكعبة بأن قلبك قد طار والتصق بالكتبة .. بيت ربك . . بيت حبيبك .. بيت الله ، هذا هو المطلوب .. الله الذي لم تر منه إلا خيراً ، هو الذي أوصلك إلى الكعبة ، فله الحمد والمنة سبحانه وتعالى .

فإذا وصلت إلى هذا البيت ورأيته ولمسته وأنت الآن تطوف حوله ، إن

(١) أخرجه أحمد (٣٠٧/١) ، وصححه الألباني (٢٦١٨) في « الصحيح ».

المشتاق ساعتها لا يحس بمن حوله ، وإن المحب ساعتها لا يدرى من بجواره ، لأنه يطوف حول بيت حبيبه يناجيه وكأنه وحده معه .

سادساً : صحبة الرسول ﷺ في حجة :

هذه نية غالبة بهمة عالية ، قال رسول الله ﷺ : «عمرة في رمضان كحجۃ معي»^(١) ، لو استشعرت عظمة هذا الوعد النبوی الصادق ، ألمك إذا اعتمرت في رمضان عمرة صادقة بنية خالصة ومتبعة بياحسان على منهج النبي ﷺ ؛ تكون كأنك حججت مع النبي ﷺ ، يالله من عمرة !! .. بل ركضة إلى الفردوس الأعلى .. انٍ صادقاً .. وإنما لكل امرئ ما نوى .

سابعاً : مغفرة الذنوب المتقدمة :

قال رسول الله ﷺ : «الجمعة إلى الجمعة ، والعمرة إلى العمرة ، ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»^(٢) ، فانظر إذا اجتمعت لك جمعة في رمضان في العمرة فقد اجتمعت لك ثلاثة أسباب لمغفرة الذنوب المتقدمة في وقت واحد ، فهذا حري أن تعود كيوم ولدتك أمك وصحيفتك بيضاء نقية لا ذنب فيها .

فالزرم نفسك تلك النية ، ألمك تريد أن تُغسل من ذنوبك ، وتغتسل من خططياك وآثامك ، وتتطهر من غدراتك وفجراتك ، تريد أن تبدأ حياة جديدة بتاريخ ميلاد جديد ؟ لتكون عبداً جديداً للله عز وجل .. فأقبل ولا تحف ..

ثامناً : أعلى القصور من أعلى الأجرور :

لا شك أنّ تاجرًا حريصًا ، وخبيرًا خيرًا لا يرضي بالغبن في تجارتة ، فضلاً عن خسارته ، وقد رأينا أنّ التجار يسافرون إلى أقصى بلاد الأرض طلباً لربح

(١) متفق عليه ، البخاري (١٧٦٤) ، مسلم (١٢٥٦) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٣) .

زائد، فكيف بـرجل عمره قصير، وأجله قريب، وعمله قليل، وجهده ضعيف؛ أمامة فرصة أن تُخسِّب له الركعة بمائة ألف، والتسبيحة بمائة ألف، والحرف من القرآن بمائة ألف.

والله، إنه لفوز عظيم، وفرصة لا تُتوَضَّع، إنها حقاً غنية باردة، لا تعجب من تكرار هذه الكلمة معنا؛ فـ**وَاللَّهُ أَنَا لَا أُدْرِي كَيْفَ أَشْكُرُ اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النِّعَمَةِ الْعَظِيمَةِ، وَلَا أُدْرِي إِلَى أَيِّ مَدْرِي سَيِّلَغُ حُبُّ الْقَلْبِ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعْلُقُهُ بِهِ بَعْدَ هَذِهِ الْمِثْنَةِ الْجِسْمَ.**

فإنه سبحانه وَعَدَ على الحسنة عشر أمثالها، وقلنا: رضينا ربِّي، ثم وعد على الدرهم بسبعينة في الإنفاق، فقلنا: رضينا ربِّي، وجعل النفقة في الحج والعمراء كالنفقة في سبيل الله بسبعينة ألف أيضاً؛ فقلنا: رضينا ربِّي؛ فإذا بالكريم يزيدنا: أنَّ الحسنة هناك في بيته الحرام في الكعبة بمائة ألف، وفي مسجد حبيبه المصطفى ﷺ الحسنة بألف قياساً على الصلاة، وهذا مذهب ابن عباس تَعَلَّمُونَا في المسألة: أنَّ كل الأعمال تُضاعف في الحرمين الشريفين.

فأقبل يا بطَّال؛ فرصة العمر، **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِنُ أَسْتِيَّاتٍ ذَلِكَ ذَكْرُ اللَّذِكِيرَاتِ** **وَأَصْبَرَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** [مود: ١١٥-١١٤].. اغتنم هذه الفرصة وارحل إلى عمرة رمضان؛ تجد المضاعفات من الخيرات، والبركات والحسنات، والفرص والمكافآت.

ولا يفوتي أن أحذرك أن مذهب ابن عباس تَعَلَّمُونَا هذا في غاية الخطورة؛
فإنه ثبت عنه تَعَلَّمُونَا أنه انتقل من مكانة إلى الطائف، فقبل له: أترغب عن البلد الحرام؟ قال: وما لي لا أرحب عن بلدي تُضاعف فيه السيئات كما تُضاعف فيه الحسنات. فكما بشَّرْتُك أحذرك؛ أنه إذا كانت الحسنة بمائة ألف؛ فالسيئة بمائة ألف.

ولعله يدلّك على هذا قولُ الله عز وجل : «وَمَنْ يُرِدُ فِيهِ إِلْحَاقاً يُظْلِمُهُ نُذِيقُهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ» [الحج: ٢٥] فتُوعَدُ بعذابٍ أليمٍ لمجرد الإرادة ، وهذا مُسَامَحٌ فيه في غير هذا المكان ؛ فدلل على أن المعاشي تضاعف عقوباتها لشرف المكان .

ولاني وإن كان يبهرني أن يكتب لك مئة ألف قيراط في الجنة بصلة جنازة واحدة ، القيراط كجبل أحد ، تصديقاً بحديث رسول الله ﷺ ؛ إلا أنه يُفزعني أن نظرة واحدة إلى وجه امرأة في الحرم تكتب بمئة ألف ريبة .

الخلاصة : لماذا نعتمر في رمضان؟

- (١) ليجتمع لنا أفضل الأعمال في شرف الزمان ، وشرف المكان ، وشرف الأعمال .
 - (٢) الرحلة إلى الله .
 - (٣) الفرار إلى الله .
 - (٤) الهجرة إلى الله .
 - (٥) التبتل والانقطاع والتفرغ لله .
 - (٦) صحبة رسول الله ﷺ في حجة .
 - (٧) مغفرة الذنوب المتقدمة .
 - (٨) أعلى القصور من أعلى الأجرور .
- ثم تعال إلى العمل نفسه : كيف نعتمر ؟

كيف تعتمر ؟

- (١) النية : وقد قدمنا تحريرها .

(٢) لابد من تعلم أحكام العمرة قبل السفر ، واعلم أن ذلك فرض عين عليك في هذا العلم ، فلابد من أن تعلم كيف تؤدي العمرة على سنة النبي محمد ﷺ .

أحكام الإحرام : لأن كتابنا ليس كتاباً فقهياً ؛ فإننا ستحدث عن أسرار شعائر العمرة ، ويمكنك مراجعة أحد الكتب الفقهية لإتقان الشعائر ، ولكن ببساطة اعلم أن أركان العمرة أربع : الإحرام ، والطواف بالبيت سبعاً ، والسعى بين الصفا والمروة سبعاً ، والحلق أو التقصير .

والليك أخي أسرار الإحرام :

أولاً : تعظيم لمقام الملك جل جلاله ، لا تدخل بيته أول قدومك عليه إلا بلباس هو يشترطه .

ثانياً : من أسرار لباس الإحرام أن تخلع كل شيء إلا ثوبين أبيضين ، فهو أنقص من الكفن ، فالكفن ثلاثة أثواب ، لتشعر بذلك الاستغناء عن الدنيا بأكملها ، فأنت لا تحوز منها في هذا الحال إلا هذين الثوبين ، غنياً به سبحانه وحده ، مستغنياً به عن كل ما سواه .

ثالثاً : في هذه الملابس وفرضها على كل من أحجم للحج أو العمرة شعور بأن الناس سواسية أمام الله عز وجل ، فكلهم غنيهم وفقيرهم ، صغيرهم وكبيرهم ، الأمير والوزير ، والعامل والحقير ، الكل قد كشف رأسه خصوحاً وإذاعناً لذى الجلال ، لا يتميز أحد على أحد ، الكل قد خلع اسم دكتور أو مهندس أو وزير أو أمير ، وخضع الكل لاسم عبد ، وهذا من أجل ما في الموقف ، أن تنسى وظيفتك ومقامك الدنيوي ويثبت لك نسبتك إلى الله عز وجل عبد مريوب مقهور مطيع يلزم رسم الأدب وحدود الطاعة .

رابعاً : من أهم مشاهد الإحرام أن تشهد عند نزع ملابس الدنيا ثم اغتسالك

ولبس الإزار والرداء فحسب كأنه أتاك ملك الموت فنزع روحك ، وغسلوك وكفنوك ، فلما باشرت الأهوال قلت كما يقول كل ميت : «**حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتَ قَالَ رَبِّيْ أَرْجُمُونِ ۝ لَعَنِّيْ أَعْمَلُ صَلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ**» [المؤمنون : ٩٩-١٠٠] وقد بقيت لك فرصة فقيل لك : ارجع ، فرجعت بكفتك تنادي بأعلى صوتك .. ليك اللهم ليك ، إذا استشعرت هذا ، كل الذي قلته لك ، استشعرته فعلا ، فتخرج ليك اللهم ليك من عين قلبك بكل مشاعر وأحساسين رجل أعطى فرصة أخيرة لمهلة وجيزة ، فأقبل على ربه يقول ليك .. أي جئت .. جئت .. ملزما لطاعتك .. خاضعا لك .. مقينا على ذلك ..

وأيضاً من أسرار الإحرام أنه تربية شديدة دقيقة لتعلم الطاعة المطلقة دون تدخل العقل في أوامر الله ، فممنوع في الإحرام لبس ساتر خاص غير الإزار لحفظ العورة المغلظة ، ممنوع الطيب ، ممنوع قص الشعر ، ممنوع قص الأظافر ، الصيد ممنوع ، والزوجة ممنوعة ، سبحان الملك إنه إحرام !!

خامساً : إحرام القلب قبل إحرام الجسد ، إنك حين تنوى العمرة تتبعي وجه الله ، لابد أن يحرم القلب ابتداء بتوبة نصوح قبل الجسد ، فكما يخلع الجسد ملابس الدنيا للإحرام ويلبس ملابس الآخرة ، فلابد أن يخلع القلب أيضاً هم الدنيا ، ويلبس هم الآخرة ، فلا تلفته أثناء العمرة الصوارف ولا تقطعه القواطع .

(٤) التلبية :

لكي تلبي من قلبك ؛ لابد أن تفهم معنى كلمة ليك ، وهي في الشرع كما هي في اللغة ، المقصود واحد ، فافهم معناها لتلبي ولا تغبني ، معنى ليك : إجابة ولزوما لطاعتك ، وقيل معناها : اتجاهي وقصدني إليك ، وقيل معناها :

محبتي لك ، وقيل معناها : إخلاصي لك ، وقيل معناها : أنا مقيم على طاعتك ، وقيل معناها : قرباً منك ، وقيل : أنا ملب بين يديك ، أي خاضع . والحقيقة أن معنى ليك هو كل ما سبق .. كل ذلك ؛ فقلها من قلبك .

(٥) رؤية بيت الله .. الكعبة بيت النور :

لما أضاف الله تعالى ذلك البيت إلى نفسه ونسبة إليه بقوله عز وجل لخليله : «وَطَهَرَ يَتِي لِلطَّاهِينَ وَالْقَابِمِينَ وَالرُّكْجَ الشَّجُودِ» [الحج : ٢٦] ، تعلقت قلوب المحبين ببيت محبوبهم ، فكلما ذكر لهم ذلك البيت الحرام حثوا ، وكلما تذكروا بعدهم عنه أتوا ..

فلله درها من رؤية !! .. رؤية البيت .. لحظات كأنها ليست من الدنيا ..

بيت خلق من الحجر .. وأضيف إلى الله فصار مغناطيساً أفتدة الرجال ..

بيت من وقع عليه طرفه بشر بتتحقق الغفران ..

بيت من طاف حوله ؛ طافت اللطائف بقلبه ، فطوفة بطوفة ، وشوطه بشوطه ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟

بيت ما خسر من أنفق على الوصول إليه ماله ..

بيت ما ربح من ضن عليه بشيء ..

بيت من زاره نسي مزاره ، وهجر دياره ..

بيت لا تستبعد إليه المسافة ..

بيت لا ترك زيارته لحصول مخافة أو هجوم آفة ..

بيت من صبر عنه ؛ فقلبه أقسى من الحجارة ..

بيت من وقع عليه شعاع أنواره ، تسلى عن شموسه وأقماته ..

بيت ليس العجب من بعده عنه كيف يصبر ، إنما العجب ممن حضره كيف يرجع !

عن ابن عباس رضي الله عنهم ، عن النبي ﷺ أنه قال : «ينزل على هذا البيت كل يوم مائة وعشرون رحمة : ستون للطائفين ، وأربعون للمصلين ، وعشرون للناظرين»^(١) .

ولله كم في رؤية البيت من نفحات ونفحات ومعان عطرات ..

عجبًا للبيت .. عجبًا للكعبة .. أي سر في النظر إليها .. والله إنها ليست من الدنيا هذه اللحظات ..

آيات تحير الألباب .. وجمال ينسيك الدنيا بأسرها .. وجلال دموع العين عنه جواب .. أي سر بين البيت والعين إذا ما نظرته .. وبين دموعها ..

(٦) الطواف :

أولاً : لو لم يكن للطواف من فضل إلا قول الله تبارك وتعالى : «وَطَهَرْتَ
بَيْتَكَ لِطَائِفَيْنَ وَالْقَاعِدَيْنَ وَالرُّكْعَيْنَ وَالسُّجُودِ» [الحج : ٢٦] ، لكفاه . فقد استعمل الله الأنبياء لتطهير بيته للطائفين ، وقدمهم على غيرهم .

قال رسول الله ﷺ : «الطواف بالبيت صلاة ، ولكن الله أحل فيه المنشط ، فمن نطق فلا ينطق إلا بخير»^(٢) .

ثانياً : كان رسول الله ﷺ إذا طاف بالبيت استلم الحجر والركن في كل طواف ، وكان يلتصق صدره ووجهه بالملتزم .

(١) أخرجه الطبراني (١١/١٩٥) في «الكبير» ، وضعفه الألباني (١٧٦٠) في «ضعيف الجامع» .

(٢) أخرجه ابن حبان (٣٨٣٦) ، وصححه الألباني (٣٩٥٤) في « صحيح الجامع» .

قال المُنْتَاوِي : تبَرَّكَ وَتَيَمَّنَ بِهِ سَمِيُ الْمُلْتَزِمُ ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَعْتَقُونَهُ وَيَضْمُونَهُ إِلَى صُدُورِهِمْ ، وَصَحَّ أَنَّهُ مَا دَعَا بِهِ ذُو عَاهَةٍ إِلَّا بِرَءَى ، أَيْ بَصْدَقِ الْيَةِ وَتَصْدِيقِ الشَّارِعِ وَالْإِخْلَاصِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مَا يَعْلَمُهُ أَهْلُ الْاِخْتَصَاصِ .

عن محمد بن المنكدر عن أبيه قال ، قال رسول الله ﷺ : « من طاف بالبيت أسبوعاً لا يلغو فيه كان كعدل رقبة يعد له »^(١) .

ثالثاً : عن محمد بن المنكدر قال : قال رسول الله ﷺ : « من طاف بهذا البيت أسبوعاً فاحصاه ؛ كان كعشق رقبة ، لا يضع قدمًا ولا يرفع أخرى إلا خط الله عنه بها خطيئة وكتب له بها حسنة »^(٢) .

رابعاً : الابتداء بالحجر ؛ لأنّ وجب عند التشريع أن يعين محلّ البداءة وجهة المشي ، والحجر أحسن مواضع البيت ؛ لأنّ نازل من الجنة ، واليمين أيمان الجهتين .

وطواف القدوم بمنزلة تحية المسجد ، إنما شرع تعظيمًا للبيت ؛ لأن الإبطاء بالطواف في مكانه وزمانه عند تهيؤ أسبابه سوء أدب ، وأول طواف بالبيت فيه رمل واضطباب ، وذلك لمعانٍ : منها ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما ، من إخافة قلوب المشركين ، وإظهار صولة المسلمين ، فهو فعل من أفعال jihad ، وهذا السبب قد انقضى ومضى ، ومنها تصوير الرغبة في طاعة الله ، وأنه لم يزده السفر الشاسع والتعب العظيم إلا شوقًا ورغبة .

(٧) تقبيل الحجر :

وأعظم ما في الطواف تقبيل الحجر :

(١) أخرجه ابن حبان (٣٦٩٧) ، وصححه الألباني (١١٤٣) في « صحيح الترغيب والترهيب » .

(٢) أخرجه أحمد (٢/٣) وصححه الألباني (١١٤٠) في « صحيح الترغيب والترهيب » .

* الحجر .. وما أدرك ما الحجر !! .. إنه من الجنة .. يا الله .. من الجنة شيء على الأرض ثم لا نشاق إليه !! .. ثم لا نذر الدموع عنده وحاليه !! .. ثم لا نلثمه بشفاه القلوب ووجيئها !! ..

قال رسول الله ﷺ : «الحجر الأسود من الجنة»^(١).

وقال رسول الله ﷺ : «كان الحجر الأسود أشدَّ بياضاً من الثلج حتى سودته خطايا بني آدم»^(٢)، نقل الحافظ في الفتح عن المحب الطبرى قوله: في بقائه أسود عبرة لمن لا بصيرة له ، فإن الخطايا إذا أثرت في الحجر الصلد ، فتأثيرها في القلب أشد.

يا هذا .. سودت الخطايا الحجر وهو من الجنة ، وأنت من التراب ومن الأرض ، فانظر سودته وهو صلد ، أفلأ تُسْوَدُ القلب إذا عصى وهو من لحمِ ودم!!

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً : «إن الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة ، طمس الله نورهما ، ولو لا ذلك لأضاء ما بين المشرق والمغرب» .

* وقال ﷺ : «إن مسع الحجر الأسود والركن اليماني يحطان الخطايا حطا»^(٣) ، فيالجود عطاء الملك .. وبالله من حجرِ كريم ميمون يأتي مَسْخَه بغفران الذنوب .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «لولا مامس

(١) أخرجه أحمد (٣٠٧/١) ، وصححه الألباني (٢٦١٨) في «ال الصحيحين » .

(٢) أخرجه أحمد (٣٠٧/١) ، وصححه الألباني (٢٦١٨) في «ال الصحيحين » .

(٣) أخرجه أحمد (٨٩/٢) ، وصححه الألباني (٢١٩٤) في « صحيح الجامع » .

الحجر من أنجاس الجاهلية ما مسه ذو عاهة إلا شفي ، وما على الأرض شيء من الجنة غيره^(١) .

* عن ابن عباس مرفوعاً : «إن لهذا الحجر لساناً وشفتين ، يشهد لمن استلمه يوم القيمة بحق»^(٢) ، وقال رسول الله ﷺ : «ليأتين هذا الحجر يوم القيمة له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به ، يشهد على من استلمه بحق»^(٣) .

* أخي . . لقد بوب العلماء لتقبيله وفضله والمزاومة عليه .

فقد قبل عمر ابن الخطاب الحجر ثم قال : والله لقد علمت أنك حجر ، ولو لا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك .

قال القاسم بن محمد : رأيت ابن عمر يزاحم على الركن حتى يدمى وقال : هوت الأفتدة إليه ، فلاريد أن يكون فؤادي معهم .

و عن عبد الله بن عمر أنه استلم الحجر ثم قبل يده ، وقال : ما تركته منذ رأيت رسول الله ﷺ يقبله .

(٨) صلاة ركعتين خلف المقام :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت سبعاً ، ثم صلى خلف المقام ركعتين^(٤) .

فبعد أن تنتهي من الطواف أخي الحبيب ؛ صلّى ركعتين سُنة الطواف خلف مقام إبراهيم ، أو حيث تيسر بقدر إمكان التقرب منه ، ثم حاول أن تقف على

(١) أخرجه البهقى (٧٥/٥) ، وصححه الألبانى (٢٦١٩) في «الصحيحين» .

(٢) أخرجه أحمد (٢٦٦/١) ، وصححه الألبانى (٢١٨٤) في « صحيح الجامع» .

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٧/١) ، وصححه الألبانى (٥٣٤٦) في « صحيح الجامع» .

(٤) متفق عليه ، البخارى (٣٨٧) ، مسلم (١٧٠٠) .

الملتزم بين الحجر وباب الكعبة ، الصق بطنك وصدرك وركبتيك ووجهك بالكعبة ، وناج ربك .. وناد ربك من قريب ، وهنا تسكب العبرات وتحس بالقرب الحقيقي من باب مولاك .. ثم انطلق بعدها إلى زمزم .

(٩) التضليل من زمزم :

فضل زمزم :

* زمزم .. وما أدراك ما زمزم !! .. ركضة جبريل عليه السلام ، هزمه الملك ، سقيا إسماعيل ، برة الشباعة ، إيه يا شرب الأبرار ..
إيه يا خير ماء .. ويا سيد المياه ..

* قال وهب بن منبه : نجدها في كتاب الله ، يعني زمزم ، شراب الأبرار ، مضئونه ، طعام طعم ، شفاء من سقم ، لا تُنْزَح ولا تُنْدَم .

* غسل قلب النبي ﷺ بماء زمزم ، اشرب وتضليل واغسل قلبك ، عن أنس ابن مالك : كان أبو ذر رضي الله عنه يحدث أن رسول الله صلوات الله عليه وسلم قال : «فرج سقفي وأنا بمكة ، فنزل جبريل عليه السلام فخرج صدري ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بخطست من ذهب ممتلي حكمة وإيمانا ، فأفرغها في صدري ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي فخرج إلى السماء الدنيا ، قال جبريل لخازن السماء الدنيا : افتح ، قال : من هذا ؟ ، قال : جبريل »^(١) .

* خير ماء على وجه الأرض ، خير ماء تشربه لتكون من خير أمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم : «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم ، فيه طعام من طعم ، وشفاء من السقم»^(٢) .

(١) متفق عليه ، البخاري (٣٤٢) ، مسلم (١٦٣) .

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٧٣) .

* لا يتضلع منه منافق ، عن عثمان بن الأسود ، حدثني عبد الله بن أبي مليكا قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : من أين جئت ؟ ، فقال : شربت من زمز ، قال : شربتها كما ينبغي ؟ ، قال : وكيف ذا يا أبا العباس ؟ ، قال : إذا شربت منها فاستقبل القبلة واذكر اسم الله ، وتنفس ثلاثة وتضلع منها ، فإذا فرغت منها فاحمد الله ، فإن رسول الله ﷺ قال : «إن آية ما بيتنا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمز»^(١) .

هذا الحديث قرة عين للمخلصين الصادقين ، ويفضح المنافقين فحذار ، فإن زمز اختبار لقلبك ، والتضلع : هو الإكثار من الشرب حتى يتمدد الجنب والأضلاع ، فيقال : شرب فلان حتى تضلع أي : انتفخت أضلاعه من كثرة الشرب .

* ماء زمز لما شرب له ، لماذا تشرب من زمز ؟ ، قال رسول الله ﷺ : «ماء زمز لما شرب له»^(٢) .

قال الحكيم الترمذى لشارب ماء زمز :

إن شربه لشبع أشباعه الله .

إن شربه لري أرواه الله .

وإن شربه لشفاء شفاء الله .

وإن شربه لسوء خلق حسنة الله .

وإن شربه لضيق صدر شرحه الله .

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٠٦١) ، وضعفه الألباني (٣٠٥٢) في «ضعيف ابن حبان» .

(٢) أخرجه أحمد (٣٥٧/٣) ، وصححه الألباني (٨٨٣) في «الصحيحين» .

وإن شربه لانفلاق ظلمات القدر فللقها الله .

وإن شربه لغنى النفس أغناه الله .

وإن شربه لحاجة قضاها الله .

وإن شربها لأمر نابه كفاه الله .

وإن شربه للكربة كشفها الله .

وإن شربه لنصرة نصره الله .

وبأية نية شربه من أبواب الخير والصلاح وفي الله له بذلك ؛ لأنه استغاث بما أظهره الله تعالى من جنته غياثاً .

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنا نسميها شباعة - يعني زمزم - وكنا نجدها نعم العون على العيال .

* قال وهب بن منبه : والذي نفس وحب بيده لا يعمد إليها أحد فيشرب منها حتى يتضلع إلا نزعت داء وأحدثت له شفاء .

يقول ابن القيم - عليه رحمة الله : جربت أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أموراً عجيبة ، واستشفيت به من عدة أمراض فبرئت بإذن الله .

(١٠) السعي بين الصفا والمروءة :

* السر في السعي بين الصفا والمروءة على ما ورد في الحديث ، أن هاجر أم إسماعيل عليها السلام لما اشتد بها الحال ، سعت بينهما سعي الإنسان المجهود ، فكشف الله عنها الجهد بإبداء زمزم وإلهام الرغبة في الناس أن يعمروا تلك البقعة ، فوجب شكر تلك النعمة على أولاده ومن تبعهم ، وتذكر تلك الآية الخارقة لتبيه بهمتهم وتدلهم على الله ، ولا شيء في هذا مثل أن يغضّ عقد

القلب بهما بفعل ظاهر منضبط مخالف لمؤلف القوم ، فيه تذلل عند أول دخولهم مكة ، وهو محاكاة ما كانت فيه من العناء والجهد ، وحكاية الحال في مثل هذا أبلغ بكثير من لسان المقال .

* إذا دنوت من الصفا فاقرأ قوله تعالى : ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ سَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ حَجَّةَ الْيَتَمِّ أَوْ أَغْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطْوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة : ١٥٨] ، ثم قل : نبدأ بما بدأ الله به ، ثم ابدأ بالصفا فترتقي عليه حتى ترى الكعبة إن أمكنك ذلك ، وتستقبل الكعبة وتوحد الله وتكبره وتقول : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قادر ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، قل ذلك ثلاث مرات ، وتدعوا بين التهليلات بما شئت من الدعاء المأثور ، ثم انزل لتسعى بين الصفا والمروءة ، فامش إلى العلامة الموضوعة عن اليمين وعن اليسار ، وهو المعروف بالميل الأخضر ، ثم اسع سعيًا شديداً إلى العلم الآخر الذي بعده ، وكان في عهده رسول الله وادي أبطح فيه دفاق الحصى ، وقال رسول الله : « لا يقطع الأبطح إلا شدًا »^(١) .

ثم امش صعدًا حتى تأتي المروءة فترتقي عليها ، وتصنع فيها ما صنعت على الصفا من استقبال الكعبة والتكبير والتوحيد والدعاء ، وهذا شوط .

* ثم تعود حتى ترقى على الصفا ، تمسي موضع مشيك وتسعى موضع سعيك ، وهذا شوط ثان ، ثم إلى المروءة وهكذا حتى يتم لك سبعة أشواط نهاية آخرها على المروءة ، وإن دعوت في السعي بقولك : « رب اغفر وارحم

(١) أخرجه أحمد (٤٠٤/٦) ، وصححه الألباني (٢٤٣٧) في « الصحيح ». .

إنك أنت الأعز الأكرم^(١) ، فلا بأس ؛ لثبوته عن ابن مسعود وابن عمر والمسيب بن رافع وعروة بن الزبير .

مشاهد العبودية في العمرة :

المشهد الأول : استشعار المنة :

لابد في البداية من معرفة فضل الله عليك بأن أذن لك بهذه العمرة ، فالكعبة حجّة لك أو عليك ، الملك جل جلاله أدخلك بيته .. أستحق هذا ؟ ، والله لا أحد من المخلوقين يستحق ذلك ولكنه فضل الله الكريم ، ولو عامل الله العباد بما يستحقون ؛ فمن ذا الذي يستحق أن يدخله الله بيته ؟ ! ، فلذلك ينبغي أن نظل مستشعراً فضل الله عليك ، أن أكرمك ، وأدخلك بيته ؛ فاحمده على ذلك .

الكعبة حجّة لك أو عليك ، فكم من أناس أكثر منك مالاً ، وأصبح منك جسماً ، وأعلى منك همة في طلب الدنيا ؛ ولكنه لم يذهب إلى العمرة أليس كذلك ؟ .. وكم من أناس معهم المال الكثير ويستطيع أحدهم أن يأتي بتأشيره العمرة في ساعة واحدة وهو جالس في بيته ؛ أولاً يحتاج إلى تأشيرة أصلاً بل هو من أهلها ولكنه حرم من العمرة ؛ لأنه لا يهتم بذلك ، لا يعنيه ذلك ، لم يقذف الله في قلبه هذه الرغبة ، ليس عنده شوق إلى بيت الله ؛ لذلك نريد الشوق إلى بيت الله ..

كنت جالساً ذات يوم في الحرم أمام الكعبة وفوجئت بعض الإخوة يقولون : تعال ياشيخ من فضلك ، قلت : ماذا حدث ؟ ، قالوا : هناك رجل نريد أن تراه ، دقيقة واحدة ، لن نأخذ من وقتك كثيراً ، فذهبت معهم ،

(١) صحيح موقوفاً على ابن مسعود وابن عمر ، وصححه الألباني في «مناسك الحج» ص ٥٣ .

فوجدت رجلاً كبير السن يرتدي ملابس الإحرام ويجلس على الأرض فقالوا: هذا الرجل طاف ثلاثة أشواط فقط من طواف العمرة ولا يريد أن يكمل الطواف، فقلت له: لماذا يا حاج؟، هل أديت العمرة؟، قال: لا، قلت: فلا بد أن تطوف سبعة أشواط، فقال: لقد تعبت، قلت: إذا نأيتك بكرسي متحرك لتكمel عليه الطواف، فقال: لماذا، وهل أنا مقعد مشلول؟!

قلت: لا عليك، استرخ قليلاً، نم ساعة أو ساعتين في الفندق ثم تعال أعمل عمرة من البداية مرة أخرى، أو تكمل الطواف بعد أن تستريح الآن، يمكن أن تستريح ثلث ساعة ومadam الفاصل لم يطل أكمل الطواف وليس ثمة مشكلة، هيا أكمل أربعة أشواط أخرى؛ فقال: لا، يكفي ذلك!، قلت: إذا أرجع ولكن احتفظ بثياب الإحرام ثم تعال غداً لتأدي العمرة، فقال: لا، لقد مللت من هذه الثياب وسوف أخلعها!، عندئذ شعرت أني سأجن.. ماذا حدث؟!، كم من ملايين الناس يتمنون المجيء إلى هنا ولا يستطيعون، وهذا يأتي أمام الكعبة ولا يريد إكمال العمرة!!.

ولما جلست وحدى أخذت أفك في هذا، فلله الحجة البالغة، قلت:
 هذا من باب إقامة حجة الرب على العبد؛ لأن العبد يظل يقول: يا رب أريد أن أعتمر.. أتمنى عمرة.. لو أديت العمرة فسوف أهتمي وسوف تتحسن أحوالى، وحتى لا يأتي يوم القيمة ويقول: يا رب لو وفقتني لعمرة لاهتيت، فيقول الله له بهذه المواقف: بل هأنذا أعطيك عمرة، وأتيت بك حتى وصلت إلى بيتي، ولكنك لم تهتد ولم تتحسن، فيكون وجود الكعبة وذهابك إلى هناك وأدائه للعمرمة من باب إقامة الحجة عليك أو لك.

المشهد الثاني : شعار العمرة . . ليك ليك ، لا تنس ملازمة الطاعةوالعبادة :

أيها الإخوة ، إنك إذا ذهبت إلى العمرة ، فلابد أن يكون لك برنامج تقوم به ، تفاجأ بأن كثيراً من الناس يضيع وقته في لا شيء ، لا يدرى أين يذهب ، ولا يدرى ماذا يصنع ، ويبحث عن الشيخ فلان والشيخ فلان فيقول : رأيت الشيخ فلاناً هنا ، وتجد من يذهب يتوجول في شوارع مكة ، ويهتم بالشراء والتليفونات وشراء الملابس والهدايا .

لماذا جئت !! ، هذا السؤال لابد أن يحكم تصرفاتنا ، لماذا جئت ؟ .

لابد من برنامج : ستطوف كم مرة في اليوم ؟ ، ولا تقل لي : كيف أكثر من الطواف مع هذا الزحام ؟ ، بل طف وأكثر من الطواف .

واعلم أن الزحام رحمة ، كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يجلس في الحرم ، فرأى رجلاً يطوف وهو يحمل أمّه على رأسه ؛ فاسرع وقام وطاشه ، ثم بعد أن قضى طوافه قال : والله ما كانت لي رغبة في الطواف غير أنني لما رأيت هذا يطوف وهو يحمل أمّه ؛ ظنت أن سينزل الله عليه رحمة ؛ فأردت أن يصيّبني شيء منها .

لذلك أقول لك : قد يكون من بين هؤلاء الطائفين رجلٌ مرحوم فتنزل عليه وعليك رحمة ، أنت لا تدري من الذي سيرحم في كل هؤلاء ، ولا تدري من هو المخلص في كل هؤلاء الناس ، لا تدري من في هؤلاء الناس ينظر الله إليه برحمة ، فلا تخف من الزحام .

يوم في حياة معتمر :

رَئِبْ لَك بِرَنَامِجًا ، وَلَوْ أَرْدَنَا أَنْ نَضَعْ بِرَنَامِجًا يَوْمًا ثَابِتًا فَسَيَكُونُ لِأَصْحَابِ

الهمة العالية الراغبين في الفردوس الأعلى من الجنة ، الذين يريدون أن يرجعوا من العمرة وقد رضي عنهم ربهم ؛ فأقترح عليك :

١- أن تطوف في اليوم أربع مرات .

٢- تقرأ كل يوم عشرة أجزاء لختتم كل ثلاثة أيام .

٣- تصلي مائة ركعة في اليوم .

٤- استغفر ألف مرة .

ولا أقصد ألف مرة تحديدا وإنما للتكرير ، لا أقصد تحديد العمل وإنما أقصد كثرة العمل ، لو عشت حياتك الإيمانية هكذا في مكة أثناء العمرة تكون قد وصلت للهدف من العمرة ، وإياك والمشاغل الفارغة هناك .

* وأريدهك وأنت تصلي في الحرم أن ترى الكعبة أمامك ، دعك من أولئك الذي يصلون على السطوح بحجة أن صحن الطواف مزدحم وفيه نساء ، أريد أن تظل الكعبة أمام عينيك طول الوقت ؛ لكي تؤثر فيك ، وتلهب مشاعرك ، وتوقظك ، وتفيقك ، اقترب منها ، فقد تنزل عليها رحمة فتنال منها نصيبا ، والقرب من الكعبة أيضا يجعلك في وقار واحترام .. يجعلك في هيبة واحتشام على الداوم .

* وأنبهكم إلى أن النبي ﷺ قال : «وصلة في مسجد الكعبة بمائة ألف صلاة فيما سواه»^(١) ، الصلاة في المسجد بمائة ألف صلاة ، وخارج باب الحرم بوحدة .

المقصود : اجعل لك برنامجا ولا ترك نفسك على هواها ، والتزم ونافس

(١) أخرجه الطبراني (١/٧٠٠) في «الأوسط» ، وصححه ابن عبد الهادي في «التفقيق» (١١١/٢).

غيرك ، وتابع وحاسب كل ليلة ، في هذا البرنامج تنوي أن تطوف أربع مرات في اليوم ، هذا على الأقل ، قال رسول الله ﷺ : «من طاف بالبيت أسبوعاً لا يلغو فيه غفر له ما تقدم من ذنبه»^(١) ، قف أمام الحجر الأسود وارفع يدك لتشير إليه ، وانو بقلبك الطواف ، واجعل في نيتك أنك ستطوف ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك .

وتجدد من يأتي ليسأل : لو لمست امرأة في الطواف يتقضض وضوئي أم لا؟ ، إذا أحست أنك مسستها توضاً ، ولكن الأصل أنك تطوف بكل جوارحك فلا تشعر بأي شيء يحدث حولك .

طف حول الكعبة .. حول بيت ربك وعينك على الكعبة ، وتخيل كيف كان سيدنا إبراهيم يعني وإسماعيل يساعديه .. وكيف كان المشهد عندما كان النبي ﷺ يضع الحجر الأسود .. تتذكر عبد الله بن مسعود عندما ضرب وهو يقرأ سورة الرحمن .. تطوف بالكتبة وتذكر سيدنا موسى وهو يطوف حولها .

تتذكر النبي محمد ﷺ وهو مضطجع في ظل الكعبة وخباب بن الأرث يقول له : يا رسول الله ، ألا تدعوا لنا؟ ، ألا تستنصر لنا؟ .

تلك هي الحياة وهذا هو الإيمان ، تلك هي الطاعات ، هذا هو الطعام واللذة الحقيقية .

نحتاج أن نطوف في ذروة الحر ولا نبالي ولو مرة واحدة ، وفي ظلمة الليل ولا نبالي بالنوم .. وفي شدة الزحام وتشعر أنك تطوف وحدك .. عيشوا هذه الحياة أيها الإخوة .. عيشوا هذه المعاني ، دعوكم من هذه الحياة الكدرة التي نعيشها هنا .. لتخلص منها قليلاً ، ولنعش معاني الإيمان بقلوبنا .

(١) أخرجه ابن حبان (٣٦٩٧) ، وصححه الألباني (١١٤٣) في « صحيح الترغيب والترهيب » .

الركعة هناك بمائة ألف كما أخبر النبي ﷺ ، والله سبحانه وتعالى يقول : «وَاسْجُدْ وَاقْرِبْ» [العلق : ١٩] ، وقال النبي ﷺ لريعة بن كعب الأسلمي : «فأعني على نفسك بكثرة السجود»^(١) ، وقال لثوبان : «عليك بكثرة السجود ، فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيبة»^(٢) .

صل ألف ركعة .. صل ألفي ركعة .. صل عشرة آلاف ، وهناك يستحب عدم إطالة الصلاة بل تكثير الركعات ، فليس من الفقه أن تمسك المصحف وتظل طوال الليل في ركعتين ، بل زد عدد الركعات .

ومن عجب أن ترى من يجلس والإمام في الصلاة ، الإمام يصلى القيام وهو يجلس يتكلم في الدنيا ، قم يا بني صل ، يقول لك : الرسول ﷺ لم يزد في رمضان ولا غيره على أحد عشرة ركعة ، ويظل يناقش ويخرج بغير فائدة . دعك منه .

أكثر الصلاة ، صل صلاة الضحى من بعد الشروق حتى قبل الظهر بثلث ساعة ، صل خمسين أو ستين ركعة من الظهر إلى العصر ، ومن المغرب إلى العشاء ، ومن العشاء إلى الفجر ، صل ركعات كثيرة .. الركعة بمائة ألف ، ولا تدري ماذا سيقبل؟ ، ربما تقبل سجدة فترحم بها ، صل وزد في الصلاة واستشعر معانيها .

المشهد الثالث : أنت هنا في بيته ، فاطلب وأنت قريب :

ومن العجيب أنك تجد في الطواف مجموعة من الناس يمشون خلف واحد منهم يمسك كتاباً ويقرأ أدعية الطواف : دعاء الشوط الأول ، وهم يرددون

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩) .

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٨) .

خلفه بغير أي فهم لما يقول : هل هو يقرأ أم يدعوه؟ ، هل هم يرددون فقط ألم يدعون ويطلبون من الله جل جلاله؟ .. دعك من هذا الكلام الرسمي .
أريدك أن تدعوا من قلبك .. قل ما في قلبك .. اطلب من الله ما تريده ..
أشك لربك .. قل :

يا رب ، أنا متعب .. أنا ضعيف .. ومتعبون .

يا رب .. هذه المعاشي التي ارتكبها لا أدرى كيف تجرأت على فعلها! ..

يا رب ، خذ بيدي .. يا رب تب علي ..

يا رب اصرف عني السوء والفحشاء والمعاشي .. يا رب نجني .. يا رب لو تركتني سأضيع ..

يا رب ليس لي غيرك ، قل ما في نفسك وادع الله بما في قلبك ودعك من التكلف ، واستشعر عظمة الطواف ، واستشعر وأنت تطوف وعينك على الكعبة أنك تكلم الله من جوار بيته .. يا رب .. جئت إليك في بيتك فهل ستطردني ؟!

يا رب ، إن كل مزور يكرم زائره ، وقد جئت إليك ، فهل تركني أرجع بذنبي كما جئت بها؟! ، يا رب ، أنت أكرم .. أنت أعظم .. أنت أحلم ..
 يا رب ، اغفر لي .. لن أرجع مرة أخرى إلى داري محملاً بالذنوب ، وإلا فالموت هنا أفضل لي .. يا رب ، أقبض روحي أمنتي ، لكن لن أرجع كما جئت .. يا رب ، جئت إليك وأنت الطبيب تعالجني ..

هكذا كلام ربك ، ناجه واطلب منه .. اشك إليه ..

ابداً دعاءك بحمد الله ثم الصلاة على رسول الله ﷺ ، فإن النبي ﷺ سمع

رجلًا يدعو في صلاته فلم يحمد الله ولم يصل على نبيه فقال : «لقد عَجَلْتَ هذا»^(١) ، قبل أن تطلب أي شيء من الله أبدأ بالحمد والثناء عليه سبحانه ، وشكره على نعمه ، ثم صل على النبي محمد ﷺ ثلثاً ، ثم بعد ذلك اطلب .

النبي ﷺ علمنا في دعاء القنوت أن يقول : «اللهم اهدني فيما هديت»^(٢) ، فهو الذي هدى سحرة فرعون يملك أن يهدينا ..

سبحان الملك !! ، فلانة الممثلة وفلان المطرب ؛ الله هداهم ، فتقول : يا رب ، اهدني فيما هديت ، يا رب ، كما هديت هؤلاء اهدني ، وكما تبت عليهم تب علي ، وكما أصلحتهم أصلحني .. تضرع إلى الله واخفض صوتك وابك له .

اقرب من الكعبة وقف تحت الباب في الملتم وتعلق ، وتكلم من تحت عتبة الباب ، باب الكعبة ، بث هنك لربك ، أدخل رأسك في الحجر الأسود وقبله وابك ، ثم صل ركعتين في حجر إسماعيل كأنك داخل الكعبة ، وارتken على الكعبة وقل : يا رب ، أسلمت ظهري إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، لا ملجا ولا منجا منك إلا إليك .

هكذا عش حياتك الإيمانية ؛ طواف وصلاة ، وقراءة قرآن وذكر ودعا ، هناك في عمرة رمضان أعمال فذة تمثل طفرات في الإيمان ، انفرد وحدك ، تركت زوجتك وأولادك وأهلك وجنت هنا في الحرم فلا بد أن تنظم وقتك ، لاسيما مع عدم وجود المشاكل عندك الآن .

وهنا يبدو للبعض أن يسأل : أيهما أفضل : حج الماء مع صحبة أو

(١) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، والألباني في «صفة الصلاة» ص ٨٦ .

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٠ / ١) ، وصححه الألباني (٢٠) في «مشكاة المصايح» .

الاعتمار مع صحبة ، أم وحدك ؟ ، لا شك أن الصحبة معينة ، والمنافسة نافعة ، والمتابعة مشجعة ، ولكن الانفراد هو الأولى ؛ فلذلك يمكنك أن تجتمع بين الأمرين ، أن تجلس معهم ساعة الإفطار ، أن تراهم في صلاة الجماعة ، وفي غير ذلك انفرد بنفسك بعيداً عنهم ، اجلس بين أناس لا يعرفك فيهم أحد ، اجلس وحدك ، وابداً في عمل بل أعمال لم تعملها قبل ذلك في عمرك ، كما فعل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ختم القرآن في ركعة واحدة أوتر بها في الجبجر .

المشهد الرابع : طفرات إيمانية :

لابد من طفرات إيمانية ، وفرصتك هناك في العمرة أفضل لكي تخرج من بئر الحرمان ، وتجربة الحسرات ، ومن وهة الغفلة ، ومن وادي المعاصي ، لابد من طفرات إيمانية ترفعك عالياً لتخرج من هذه الغفلات المتتالية .

أولاً : ختم القرآن في ركعة :

في هذه الأوقات والأماكن اختم القرآن في ليلة كما فعل عثمان ، قد تقول لي : وهل هذا ممكن ؟ ! ، هل يمكن ختم القرآن في ليلة ؟ ! ، أقول : نعم ، وهذا هو فعل عثمان .

استعن بالله وسوف يوففك الله لذلك ، اقرأ بعد الفجر ، وبعد الظهر وبعد العصر ، وبعد المغرب ، وبعد العشاء ستحتم ختمة وأنت مستريح بتؤدة . . قم بعملها مرة ، إنك تحتاج إلى طفرة كهذه . . طفرة كبيرة في أعمال الإيمان ؛ لتخليص من رق الذنوب التي تعيش فيها .

ثانياً : طواف وصلاة :

أيضاً من الطفرات المطلوبة أن تطوف سبعة أشواط ثم تصلي ركعتين ؛ ثم

تطوف سبعة أخرى وركعتين ، ثم سبعة أخرى وركعتين ، هكذا طوال الليل من بعد العشاء حتى الفجر ، تبقى في الطواف فقط ، صحيح ستؤلمك قدماك ، وستتألم من ظهرك وقد تصاب بالصداع ؛ ولكنها مرة لله عز وجل .

ثالثاً : قيام الليل مئة ركعة : ومن الطفرات المطلوبة أيضاً أن تصلي من العشاء إلى الفجر ركعتين ركعتين ، وتعبر حاجز المائة ركعة لتسجيل عند الملك في السابقين الفائزين ؛ لأنك ذكرت الله فذكرك .

رابعاً : قلة النوم :

ومن الطفرات الإيمانية أيضاً أن تقلل ساعات نومك ما استطعت .. رحم الله مشايخنا ، كنا قديماً نعيش الثلاثاء يوماً من رمضان في الكعبة على التمر وماء زمزم فقط .

طعام خفيف لا تحتاج معه إلى حمام ولا تصاب بمجعف في البطن ، ولا تشعر بكثرة النوم ، بل تجد خفة ورقه ، ودائماً أقول : لو لم يكن في كثرة الأكل آفة إلا كثرة دخول الحمام لكتفي .

خامساً : طفرة حياتية :

نريد طفرة حقيقة في حياتك عموماً ، جرب أن تقلع عن الشاي شهراً ، تترك أكل اللحوم شهراً ، لن يحدث لك شيء لن تموت ، لابد من طفرة في حياتك الإيمانية ، أصنع أشياء لم تعملها من قبل ، صل صلاة النبي ﷺ في الليل ؛ صل في الركعة الأولى بالبقرة وأل عمران والنساء ، واجعل ركوعك مثل ذلك وسجودك مثل ذلك ، ثم تصلي الركعة الثانية بالمائدة والأنعام ، فتضعي الليل في ركعتين عملاً بسنة النبي ﷺ كما ثبت في حديث حذيفة في الصحيحين .

افعلها ولو لمرة واحدة في حياتك .

المشهد الخامس : الأنس بالله :

قال رسول الله ﷺ : «عمرة في رمضان تعدل حجة معي»^(١) ، ليست مجرد حجة ، بل حجة مع النبي ﷺ ، تستشعر وأنت تقوم بأداء العمرة في رمضان أنك مع النبي محمد ﷺ ، حين تشعر أنك تحج مع النبي ﷺ تشعر بالأنس ، وكثيراً ما قلت : قال العلماء : إن في معاني الإيمان معلم على الطريق ، من لم يرها فإنه لم يسر فقط ، لم يسلك الطريق .

أول معلم منها : الأنس بالله ، من لم يشعر بالأنس فهذا لم يسر في الطريق ؛ فإن أول معلم في الطريق الأنس بالله ، هذا المعلم إذا أحسست به اطمأننت أنك تسير في الطريق ، نسأل الله عز وجل أن يرزقنا الأنس به ، وعلامة الأنس به الاستيحاش من الخلق ، فلا تأتنس بالناس ، فتحب الخلوة ، والانفراد عن الناس ؛ لتأنس بالله ، وخصوصاً وأنت في بيته عنده سبحانه ، جئت إليه فارزاً من الناس ، مهاجراً إليه ، طالباً للجوء الإيماني كي يؤويك ، استشعر المعنى ثم اطلبه بإلحاح تجده .

المشهد السادس : تعظيم أمر رمضان :

رمضان شهر عظيم كريم ، وفي حديث أبي هريرة أن رسو الله ﷺ قال : «إن الله كتب أجره ورحمته وبركته للناس قبل أن يدخله»^(٢) ، الله كتب رحمته للناس في رمضان قبل دخول رمضان ، وكتب إثمه وشقائه وحرمانه قبل أن يدخله ، يكتب الله من هو المرحوم ومن هو المحروم ، فمن تعظيم أمر رمضان أن تتحرى مواطن الرحمة ، فإذا ذهبت عند الكعبة اجتمع لك شرف

(١) متفق عليه ، البخاري (١٧٦٤) ، مسلم (١٢٥٦) .

(٢) أخرجه أحمد (٣٧٤ / ٢) ، وصححه شعيب الأرنؤوط .

المكان وشرف الزمان ومضاعفة الأعمال ، فليس الصيام فقط يتضاعف ، بل هناك قيام وذكر وتلاوة قرآن وطواف وإطعام طعام ، وأعمال برب وتقى لا تعد ولا تحصى ، وشرب ماء زمزم ، وسعي بين الصفا والمروة وتقبيل الحجر ، وصلة في الحجر .

ومس الركن اليماني ، والوقوف في الملائم ، والصلة خلف المقام ، والصلة في حجر إسماعيل ، كل هذه أعمال لا تيسّر إلا هناك ؛ فلذلك نتعتمر في هذا الشهر التماساً لبركة تلك الأعمال مجتمعة هناك ، فأشعر قلبك أنك أتيت إلى هنا وتفعل كل هذه الأفعال طليباً لتعظيم هذا الشهر العظيم لأن الله عظمته .

مسألة المكث في مكة أفضل من المكث في المدينة :

تجد بعض الناس يقول : سوف أنتهي من العمرة ثم أذهب إلى المدينة ؛ لأن مكة مزدحمة ، وأنا أشعر بارتياح قلبي في المدينة أكثر .

وهذه مسألة الترجيح فيها بالهوى ، مسألة تقليد الناس واتباع أقوال العامة أن المدينة أكثر راحة عن مكة ، وهذا مفهوم خاطئ ، ومن تلبيس إبليس .

لا نريد أن ننساق وراء كلام الناس ، لابد أن يكون كلامنا منضبطاً بالشرع : في مكة توجد الكعبة بيت الله ، وفي المدينة يوجد مسجد رسول الله ﷺ ، ولا ينبغي أن نخلط بين ما لله من حق ، وما لرسوله ﷺ من حق ، الرسول ﷺ دعا للمدينة فقال : « اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد »^(١) ، وقال ﷺ : « اللهم إن إبراهيم حرم مكة وأنا أحرم المدينة »^(٢) ، فالدعاء أن تكون

(١) متفق عليه ، البخاري (١٧٩٠) ، مسلم (١٣٧٦) .

(٢) أخرجه أحمد (٣٩٣/٣) ، وصححه شعيب الأرنؤوط .

المدينة مثل مكة ، والمقارنة بين مكة والمدينة واضحة ، الصلاة في مكة بمائة ألف ، وفي المدينة بألف ، فأيهما يكون أربع ؟

إنك تجد في كتاب الله عز وجل الثناء على مسجد الكعبة ، فain ما يقابلها في مسجد الرسول ﷺ ! ، ولست بهذا أهون من أمر مسجد رسول الله ﷺ - عياداً بالله - ؛ وإنما نضع الأشياء في موضعها الصحيح ، نعطي كل شيء حجمه اللائق به ، وهذا من العدل الذي أمرنا الله به ، ومن الفقه الذي نريد دلالة الأمة عليه حتى لا يفوتها عظيمُ الأجر ، أليس النبي ﷺ قال في مكة : «وَاللَّهُ لَأَنْتَ أَحَبُّ بِلَادَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَأَحَبُّ بِلَادَ اللَّهِ إِلَيَّ»^(١) ، والمسجد الحرام هو أول مسجد وضع على ظهر الأرض ، وليس بقعة في الأرض يشترط لدخولها الإحرام والتجرد من الملابس إلا مكة .

إن مكة هي مكة ، والمدينة هي المدينة ، فمحدد هدفك من عمرتك ولا تختر ما يوافق هواك ، بل اختر ما هو خير لك في آخرتك ، إننا نحب مسجد رسول الله ﷺ ليس من أجل النبي ﷺ فحسب بل نحبه لله ابتداء ، هذه الأمور لابد أن تنضبط انضباطاً صحيحاً لا غلو فيه ولا جفاء .

فاعتكافك في مكة يختلف عن اعتكافك في المدينة ، صلاتك في مكة تختلف عن صلاتك في المدينة ، لا تظن أنني بذلك أنهك عن الذهاب إلى المدينة ، كلا .. بل يستحب زيارة مسجد الرسول ﷺ فاحرص على ذلك .. أسأل الله جل جلاله أن يتبع لنا بين الحج والعمرة ، وأن يرزقنا العمرة في رمضان دائمًا ولا يحرمنا منها ، وأن يرزقنا الإخلاص فيها .

* * *

(١) أخرجه أبو يعلى (٥/٦٩) ، وقال حسين سليم أسد : رجاله رجال الصحيح .

الفصل الحادي عشر

نسائم الأسرار

اقعد على جانب وادي السحر؛ فلعل إيل القوم تمر بك . . . منهم
تعلمتِ الحمام التَّرْحُ و والإبلُ الحنينا . . . وأَسْفَ المتقاعِدِ عنهم، واحسِرَةً
البعيدِ منهم .

نسائم الأسحار

قال تعالى : «**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلِيَصُمِّمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعَذَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أَخْرَىٰ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْمُسُرَ وَلَتُكَبِّرُوا أَلْهِدَةَ وَلَا تُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَكُمْ وَلَا لَكُمْ شُكُورٌ ﴿٨٥﴾** وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِ قَرِيبٍ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَبِسْتَجِبُوا لِي وَلَيَوْمَئِنْوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» [البقرة: ١٨٥-١٨٦].

قال تعالى : «**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِ قَرِيبٍ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَبِسْتَجِبُوا لِي وَلَيَوْمَئِنْوا بِي لَمَّا هُمْ يَرْشُدُونَ» [البقرة: ١٨٦].**

في وسط سياق الآيات التي تتحدث عن الصوم ، نجد لفتة عجيبة إلى أعمق النفس وخفايا السريرة ، نجد العوض الكامل الحبيب المرغوب عن مشقة الصوم ، والجزاء المعجل على الاستجابة لله ، نجد ذلك العوض وهذا الجزاء فيقرب من الله ، وفي استجابته للداع ، تصوره ألفاظ شفافة تکاد تنير : «**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِ قَرِيبٍ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**». .

فإنني قريب .. أجيب دعوة الداع إذا دعان .. أية رقة ؟! ، وأي انعطاف ؟! ، وأية شفافية ؟! ، وأي إيناس .

وأين تقع مشقة الصوم ومشقة أي تكليف في ظل هذا الود ، وظل هذا القرب ؟! ! وظل هذا الإيناس .

وفي كل لفظ في الآية كلها تلك النداوة الحبيبة : إضافة العباد إليه سبحانه ، والرد المباشر عليه منهم سبحانه ، لم يقل لهم : فقل لهم إنني قريب ، إنما

تولى بذاته العلية الجواب على عباده بمجرد السؤال .. قریب .. ولم يقل : أسمع الدعاء .. إنما عجل بإجابة الدعاء : «أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» .. إنها آية عجيبة .. آية تسكب في قلب المؤمن النداوة الحلوة ، والود المؤنس ، والرضى المطمئن ، والثقة واليقين .. ويعيش منها المؤمن في جناب رَضْنِي وقربى ندية ، وملاذ أمين وقرار مكين .

وفي ظل هذا الأنس الحبيب ، وهذا القرب الودود ، وهذه الاستجابة السريعة من الله يوجه الله تعالى عباده للاستجابة له ، والإيمان به ، لعل هؤلاء يقودهم إلى الرشد والهدایة والصلاح ، فالشمرة الأخيرة من الاستجابة هي لهم كذلك ، وهي الرشد والهدى والصلاح ، فالله غني عن العالمين .

والرشد الذي ينشئه الإيمان وتنشئه الاستجابة لله هو الرشد المطلوب للحياة السعيدة التي ترضي الله ، واستجابة الله للعباد مرجوة حين يستجيبون له وهم يرشدون ، وعليهم أن يدعوه ولا يستعجلوه ، فهو يقدر الاستجابة في وقتها بتقديره الحكيم ، فسبحان من أطمع المطيع والعاصي ، والداني والقاصي في الانبساط إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأمانى بقوله تعالى : «أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» ..

تدل هذه الآية على تعظيم حال الدعاء من وجوه :

الأول : كأنه سبحانه وتعالى يقول : عبدي .. أنت إنما تحتاج إلى الواسطة في غير وقت الدعاء ، أما في مقام الدعاء فلا واسطة بيني وبينك .

الثاني : أن قوله سبحانه وتعالى : «وَإِذَا سَأَلَكَ عَبْرَادِي» يدل على أن العبد له ، وقوله : «فَإِنِّي قَرِيبٌ» يدل على أن رب للعبد .

والثالث : لم يقل : فالعبد مني قريب ؟ بل قال : أنا منه قریب ..

وانظر إلى كرم الجود الذي إذا لم يُسأل يغضب ، قال تعالى : «**فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَانٍ تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسْتَ قُلُوبَهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**» [الأنعام: ٤٣] ، وقال تعالى : «**فَلَمَّا يَعْبُرُوا يَكُنُّ رَقَّ لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِرَازَامًا**» [الفرقان: ٧٧] ، وقال رسول الله ﷺ : «من لم يسأل الله يغضب عليه» ^(١).

فالدعاء تذلل وخصوص ، وإختبات وانطراح على سُدَّةِ الكريمة ، قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ حَسِيبٌ كَرِيمٌ ، يَسْتَحِي إِذَا رُفِعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدِيهِ أَنْ يَرْدِهَا صِفْرًا خَائِبَتِينَ» ^(٢).

وإن لم يكن رمضان وقت الدعاء المستجاب ، ففي أي شهر يكون الدعاء ؟ ، وهو وقت الشفاعة الذابلة والطاعة الكاملة ، والبطون الضامر ، وقت نزول الملائكة ، وقت فتح أبواب الرحمة وأبواب السماء.

ولكن أبواب السماء تحتاج إلى مفاتيح تفتح بها ؛ فإن الله جل جلاله بحكمته ورحمته جعل لكل شيء سبباً ، وأمرنا بالأخذ بالأسباب لتصلك إلى مراده سبحانه وتعالى من غير أن تتعلق بها ؛ فهو سبحانه غني عن الأسباب ، ولكنها من سنن الله الربانية أن تكون البداية من العبد في إظهار الافتقار وال الحاجة والله يتم له ويعطيه أكثر من مراده .

ولذلك جمع العلماء للدعاء آداباً وأسباباً يرجى لمن التزمها أن يحوز دعاؤه القبول ، أحب قبل أن ندعوه قبل أن أذكر لك طرقاً من عيون دعاء الصالحين ؛ أن أسردها لك ابتداء .

(١) أخرجه أحمد (٤٤٢/٢) ، وصححه الألباني (٢٤١٨) في « صحيح الجامع » .

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٨٨) وصححه الألباني (١٧٥٧) في « صحيح الجامع » .

أسرار المحبين في رمضان

آداب الدعاء :

(١) أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ، ورمضان من الأشهر ، ويوم الجمعة من الأسبوع ، ووقت السحر من ساعات الليل .

(٢) أن يغتنم الأحوال الشريفة :

وإليك بعض الأوقات والأحوال التي يستجاب فيها الدعاء :

* وقت التنزل الإلهي :

قال ﷺ : « إن في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيراً من أمر الدنيا والآخرة ؛ إلا أعطاه إياه وذلك في كل ليلة »^(١).

* في السجود :

قال رسول الله ﷺ : « وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء ، فقمن أن يستجاب لكم »^(٢).

* أن يبيت على ذكر فيتعار من الليل فيدعوه :

قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يبيت على ذكر طاهراً فيتعار من الليل فيسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله له »^(٣).

* عند الأذان :

قال رسول الله ﷺ : « إذا نودي بالصلاحة فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء »^(٤).

(١) أخرجه مسلم (٧٥٧). (٢) أخرجه مسلم (٤٧٩).

(٣) أخرجه أحمد (٥/٢٣٤)، وصححه الألباني (٥٧٥٤) في « صحيح الجامع ».

(٤) أخرجه أحمد (٣/٣٤٢)، وصححه الألباني (٨٠٣) في « صحيح الجامع ».

* بين الأذان والإقامة :

قال رسول الله ﷺ : « الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد »^(١).

* عند نزول المطر ، وعند التقاء الجيوش ، وعند إقامة الصلاة :

قال رسول الله ﷺ : « اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش ، وإقامة الصلاة ، ونزول الغيث »^(٢).

* آخر ساعة من نهار الجمعة :

قال رسول الله ﷺ : « يوم الجمعة ثنتا عشرة ساعة ، منها ساعة لا يوجد عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئاً إلا آتاه الله إياه ، فالتمسواها آخر ساعة بعد العصر »^(٣).

* دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب :

دعاة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير ؛ قال الملك الموكل به : أمين ، ذلك بمثل .

قال رسول الله ﷺ : « دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب لا يرد »^(٤).

* دعوة المسافر ، والمظلوم ، والوالد لولده ، ودعوة الصائم :

قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة دعوات مستجابات : دعوة الصائم ، ودعوة المظلوم ، ودعوة المسافر »^(٥).

(١) أخرجه أحمد (١١٩/٣)، وصححه الألباني (٢٦٥) في « صحيح الترغيب والترهيب ».

(٢) أخرجه البيهقي (٦٢٥٢)، وصححه الألباني (١٠٢٦) في « صحيح الجامع ».

(٣) أخرجه أبو داود (١٠٤٨)، وصححه الألباني (٨١٩٠) في « صحيح الجامع ».

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٣٣).

(٥) أخرجه ابن خزيمة (١٩٠١)، وصححه الألباني (٣٠٣٠) في صحيح الجامع ».

* عدم العجلة :

قال رسول الله ﷺ : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : قد دعوت فلم يستجب لي » ^(١).

* دعاء رمضان :

فهو وقت صيام وزمان شريف ، وهناك علاقة وطيدة بين فتح أبواب السماء وأبواب الرحمة وإجابة الدعاء ، وهي حاصلة في رمضان ، وقال رسول الله ﷺ : « لله في كل يوم وليلة عتقاء ، لكل عبد منهم دعوة مستجابة » ^(٢).

(٣) أن يدعوا مستقبل القبلة ، ويرفع يديه إلى السماء .

(٤) خفض الصوت بين المخاففه والجهر ، قال تعالى : « قُلْ آتُّهُمَا اللَّهُ أَوْ أَدْعُهُمَا الرَّحْمَنَ إِنَّمَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحَسَنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَأَبْتَغِيَّ بَيْنَ ذَلِكَ سَيِّلًا » [الإسراء: ١١٠] ، قالت عائشة رضي الله عنها : أي بدعائك ، وقال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب » ^(٣).

(٥) أن لا يتكلف السجع في الدعاء ، ادع بلسان الذلة والافتقار ، لا بلسان الفصاحة والانطلاق .

٦) التصرع والخشوع والرغبة والرهبة .

(٧) أن يجزم بالدعاء ، ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه : قال سفيان بن عيينة : لا يمنع أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه ، فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس لعنه الله : « قَالَ رَبِّي فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يَعْلَمُونَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ » [الحجر: ٣٦-٣٧].

(١) متفق عليه ، البخاري (٥٩٨١) ، ومسلم (٢٧٣٥) .

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٤/٢) ، وصححه الألباني (٢١٦٩) في « صحيح الجامع » .

(٣) متفق عليه ، البخاري (٢٨٣٠) ، ومسلم (٢٧٠٤) .

(٨) أن يلح في الدعاء ، ويعظم المسألة ، ويكرر الدعاء ثلاثة : قال ابن مسعود : كان رسول الله ﷺ إذا دعا دعا ثلاثة ، وإذا سأله سؤال ثلاثة ، وقال ﷺ : «إذا تمنى أحدكم فليكثر ؛ فإنما يسأل ربه »^(١).

قال المناوى : إذا تمنى أحدكم خيرا من خير الدارين فليكثر الأمانى فإنما يسأل ربه الذي رباه وأنعم عليه وأحسن إليه ، فيعظم الرغبة ويوسع المسألة ، ويسأله الكثير والقليل حتى شسع النعل ، فإنه إن لم يسره لا يتيسر ، فينبغي للسائل إكثار المسألة ولا يختصر ولا يقتصر فإن خزائن الجود سحاء الليل والنهر ، ولا يفنيها عطاء ، وإن جل وعظم فعطاؤه بين الكاف والنون ، وليس ذا بمناقض لقوله سبحانه : «ولَا نَصِيبُ تَنْمَئِنَّا مَا فَصَلَ اللَّهُ يَعْلَمُ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ» [النساء: ٣٢] ، فإن ذلك نهي عن تمني ما لا يحيه بغيا وحسدا ، وهذا تمنى على الله سبحانه خيرا في دينه ودنياه وطلب من خزائنه اه.

(٩) أن يفتح الدعاء بذكر الله والثناء عليه ، وأن يختتم بالصلاحة على رسول الله ﷺ ، قال رسول الله : «كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي ﷺ »^(٢).

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاحة على النبي صلوات الله عليه ثم يسأل حاجته ، ثم يختتم بالصلاحة على النبي صلوات الله عليه فإن الله عز وجل يقبل الصالاتين ، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما .

(١٠) وهو الأدب الباطن ، وهو الأصل في الإجابة ، التوبة ورد

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٠١/٢)، وصححه الألباني (٤٣٧) في « صحيح الجامع » .

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٥٧٥)، وحسنه الألباني (٤٥٢٣) في « صحيح الجامع » .

المظالم والإقبال على الله عز وجل بكته الهمة ، فذلك هو السبب القريب في الإجابة .

قال مالك بن دينار : إنكم تستبطئون المطر ، وأنا أستبطئ الحجارة ، أي نزول الحجارة .

وقال ابن المبارك : قدمت المدينة في عام شديد القحط ، فخرج الناس يستسقون فخرجت معهم ، إذا أقبل غلام أسود ، فجلس إلى جنبي فسمعته يقول : إلهي .. أخلفت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوئ الأعمال ، وقد حبسنا عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك ، فأسألتك يا حلينا أنا .. يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعة ، فلم يزل يقول : الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل جانب ، قال ابن المبارك : فجئت إلى الفضيل فقال لي : مالي أراك كثيئاً ؟ ، قال : أمر سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا ، وقصصت عليه القصة فخرّ الفضيل مغشياً عليه .

إخواته ..

الدعاء والمناجاة والتضرع والافتقار بالأسحار ؛ عبادة لها للذة ، وفي رمضان لها طعم آخر ، لها في رمضان مذاق خاص ، والسعيد السعيد من قام في السحر ينادي ربه ويتملقه ؛ ليستنشق نسيم الأنس بالله ، فوالله ثم تالله لو شمم نسيم الأسحار لاستفاق منك قلبك المخمور .

وفي هذا الفصل المفعم بالبكاء على النفس ، والرجاء لفضل الله ، والخوف من النيران وطلب الجنان ، تتعرض لأمثلة عطرة من مناجاة وأدعية السلف الأكابر ، لتعلم كيف تملق ربنا ونستفتح لديه بالدعاء ، ولم تتعرض لأدعية القرآن الكريم والسنّة ؛ فهي بفضل الله معروفة لديكم ومشهورة .

إخوته . .

قال يحيى بن معاذ الواعظ : طوبى لعبد أصبحت العبادة حرفته ، والفقر منيته ، والعزلة شهوته ، والأخرة همته ، وطلب العيش بلغته ، وجعل الموت فكرته ، وشغل بالزهد نيته ، وأمات بالذل عزته ، وجعل إلى الرب حاجته ، يذكر في الخلوات خطبته ، وأرسل على الوجنة عبرته ، وشكى إلى ربه غربته ، وسأله بالتوبة رحمته ، وطوبى لمن كان ذلك صفتة ، وعلى الذنوب ندامته ، جثار الليل والنهار ، وبكاء إلى الله بالأنسحار ، ينادي الرحمن ، ويطلب الجنان ، ويخاف النيران .

إخوته . .

لورأيتم أرباب القلوب والأسرار ، وقد أخذوا أهبة التعبد في الأنسحار ، وقاموا في مقام الخوف على قدم الاعتذار ، **﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَنَقَّلُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَرُ﴾** .

عقدوا عزم الصيام وما جاء النهار ، وسجعوا الألسنة فليس فيهم مهذار ، وغضوا أبصارهم ولا زمّ عض الأبصار ، فانظر مدحهم إلى أين انتهى وصار ، أحزانهم أحزان ثكلى مالها اصطبغار ، ودموعهم لو لا التحرى لقلت كالأنهار ، ووجوههم من الخوف قد علاها الصفار ، والقلق قد أحاط بهم ودار ، **﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَنَقَّلُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَرُ﴾** .

جذوا في انطلاقهم إلى خلائقهم ، وراضوا أنفسهم بتحسين أخلاقهم ، فإذا بهم قد أذابهم كرب اشتياقهم ، أتدري ما الذي حبسك عن لحاقهم : حب الدرهم والدينار .

أيقظنا الله وإياكم من هذه السنة ، ورزقنا اتباع النفوس المحسنة ، وأتانا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ووقانا عذاب النار .

من أدعية السلف .. ومناجاتهم :

• رب ، ما أحكمك وأمجادك وأجودك وأرأفك ، وأرحمك وأعدلك وأقربك ، وأقدرك وأفهرك ، وأوسعك وأقضاك ، وأبينك وأنورك وألطفك وأخبرك ، وأعلمك وأشكرك وأحلملك ، وأحلكم وأعطفك وأكرمك ..

• رب ، ما أرفع حُجتك وأكثر مدحتك ، رب ما أبين كتابك وأشد عقابك ، رب ما أكرم مآبك وحسن ثوابك ، رب ما أجزل عطاءك وأجل ثناءك ، رب ما أحسن بلاءك وأسبغ نعماءك ، رب ما أعلى مكانك وأعظم سلطانك ، رب ما أمنن كيده وما أغلب مكرك ، رب ما أعز ملكك وأتم أمرك ، رب ما أعظم عرشك وأشد بطيشك ، رب ما أوسع رحمتك وأعرض جنتك ، رب ما أعز نصرك وأقرب فتحك ، رب ما أعمر بلادك وأكثر عبادك ، رب ما أوسع رزقك وأزيد شكرك ، رب ما أسرع فرجك وأحكم صنعتك ، رب ما أطف خيرك وأقوى أمرك ، رب ما أنور عفوك وأجل ذكرك ، رب ما أعدل حكمك وأصدق قولك ، رب ما أوفى عهdek وأنجز وعدك ، رب ما أحضر نفعك وأنقن صنعتك ..

• إلهي .. تم نورك فهديت فلك الحمد ، عَظِيم حلمك فغفرت فلك الحمد ، بسطت يدك فأعطيت فلك الحمد ، ربنا وجهك أكرم الوجه ، وجاهك أعظم الجاه ، وعطيتك أفضل العطية وأهناها ، تطاع ربنا فتشكر ، وتعصى فتغفر ، وتغيب المضطر ، وتكشف الضر ، وتشفي السُّقم ، وتغفر الذنب ، وتقبل التوبة ، ولا يجزي بالإنك أحد ، ولا يبلغ مدخلك قول قائل ..

• إلهي .. يا حَسَنَ التجاوز ، يا من أظهر الجميل ، وستر القبيح ، يا من لا يؤخذ بالجريمة ، ولا يهتك الستر ، يا واسع المغفرة ، يا باسط اليدين بالرحمة ، يا صاحب كل نجوى ، ويا متنه كل شكوى ، يا كريم الصفح ،

يا عظيم المَنْ ، يا مبتدئاً بالنعم قبل استحقاقها ، يا ربنا وسيدنا ومولانا ،
ويا غَايَةَ رغبتنا ، أَسأَلُكَ يا الله ؟ أَنْ لا تشوِّي وجهي بالنار .

• اللهم ، أنت أحق من ذكر ، وأحق من عُبد ، وأعظم من ابْتَغى ، وأرأف
من ملَك ، وأجود من سئل ، وأوسع من أعطى ، أنت الملك لا شريك لك ،
والفرد لا ينْدِ لك ، كل شيء هالك إِلا وجهك ، لن تطاع إِلا بإذنك ، ولن
تعصي إِلا بعلمه ، تطاع فتشكر ، وتعصي فتغفر ، أقرب شهيد ، وأدنى
حفيظ ، حُلْت دون النقوس ، وأخذت بالنواصي ، وكتبت الآثار ، ونسخت
الأجال ، القلوب لك مُفضية ، والسر عنك علانية ، الحال ما أحلاط
والحرام ما حرمت ، والدين ما شرعت ، والأمر ما قضيت ، الخلق خلقك ،
والعبد عبدك ، وأنت الرءوف الرحيم ، اللهم لا تحرمني خير ما عندك بسوء
ما عندى .

• يا سيدى وأملى ، ومن به تم عملى ، أعوذ بك من بدن لا يتتصب بين
يديك ، وأعوذ بك من قلب لا يشتفق إليك ، وأعوذ بك من دعاء لا يصل
إليك ، وأعوذ بك من عين لا تبكي عليك .

• يا من آنسني بقريه ، وأوحشني من خلقه ، وكان عند مسرتي ؛ ارحم
اليوم عبرتني .

• شهد لك قلبي في النوازل بمعرفة الفضل لك ، وكيف لا يشهد لك قلبي بذلك ، ولا يحسن بقلبي أن يألف غيرك ، هيهات ، لقد خاب لديك المقصرون .

٠ إلهي ، أصبحت وأمسيت وقلبي مُصرٌّ على حبك سيدِي ، ومشتاق إلى
لائقك ، فعجل بذلك قبل أن يأتيني سواد الليل .

• قام البطالون وقمت معهم ، قمنا إليك ونحن متعرضون لجودك ، فكم من ذي جُرم قد صفحت له عن جرمه ، وكم من ذي كرب عظيم قد فرجت له عن كربه ، وكم من ذي ضُرٌّ كبير قد كشفت له عن ضره ، فبعزتك ما دعانا إلى مسألك بعدما انطويانا عليه من معصيتك إلا الذي عرفتنا من جودك وكرمك ، فأنت المؤمل لكل خير ، والمرجو عند كل نائبة .

• سيدِي .. قصدك عبد روحه لديك ، وقياده بيديك ، واستياقه إليك ، واحسرتاه عليه ، ليه أرق ، ونهاهه قلق ، وأحشاؤه تحرق ، ودموعه تستbic ، شوقاً إلى رؤيتك ، وحنيناً إلى لقائك ، ليس له راحة دونك ، ولا أمل غيرك .

• سيدِي .. أحلى العطايا في قلبي رجاوك .. وأذبِّ الكلام على لسانِي ثناوك .. وأحب الساعات إلى ساعه تكون فيها لقاوك ..

• إلهي .. أغلقت الملوك أبوابها ، وبابك مفتوح للسائلين ، غرات النجوم ، ونامت العيون ، وأنت الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، إلهي .. فرشت الفرش ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، وأنت حبيب المتهجدين وأنيس المستوحشين ..

• إلهي .. إن طردتني عن بابك فإلى باب من التجي ، وإن قطعني عن خدمتك فخدمة من أرجبي ..

• إلهي .. إن عذبني فإني مستحق العذاب والنقم ، وإن عفوت عنِّي فأنت أهل الجود والكرم ، يا سيدِي لك أخلص العارفون ، وبفضلك نجا الصالحون ، وبحمتك أناب المقصرون ، يا جيل العفو ، أذقني برد عفوك وحلوة مغفرتك ، وإن لم أكن أهلاً لذلك ، فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة .

• إلهي .. أنت الذي خلقتني ، وفي الرحم صورتني ، فارحمني إلهي ،

فَكُمَا مَنْتَ عَلَيَّ بِالإِسْلَامْ؛ فَأَمْنَنْتَ عَلَيَّ بِطَاعَتَكْ، وَبِتَرَكْ مَعَاصِيكْ أَبْدًا
مَا أَبْقَيْتَنِي وَلَا بِسَرَاتِرِي، وَلَا تَخْذُلْنِي بِكَثْرَةِ فَضَائِحِي ..

• سَبَحَانَكَ حَالَقِي .. أَنَا الَّذِي لَمْ أَزِلْ لَكَ عَاصِيَا، فَمَنْ أَجْلَ خَطِيبَتِي
لَا تَقْرَأُ عَيْنِي، وَهَلْكُتْ إِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِي ..

• سَبَحَانَكَ حَالَقِي .. بَأْيَ وَجْهَ أَلْقَاكْ، وَبَأْيَ قَدْمَ أَقْفَ بَيْنَ يَدِيكْ، بَأْيَ
لَسَانٍ أَنَاطِقَكْ، بَأْيَ عَيْنٍ أَنْظَرَ إِلَيْكِ؟، وَأَنْتَ قَدْ عَلِمْتَ سَرَائِرَ أَمْرِي، وَكَيْفَ
أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ إِذَا خَتَمْتَ عَلَى لَسَانِي، وَنَطَقْتُ جَوَارِحِي بِكُلِّ الَّذِي قَدْ كَانَ
مِنِّي !!

• سَبَحَانَكَ حَالَقِي .. فَأَنَا تَائِبٌ إِلَيْكَ، فَاقْبِلْ تَوْبَتِي، وَاسْتَجِبْ دُعَائِي،
وَارْحَمْ شَبَابِي، وَأَقْلِنِي عَشْرَتِي، وَارْحَمْ طَولَ عَبْرَتِي، وَلَا تَفْضُحْنِي بِالَّذِي
قَدْ كَانَ مِنِّي ..

• سَبَحَانَكَ حَالَقِي .. أَنْتَ غَيَاثُ الْمُسْتَغْيِشِينَ، وَقَرْهَةُ أَعْيْنِ الْعَابِدِينَ،
وَحَبِيبُ قُلُوبِ الزَّاهِدِينَ، فَإِلَيْكَ مُسْتَغَاثِي وَمُنْقَطِعِي؛ فَارْحَمْ شَبَابِي، وَاقْبِلْ
تَوْبَتِي، وَاسْتَجِبْ دُعَوَتِي، وَلَا تَخْذُلْنِي بِالْمَعَاصِي الَّتِي كَانَتْ مِنِّي ..

• إِلَهِي .. عَلِمْتَنِي كِتَابَكَ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ عَلَى رَسُولِكَ مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ وَقَعْتُ
عَلَى مَعَاصِيكَ وَأَنْتَ تَرَانِي، فَمَنْ أَشْقَى مِنِّي إِذْ عَصَيْتَكَ وَأَنْتَ تَرَانِي، وَفِي
كِتَابِكَ الْمَنْزَلِ قَدْ نَهَيْتَنِي، إِلَهِي، أَنَا إِنْ ذَكَرْتُ ذَنْبِي وَمَعْصِيَتِي لَمْ تَقْرَأْ عَيْنِي
لِلَّذِي كَانَ مِنِّي؛ فَأَنَا تَائِبٌ إِلَيْكَ فَاقْبِلْ ذَلِكَ مِنِّي، وَلَا تَحْعَلْنِي لِنَارِ جَهَنَّمَ
وَقَوْدًا ..

• اللَّهُمَّ .. نُورُ دُنْيَا بُنُورٍ مِنْ تَوْفِيقِكَ، وَاقْطَعْ أَيَّامَنَا فِي الاتِّصالِ بِكَ،
وَانْظِمْ شَتَاتَنَا فِي سَلْكِ طَاعَتِكَ، عَجَباً لِمَنْ عَرَفَكَ ثُمَّ أَحْبَبَ غَيْرَكَ، وَلِمَنْ

سمع مناديك ثم تأخر عنك ، إلهي ، لا تعذب نفساً قد عذبها الخوف منك ..
ولا تخسر لساناً كل ما يروي عنك .. ولا تُقْذِّبَ بصرًا طالما يبكي لك ..
ولا تخيب رجاءً وهو منوط بك .

• إلهي .. ضع في ضعفي قوّة منك ، ودع في كفّي كفّ عن غيرك ،
ارحم عبرة تترافق على ما فاتها منك ، برّد كِيداً تحرق على بعدها عنك .
إلهي .. عرفتنا بربوبيتك ، وأغرقتنا في بحار نعمتك ، ودعوتنا إلى دار
قدسك ، ونعمتنا بذكرك وأنسك .

إلهي ، إن ظلمة ظلمنا لأنفسنا قد عمت ، وبحار الغفلة على قلوبنا قد
طمت ، فالعجز شامل ، والحصر حاصل ، والتسليم أسلم ، وأنت بالحال
أعلم .

• إلهي .. ما عصيناك جهلاً بعقابك ، ولا تعرضاً لعذابك ، ولكن سولت
لنا نفوسنا ، وأعانتنا شقوتنا ، وغرتنا ستراك علينا ، وأطمعنا في عفوك برّك بنا ،
فالآن من عذابك من يستنقذنا؟! ، وبحيل من نعتصم إن قطعت حبلك عنا؟ ،
واخجلاه من الوقوف غداً بين يديك !! ، وافضيحتنا إذا عرضت أعمالنا
القبيحة عليك !! ، اللهم اغفر ما علمت ، ولا تهتك ما سترت .

• إلهي .. إن كنا عصيناك بجهل ، فقد دعوناك بعقل ، حيث علمنا أن لنا
ربّا يغفر الذنوب ولا يبالي ..

يا من أقام لي غرس ذكري ، وأجرى لي أنهاراً تجري ، وجعل لي أيام عيد
في اجتماع الورى ، وأقام لي فيهم أسواق التقوى؛ أقبلت إليك معتمداً
عليك ، ممتنع القلب من رجائلك ، ورطب اللسان من دعائلك ، في قلبي من
الذنوب زفات ، ومعي عليها ندامات ، إن أعطيتني قبلت ، وإن منعوني

- رضيت ، وإن تركتني دعوت ، وإن دعوتنى أجبت ، فأعطنى إلهي ما أريد ،
فإن لم تعطني ما أريد ؛ فارزقني الصبر على ما تزيد .
- اللهم ، ارحم غربتي في الدنيا ، وارحم مصرعي عند الموت ، وارحم
قيامي بين يديك .
- اللهم ، إن خططي تعذبني ، وتوبتي تذوبني ؛ فعيشت طول دهري بين
تعذيب وتذوب .
- واسأله منك ، إذا شاهدتني وهمتي تسق إلى سواك ، أم كيف لا أضن
في طلب رضاك .
- إلهي .. ما أشوقني إلى لقائك ، وأعظم رغبتي لجذراك ، وأنت الكريم
الذي لا يخيب لديك أمل الآملين ، ولا يبطل عندك شوق المشتاقين .
- إلهي .. إن كان دنا أجلي ولم يقربني منك عملي ، فقد جعلت الاعتراف
بالذنب وسائل عللي ، فإن عفوت فمن أولئك بذلك ؟ ! ، وإن عدلت فمن
أعدل منك هنالك ؟ ! .
- إلهي .. قد جرت على نفسي بالنظر لها ، وبقي لها حسن نظرك ، فالويل
لها إن لم تسعدها .
- إلهي .. إنك لم تزل بي بئراً أيام حياتي ، فلا تقطع عني برؤك بعد مماتي ،
ولقد رجوت من تواني في حياتي بإحسانه أن يسعفني عند مماتي بغفرانه .
- إلهي .. كيف أيمس من حسن نظرك بعد مماتي ، ولم تولني إلا الجميل
في حياتي .
- إلهي .. إن كانت ذنوبي قد أخافتني ؛ فإن محبتى لك قد أجارتنى ، فتول
من أمري ما أنت أهله ، وعد بفضلك على من غره جهله .

- إلهي .. لو أردت إهانتي لما هديتني ، ولو أردت فضيحتي لم تسترني ، فمتعني بما له هديتني ، وأدم لي ما به سترتي .
- اللهم ، يا واسع المغفرة ، ويا باسط اليدين بالرحمة ، افعل بي ما أنت أهله .
- إلهي .. أذنبت في بعض الأوقات ، وآمنت بك في كل الأوقات ، فكيف يغلب بعض عمرِي مذنباً جمِيع عمرِي مؤمناً؟!
- إلهي .. لو سألتني حسنتي لجعلتها لك مع شدة حاجتي إليها ، وأنا عبد ، فكيف لا أرجو أن تهب لي سيناثتي مع غناك عنها ، وأنت رب؟! ، فيا من أعطانا خير ما في خزائنه ، وهو الإيمان به قبل السؤال ، لا تمنعنا أوسع ما في خزائنك ، وهو العفو مع السؤال .
- إلهي .. حجتي حاجتي ، وعدتني فاقتني ، فارحمني .
- إلهي .. كيف أمتنع بالذنب من الدعاء ، ولا أراك تمتنع مع الذنب من العطاء؟! ، فإن غفرت فخير راحم أنت ، وإن عذبت فغير ظالم أنت .
- إلهي .. أسألك تذللاً ، فأعطيك تفضلاً .
- اللهم ، اجعل طاعتك هي ، وقوّ عليها جسدي ، وسخّ نفسي عن الدنيا ، واسغلني بما ينفعني ، وبارك لي في قواها حتى ينتصبي مني حالٍ ، وامن علىي وارحمني ، حين تعيد بعد الموت خلقي ، ومن سوء الحساب فعافي ، يوم تبعثني فتحاسبني ، ولا تُعرض عنِّي ، يوم تعرضني بما سلف من ظلمي وجريمي ، وأمئي يوم الفزع الأكبر ، يوم لا تهمني إلا نفسي ، وارزقني نفع عملي ، يوم لا ينفعني عمل غيري ، وكما مننت علىي بالإسلام فامن علىي بطاعتك ، ويترك معااصيك أبداً ما أبقيتني ، ولا تفضحني بسرائي ، ولا تخذلني بكثرة فضائحِي .

• سبحانك خالقى ، أنا تائب إليك فاقبل توبتى ، واستجب دعائى ، وارحم شبابى ، وأقل عثري ، وارحم طول عبرتى ، ولا تفضحنى بالذى قد كان منى ، سبحانك خالقى ، أنت غيات المستغيثين ، وقرة أعين العابدين ، وحبيب قلوب الزاهدين ، فإليك مستغاثي ومنقطعي ، فارحم شبابى ، واقبل توبتى ، واستجب دعوتى ، ولا تخذلني بالمعاصي التي كانت منى ، ولا تجعلنى لنار جهنم وقوداً ، بعد توحيدك وإيمانك .

• إلهي .. وسليتى إليك : نعمك على ، وشفيعي إليك : إحسانك إلى ، اللهم ، إليك تقصد رغبتي ، وإياك أسأل حاجتي ، ومنك أرجو نجاح طلبتي ، وبيدك مفاتيح مسألتي ، لا أسأل الخير إلا منك ، ولا أرجوه من غيرك ، ولا يأس من روحك بعد معرفتي بفضلك ، يا من جمع كل شيء بحكمته ، ويا من نفذ في كل شيء حكمه ، يا من الكريم اسمه ؛ لا أحد لي غيرك فأسأله ، ولا أثق بسواء فآمله ، ولا أجعل لغيرك مشيئة من دونك أعتصم بها ، وأنوكل عليه ، فمن أسأل إن جهلتكم ؟ ! ، ويبمن أثق بعد إذ عرفتك ؟ !

• اللهم ، إن ثقتي بك ، وإن ألهتني الغفلات عنك وأبعدتني العثرات منك بالاغترار ، أنا نعمة منك أجري في نعمك ، لا أزداد على سابقة علمك ، ولا أنتقص من عزيمة أمرك ، فأسألك يا متنهن السؤالات ، وأرغب إليك يا موضع الحاجات ، سؤال من قد كذب كل رجاء إلا منك ، ورغبة من رغب عن كل ثقة إلا عنك ، أن تهب لي إيماناً أقدم به عليك ، وأوصل به عظم الوسيلة إليك ، وأن تهب لي يقيناً لا توهنه بشبهة إفك ، ولا توهنه خطرة شك ، ترحب به صدري ، وتيسر به أمري ، ويأوي إلى محبتك قلبي ، حتى لا ألهو عن شكرك ، ولا أنعم إلا بذكرك .

• يا من لا تُمل حلاوة ذكره ألسن الخائفين ، ولا تكل من الرغبات إليه

مدامع الخاسعين ، أنت متنهى سرائر قلبي في خفايا الكتم ، وأنت موضع رجائي بين إسراف الظلم ، من ذا الذي ذاق حلاوة مناجاتك فلها بمرضاة بشر عن طاعتك ومرضاتك ؟ ! ، يا من يعصي ويتاب إليه ، فيفرضي كأنه لم يعص ، بكرم لا يوصف ، وتحنن لا ينعت ، يا حناناً بشفنته ، يا متجاوزاً بعظمته ، لم يكن لي حول فأنتقل عن معصيتك إلا في وقت أيقظتني فيه لمحبتك ، خضعت لك وخشعت لك إلهي لتعزني بداخلالي في طاعتك ، ولتنظر إلى نظر من ناديه فأجابك ، واستعملته بمعونتك فأطاعك ، يا قريب ، لا تبعد عن المغترين ، يا ودود ، لا تعجل على المذنبين .

• اللهم ، استعملنا بسنة نبينا ، وتوئنا على ملته ، وأوزعنا بهديه ، وارزقنا مرافقة ، وعرفنا وجهه في رضوانك والجنة ، اللهم خذ بنا إلى سبيله وسته ، نعوذ بك أن نخالف سنته وسبيله ، اللهم أقر عينه بمن يتبعه من أمته ، واجعلنا منهم ، وأوردننا حوضه ، واسقنا مشربًا روياً لا نظمأ بعده أبداً ، اللهم أحقنا بنبينا غير خزايا ولا نادمين ، ولا خارجين ولا فاسقين ، ولا مبدلين ولا مرتابين ، واجعلنا من الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

• إلهي .. إن كان صغر في جنب طاعتك عملي ، فقد كبر في جنب رجائك أ ملي .

• إلهي .. كيف أنقلب من عندك محروماً وقد كان حسن ظني بك منوطاً؟ ! .

• إلهي .. فلا تبطل صدق رجائي لك بين الأدميين .

• إلهي .. إن كانت أسلقتي الخطايا من مكارم لطفك ، فقد آنسني اليقين إلى مكارم عطفك .

• إلهي .. إن أمنتني الغفلة من الاستعداد للقائك ، فقد نبهتني المعرفة لكرم آلائك .

• إلهي .. إن دعاني إلى النار أليم عقابك ، فقد دعاني إلى الجنة جزيل ثوابك .

• اللهم ، اجعلنا من الذين تفكروا فاعتبروا ، ونظروا فأبصروا ، وسمعوا فتعلقت قلوبهم بالمنازعة إلى طلب الآخرة ، حتى أناخت وانكسرت عن النظر إلى الدنيا وما فيها ، ففتحوا بنور الحكم ما رتقه ظلم الغفلات ، وفتحوا أبواب مغاليق العُمَى بأنوار مفاتيح الضياء ، وعمّروا مجالس الذاكرين بحسن مواطبة استدام الثناء ، اللهم ، اجعلنا من الذين تراسلت عليهم ستور عصمة الأولياء ، وحصنت قلوبهم بطهارة الصفاء ، وزينتها بالفهم والحياة ، وطيرت همومهم في ملوكوت سمواتك حجاباً حتى تنتهي إليك ، فرددتها بظرائف الفوائد ، اللهم اجعلنا من الذين سهل عليهم طريق الطاعة ، وتمكنوا في أزمة التقوى ، ومنحوا بال توفيق منازل الأبرار ، فزينا وقربوا وكرموا بخدمتك .

لك الحمد يا ذا المَنْ والطُولِ والآلاَءِ والسُّعَةِ ، إِلَيْكَ توجَّهُنَا ، ويفنائِكَ أَنْخَنَا ، ولمَعْرُوفِكَ تعرَضَنَا ، وبِقَرْبِكَ نَزَلْنَا ، يَا حَبِيبَ التَّائِبِينَ ، وِيَا سَرُورَ الْعَابِدِينَ ، وِيَا أَنِيسَ الْمُنْفَرِدِينَ ، وِيَا حَرْزَ الْلَّاجِئِينَ ، وِيَا ظَهَرَ الْمُنْقَطِعِينَ ، وِيَا مِنْ حُبِّ إِلَيْهِ قُلُوبَ الْعَارِفِينَ ، وَبِهِ أَنْسَتَ أَنْثَدَ الصَّدِيقِينَ ، وَعَلَيْهِ عَطْفَةَ رَهْبَةِ الْخَافِقِينَ ، يَا مِنْ أَذَاقَ قُلُوبَ الْعَابِدِينَ لِذِيَّ الْحَمْدِ ، وَحَلَوَةَ الْانْقِطَاعِ إِلَيْهِ ، يَا مِنْ يَقِيلُ مِنْ تَابُ وَيَعْفُو عَنْ أَنَابَ ، وَيَدْعُو الْمُؤْلِينَ كَرِمًا ، وَيَرْفَعُ الْمُقْبَلِينَ إِلَيْهِ تَفْضِلًا ، يَا مِنْ يَتَأْنِي عَلَى الْخَاطِئِينَ ، وَيَحْلِمُ عَنِ الْجَاهِلِينَ ، وَيَا مِنْ حَلَّ عَقدَةَ الرَّغْبَةِ مِنْ قُلُوبِ أُولَيَّاهُ ، وَمَحَا شَهْوَةَ الدُّنْيَا عَنْ فَكِرِ قُلُوبِ خَاصَتِهِ وَأَهْلِ مَحْبَبِتِهِ ، وَمَنْحَمِمَ مِنَازِلَ الْقَرْبِ وَالْوَلَايَةِ ، وَيَا مِنْ لَا يَضِيعُ مَطْيِعًا ، وَلَا يَنْسِي

صبياً ، ويا من منع بالنوال ، ويا من جاد بالاتصال ، يا ذا الذي استدرك بالتوبة ذنبينا ، وكشف بالرحمة غمومنا ، وصفح عن جرمنا بعد جهلنا ، وأحسن إلينا بعد إساءتنا ، يا آنس وحشتنا ، ويا طبيب سقمنا ، يا غياث من أسقط بيده ، وتمكن حبل المعاصي من رقبته ، وأسف خذرُ العجا عن وجهه ؛ هب لنا رحمة منك وعافية بين يديك ، يا خير من قدر ، وأرأف من رحم وعفا .

• إلهي .. فإني أتعرّف لك اللهم بما دل عليه صنعتك ، وشهاد لك فعلك ، فهب لي اللهم تطلب العزيمة إليك ؛ لأن من لم يشبعه الولوع باسمك ؛ ولم يروه من ظمه ورود غدران ذرك ، ولم ينسه جميع الهموم رضاه عنك ، ولم يلهمه عن جميع الملاهي تعدد آلاتك ، ولم يقطعه عن الأنس بغيرك مكانه منك ؛ كانت حياته ميّة ، ويميتة حسرة ، وسروره غصّة ، وأنسه وحشة .

• إلهي .. عرفني عيوب نفسي ، وافضحتها عندي لأنصرع إليك في التوفيق للتترّزه عنها ، وأبتهل إليك بين يديك خاضعاً ذليلاً في أن تغسلني منها ، واجعلني من عبادك الذين شهدت أبدانهم وغابت قلوبهم ، تجول في ملكوتكم وتتفرّك في عجائب صنعتك ، ترجع بفوائد معرفتك وعوايد إحسانك ، قد ألبستهم خلْع محبتك ، وخلعت عنهم لباس التزّين لغيرك .

• إلهي .. لا تترك بيني وبين أقصى مرادك حجاباً إلا هتكته ، ولا حاجزاً إلا رفعته ، ولا وَغْرَا إلا سهلته ، ولا باباً إلا فتحته ، حتى تقيّم قلبي على الحق في معرفتك ، وتذيقني طعم محبتك ، وتبرد بالرضا منك فؤادي وجميع أحوالّي ؛ حتى لا أختار غير ما تختاره ، وتجعل لي مقاماً فسيحاً في ميدان طاعتك .

• إلهي .. كيف أسترزق من لا يرزقني إلا من فضلك ؟ ! ، أم كيف أخطّك في رضا من لا يقدر على ضري إلا بتمكينك ؟ ! ، فيا من أسأله إيناساً

به وإيحاشا من خلقه ، ويا من إليه التجائي في شدتي ورجائي ؛ ارحم غربتي ،
وهب لي من المعرفة ما أزداد به يقينا ، ولا تكليني إلى نفسي الأمارة بالسوء
طرفة عين .

• إلهي .. لو أصبحت مُؤللا في الشدائـد غيرك ، أو ملـجا في المنازل سواك ،
لـحقـ لي أن لا أعرضـ إلـيـ بـوجـهـيـ عنـكـ ، ولا أختارـهـ عـلـيـكـ ؛ لـقـديـمـ إـحـسانـكـ
إـلـيـ وـحـديـهـ ، وـظـاهـرـ مـنـتـكـ عـلـيـ وـبـاطـنـهـ ، ولو تـقـطـعـتـ فـيـ الـبـلـادـ إـرـبـاـ إـرـبـاـ ،
وـانـصـبـتـ عـلـيـ الشـدـائـدـ صـبـاـ صـبـاـ ، ولا أـجـدـ مـشـتكـيـ غـيرـكـ ، ولا مـفـرـجـاـ لـمـاـ بـيـ
عـنـيـ سـواـكـ ، فـيـاـ وـارـثـ الـأـرـضـ وـمـنـ عـلـيـهاـ ، وـيـاـ باـعـثـ جـمـيعـ مـنـ فـيـهاـ ؛ وـرـثـ
أـمـلـيـ فـيـكـ مـنـيـ أـمـلـيـ ، وـبـلـغـ هـمـيـ فـيـكـ مـتـهـيـ وـسـائـلـيـ .

نعم إخوتاه :

هذه أدعية سلفنا .. ما أطيبة .. ما أرقها .. ما أطيب أملهم في
المناجاة ، ما أقربهم من طريق النجاة ، ما أقل ما تعبوا ، وما أيسر ما نصبوا ،
وما كان إلا القليل ثم نالوا ما طلبوا ، لو ذاق الغافل شراب أنسفهم في الظلم ،
أو سمع الجاهل صوت حنينهم في القيام ، وقد نصبوا لما انتصروا له الأقدام ،
وتزمنوا بأشرف الذكر وأحلـيـ الكلام ، وضرـبـواـ عـلـىـ شـوـاطـئـ آـنـهـارـ الصـدـقـ
الخيـامـ ، وـرـكـزاـ عـلـىـ بـابـ الـيـقـيـنـ بـالـحـقـ الـأـعـلـامـ ، وـزـمـوـاـ مـطـايـاـ الشـوقـ إـلـىـ دـارـ
الـسـلـامـ ، وـسـارـتـ جـنـودـ حـبـهـمـ وـالـنـاسـ فـيـ الـغـفـلـةـ نـيـامـ ، وـشـكـوـاـ فـيـ الـأـسـحـارـ ما
يـلـقـونـ مـنـ وـقـعـ الغـرـامـ ، وـوـجـدـواـ مـنـ لـذـةـ اللـيلـ مـاـ لـاـ يـخـطـرـ عـلـىـ الـأـوـهـامـ ، وـإـذـاـ
أـسـفـرـ النـهـارـ تـلـقـوـهـ بـالـصـيـامـ ، وـصـابـرـواـ الـهـوـاجـرـ بـهـجـرـ الشـرـابـ وـتـرـكـ الطـعـامـ ،
وـتـدـرـعـواـ دـرـوعـ التـقـنـيـ خـوـفـاـ مـنـ الزـلـلـ وـالـأـثـامـ ، فـنـورـهـمـ يـخـجلـ شـمـسـ الضـحـنـ
وـيـزـرـيـ بـدـرـ التـمـامـ ، فـلـأـجـلـهـمـ تـثـبـتـ الـأـرـضـ ، وـمـنـ جـرـاءـهـ يـجـريـ الـغـمـامـ ، وـبـهـمـ

يُسامح الخطاءون ويُصفح عن أهل الإجرام ، فإذا نازلهم الموت طلب لهم
كأس الحمام ، وإذا دفنا في الأرض فخرّت بحفظها تلك العظام ؛ فعلى الدنيا
إذا ماتوا من بعدهم السلام .



فَلَمَّا دَعَ رَبِيعُ الْمَضْيَانَ

لِقَاصِ الْفَوْلَئِ وَالْجَنَاحِ الْمَعَارِ

وَالْمَحَافَظَةُ عَلَى

الْأَدْوِيَةِ الرَّمَضَانِيَّةِ

وداع رمضان

أيها الإخوة .. أنا أحبكم في الله ..

ها هو الضيف الكريم يلوح بالرحيل ، تمضي أيامه مسرعةً وكأنها حلم
جميل ..

فليأيها الضيف الكريم على رسلك ؛ فقلوبنا لازالت مشتاقة إلى وضلك .
انتظر .. تمهل فما أجمل مقامك ، وما أحلى أيامك .. وما أمنع صيامك !!
لقد ذقنا فيك لذة في غيرك ما ذقناها ، لقد عشنا فيك عيشة في غيرك
ما عشناها !

فكيف ترحل عنا بعد أيام لنا حلوة قضيناها ؟! ، إن رحيلك عنا مصيبة أبداً
لن ننساها ..

ولكن تلك مقادير ربى قدرها وسوها ، فاللهُمَّ أجرنا في مصيبتنا يا رب ..
إخوتاه ..

ولئن أيام رمضان مسرعة ، ولم يبق منه إلا أيام قلائل ، ووجب علينا
التنبيه ، والتنويه لما فات ولما بقي .. بقي إخوتاه عشرة أيام .. فانتبهوا فسوف
تمر هي الأخرى كلمع البصر .

ألا فشمروا عن ساعد الجد في هذه العشر ، واهجروا للذيد المنام ، واقتدوا
بنبيكم ﷺ ، فقد كان يخص العشر الأواخر بأعمال لا يعملاها في بقية الشهر ؛
يخصها بالاعتكاف والقيام ، والاغتسال كل ليلة بين العشاءين ، والتنظيف
والتطيب ، وإحياء الليل كله ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : «كان رسول الله ﷺ

يجتهد في رمضان مالا يجتهد في غيره، وفي العشر الأواخر منه مالا يجتهد في غيره^(١)، وروي عنه ﷺ أنه «كان يخلط العشرين الأول بصلة ونوم، فإذا دخل العشر؛ لم يذق غمضاً»^(٢)، طوى فراشه، واعتل نسائه، وأحيا ليله، واجتهد في دعاء ربه.

وقد كان السلف إذا دخلت العشر؛ رفعوا الهمة إلى متهاها، وبدلوا كل الطاقة، وكيف لا والعشر هي آخر السباق.

قال طلحة بن عبيد الله: إن الخيل إذا قاربت رأس مجرها؛ أخرجت كل ما عندها.

فالسعيد من اغتنم موسم العمر قبل ذهابه، وحاسب نفسه قبل قراءة كتابه، وراقب مولاه مراقبة من يعلم أنه يراه في ذهابه وإيابه.

فينبغي إخوتاه أن نراعي هذا الفضل مدة عمرنا، ولا نضيع هذه الليالي المباركات، التي أخبر النبي ﷺ قطعاً أن ليلة القدر فيها؛ فلعل أحدهنا يكون قد مات قبل أن يدرك العشر الأواخر في العام القادم: «أَن تَقُولَ نَفْسٌ بَخْسَرَتْ عَلَى مَا فَرَّطَتْ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتَ لَيْمَانَ السَّتَّارِينَ ۝ أَزْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَنِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَقِّينَ» [الزمر: ٥٦-٥٧]، أو تقول: «يَنَّا يَتَّسِّي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفْوَزُ فَوْزًا عَظِيمًا» [النساء: ٧٣].

إخوتاه ..

الله سبحانه وتعالى يقول: «وَسَارِعُوا إِلَيْنَا مَغْفِرَةً مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةً عَرْمَنَاهَا السَّكُونَ وَالْأَرْضَ أَعْدَتْ لِلْمُتَقِّينَ» [آل عمران: ١٣٣].

الله سبحانه وتعالى يقول: «وَفِي ذَلِكَ ظِلَّتِنَا فِي الْمُتَّافِسُونَ» [المطففين: ٢٦].

(١) أخرجه مسلم (١١٧٥). (٢) ضعفه ابن حجر في «اللسان» (٤/٣٨١).

وهذه الأيام في آخر الشهر تحتاج للمناقشة حتى يستطيع الإنسان الحصول على أعلى الدرجات ، وتحتاج إلى المساعدة بل ومسابقة الأنفاس لأنها تمر مَر السحاب ، وكل لحظة مرت لا تعود ولا تتعوض ؛ فسابق أخي العبيب أجلك ، وأدرك رضا الله بعملك ، واسعد همتك ؛ فهذا أوان جدك .

وظائف آخر الشهر :

أولاً : وقفة صادقة مع الله ومع النفس :

لابد أنها الإخوة من وقفة صادقة دون كذب أو خداع أو مواربة ، لم يبق من الشهر إلا القليل فماذا أنت صانع فيه ؟

في هذه الوقفة تنظر فعلياً وبعد تفرغ تام :

- * هل أديت العبادات على وجهها ؟
- * هل عشت رمضان حقيقة كما يحب ربنا ويرضى ؟
- * هل ذاق قلبك طعم العبادات ؟
- * هل حصلت التقوى المنشودة المقصودة من وراء هذا الصيام ؟
- * هل تلوت القرآن وسمعته وأحيا الله به موات قلبك ؟
- * هل تغير البيت وتحول نمط الحياة عندك فصرت عبداً ربانياً ؟
- * هل أحسست بتغيير فعلي في قلبك فرأيت نوراً جديداً ؟
- * هل بعد هذا التغيير عازم على الثبات فلن تعود إلى المعاصي ؟
- * هل تظن بعد هذه الليالي الطويلة أنك قد اعتقت رقبتك من النار ؟
- * هل بعد كل تلك الليالي وفيها من فرص المغفرة ما فيها ؛ تظن أنك قد غفر لك ما تقدم من ذنبك ؟

أيها الحبيب المحب ، لا تجامل .. ولا تتجاهل ..

قف وقفَةً صادقةً واستعن بالله على نفسك واصدقني ، لا ؛ بل اصدق الله
يصدقك وأجب عن الأسئلة ، ومازالت أمامك فرصة ، هيا ركز في الأيام الباقيَة
واعمل عملَ رجل ي يريد أن يستدرك ما فات .

هيا انطلق وتخلص من قيودك ، وتبرأ من عيوبك ، والتمس رضا ربك ..

هيا اعمل ودعك من الكسل ، وودع الأمل ، وسارع الأجل ، ولا ترك
فرصة للعمل إلا وعملت بها ..

اعتكف كل الباقي ، وداوم على العبادة ، واجتهد في البكاء وطلب
العفو ..

أيها الإخوة .. كان السلف الصالح يجتهدون في إتمام العمل وإكماله
وإنقانه ، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله ويحافظون من رده ، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ
يُؤْتُونَ مَا أَنْوَا وَلَمْ يُوْهُمْ وَإِلَهَ أَنَّهُمْ إِلَّا يَرَهُمْ رَجِعُونَ﴾ [المؤمنون : ٦٠].

قال علي بن أبي طالب : كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل ،
ألم تسمعوا الله عز وجل يقول : ﴿إِنَّمَا يَتَّقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُنْتَقِينَ﴾ [المائدة : ٢٧]
أنت قد عملت ، ولكن هل قُبِّل عملك ؟ ، هذا هو الأخطر ، قبول العمل ،
فكما من عمل يتقنه صاحبه ويحسنه ويزينه ثم يرده الله عليه ولا يقبله ، وذلك
بسوء نية صاحبه ، اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم .

لذلك قال بعض السلف : الخوف على العمل ألا يتقبل أشد من العمل ، وقال
عبد العزيز بن أبي رواد : أدركتمهم يجتهدون في العمل الصالح ، فإذا فعلوه وقع
عليهم الله أقبل منهم أم لا ، هذا هو فقه السلف وفهمهم ، فكم من مغرور بعمله
وليس له منه شيء ، كم من معجب بصلاته وليس له فيها حسنة !!

ولذلك خرج عمر بن عبد العزيز على الناس في يوم عيد الفطر ، فقال في خطبته : أهيا الناس ، إنكم صتمم لله ثلاثة أيام ، وقمتم ثلاثة ليال ، وخرجتم اليوم تطلبون من الله أن يتقبل منكم . . فاللهم تقبل منا يا رب . وكان عبد الله بن مسعود يقول في آخر ليلة من رمضان : من هذا المقبول فنهنئه ، ومن هذا المحروم منا فنعزيه ، أهيا المقبول هنيئا لك ، أهيا المردود جبَّرَ الله مصيتك .

في أرباب الذنوب العظيمة ، الغنية الغنية ، في هذه الأيام الكريمة ، مما منها عوض ولا قيمة ، فمن يعتق فيها من النار فقد فاز بالجائزة العظيمة ، والمنحة الجسيمة ، يا من أعتقه الله من النار ، إياك أن تعود بعد أن صرت حرّا إلى رق الأوزار ، أبعدهك مولاك عن النار وتقترب منها !! ، وينفذك منها وأنت توقع نفسك فيها ولا تحيد عنها !! . . ويا أهيا العاصي ، لا تقطن من رحمة الله بسوء أعمالك ، فكم يعتق من النار في هذه الأيام من أمثالك ؛ فأحسن الظن بمولاك وتب إليه ؛ فإنه لا يهلك على الله إلا هالك .

ثانياً : ملازمة الاستغفار :

أهيا الإخوة ، لقد رأيت أن الله سبحانه وتعالى أمر عباده بعد الحج بالاستغفار فقال سبحانه : «ثُمَّ أَفْيِضُوا مِنْ حَيْثُ أَكَانُوا أَكَاسَ النَّاسَ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ» [البقرة : ١٩٩] ، وذكر الله عن العبادين المتهجددين أنهم كانوا يختتمون صلاتهم بالاستغفار ، فقال سبحانه وتعالى : «كَانُوا قَلِيلًا مَّا يَهْجِعُونَ وَإِلَّا سَحَّارٍ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» [الذاريات : ١٧-١٨].

قال الحسن : مددوا الصلاة إلى السحر ثم جلسوا يستغفرون .

وكان من هدي النبي محمد ﷺ إذا انتهى من الصلاة أن يستغفر ثلاثة فيقول : أستغفر الله . . أستغفر الله . . أستغفر الله . .

لذلك نقول : أكثر من الاستغفار في نهاية صيامك ، استغفر الله كثيراً ترتفع ما انفق من صيامك .

كان بعض السلف إذا صلى صلاة استغفر من تقصيره فيها كما يستغفر المذنب من ذنبه ، سبحان الله ! ، إذا كان هذا حال السلف الذين أحسنوا عبادتهم وأتقنوها وأخلصوا فيها ، فكيف حال المسيئين مثلنا في عبادتهم !!

وقال عمر بن عبد العزيز في كتابه إلى الأمصار بمناسبة آخر رمضان : قولوا كما قال أبوكم آدم : ﴿فَالَا رَبِّنَا طَلَّنَا أَنْفُسَنَا وَلَنْ لَوْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنْ كُونَنَّ مِنَ الْخَيْرِينَ﴾ [الأعراف : ٢٣] ، وقولوا كما قال نوح عليه السلام : ﴿وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَيْرِينَ﴾ [هود : ٤٧] ، وقولوا كما قال موسى عليه السلام : ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص : ١٦] ، وقولوا كما قال ذو النون عليه السلام : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سَبَّحْنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنياء : ٨٧] .

ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : الغيبة تخرق الصيام والاستغفار يرقعه ، فمن استطاع منكم أن يجيء بصوم مرقع فليفعل .

وعن ابن المنكدر قال : الصيام جنة من النار ما لم يخرقها ، والكلام السيء يخرق هذه الجنة ، والاستغفار يرقع ما تخرق منها .

نصياماً هنا يحتاج إلى استغفار نافع ، وعمل صالح له شافع ، كم تخرق صياماً بسهام الكلام ، ثم نرقعه وقد اتسع الخرق على الواقع ، كم نرفو خروقه بمحيط الحسنات ثم نقطعه بحسام السيئات القاطع .

يا رب ، ارحم من حسناته كلها سينات ، وطاعاته كلها غفلات .

و قريب من هذا أمر النبي عليه السلام لعائشة رضي الله عنها في ليلة القدر بسؤال العفو ؛ فإن المؤمن يجتهد في شهر رمضان في صيامه وقيامه ، فإذا قرب فراغه وصادف ليلة القدر لم يسأل الله تعالى إلا العفو كالمسيء المقصري .

كان صَلَّهُ بْنُ أَشِيمَ يُحْيِي اللَّيلَ ثُمَّ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ عِنْدَ السُّحْرِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُخْبِرَنِي مِنَ النَّارِ، أَوْ مِثْلِي يَجْتَرَئُ أَنْ يَسْأَلَكَ الْجَنَّةَ؟!

أنفع الاستغفار ما قارنته التوبة وهي حل عقدة الإصرار ، فمن استغفر بلسانه وقلبه على المعصية معقود ، وعزمه أن يرجع إلى المعاصي بعد الشهر ؛ فمردود ، وباب القبول عنه مسدود ، قال كعب : من صام رمضان وهو يحدُث نفسه أنه إذا أفطر بعد رمضان أنه لا يعصي الله ؛ دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب ، ومن صام رمضان وهو يحدُث نفسه إذا أفطر بعد رمضان عصى ربه فصيامه عليه مردود .

عبد الله .. شهر رمضان قد أوشك على الانتهاء ، فمن منكم حاسب نفسه فيه لله وانتصف ، من منكم قام في هذا الشهر بحقه الذي عَرَفَ ، من منكم عزم قبل غلق أبواب الجنة أن يبني له فيها غرفة من فوقها غرف ، ألا إن شهركم قد أخذ في النقص ؟ فزيدوا لأنتم في العمل فكأنكم به وقد انصرف ، فكل شهر عسى أن يكون منه خلف ، وأما شهر رمضان فمن أين لكم منه خلف ؟ !!

ثالثاً : سؤال الله المغفو ، والتركيز على هذا السؤال ، والانشغال بذلك :

قالت عائشة رَضِيَتْهَا اللَّهُ عَنْهَا: أَرَأَيْتَ إِنْ وَاقْتَتْ لِي لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ ،
قال: «قولي اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفْوٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»^(١).

العفو من أسماء الله تعالى ، وهو يتجاوز عن سينات عباده ، الماحي لآثارها عنهم ، وهو يحب العفو فيحب أن يعفو عن عباده ، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض ، فإذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه ، وعفوه

(١) أخرجه أحمد (٦/١٧١) ، وصححه الألباني (٣٣٣٧) في «ال الصحيح ».

أحب إليه من عقوبته، وكان النبي ﷺ يقول: «أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك»^(١).

قال يحيى بن معاذ: لو لم يكن العفو أحب الأشياء إليه؛ لم يتل بالذنب أكرم الناس عليه، يشير إلى أنه ابتلي كثيراً من أوليائه وأحبابه بشيء من الذنوب، ليعاملهم بالعفو فإنه يحب العفو، قال بعض السلف الصالح: لو علمت أحب الأعمال إلى الله تعالى، لأجهد نفسي فيه، فرأى قائلاً يقول له في منامه: إنك تريد ما لا يكون، إن الله يحب العفو، أن يغفر، وإنما أحب أن يغفر، ليكون العباد كلهم تحت عفوه، ولا يُدْلِي أحداً منهم بعمل.

وقد جاء في حديث ابن عباس مرفوعاً أن الله ينظر ليلة القدر إلى المؤمنين من أمة محمد ﷺ فيغفر عنهم ويرحمهم إلا أربعة: مدمن خمر، وعاقاً، ومشاحناً، وقاطع رحم.

لما عرف العارفون بجلاله خضعوا، ولما سمع المذنبون بعفوه طمعوا، ما ظم إلّا عفو الله أو النار، لو لا طمع المذنبين في العفو لاحتارت قلوبهم باليأس من الرحمة، ولكن إذا ذكرت عفو الله استرورحت إلى برد عفوه.

كان بعض المتقدمين يقول في دعائه: اللهم إن ذنبي قد عظمت، فجلت عن الصفة، وإنها صغيرة في جنب عفوك فأعف عنّي.

وقال آخر منهم: جرمي عظيم، وعفوك كثير، فاجمع بين جرمي وعفوك يا كريم .. اللهم اعف عنا.

يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر، أكبر الأوزار في جنب عفو الله يصغر؛ وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦).

ليالي العشر ، لأن العارفين يجتهدون في الأعمال ، ثم لا يرون لأنفسهم عملاً صالحًا ولا حالاً ولا مقاولاً ، فيرجعون إلى سؤال العفو كحال المذنب المقصر ، قال يحيى بن معاذ : ليس بعارف من لم يجعل غاية أمله من الله العفو .

كان مُطَرِّفٌ يقول في دعائه : اللَّهُمَّ ارضِنَا ، فإن لم ترضنَا فاعف عنا ، من عظمت ذنبنا في نفسيه لم يطمع في الرضا ، وكان غاية أمله أن يطمع في العفو ، ومن كملت معرفته لم ير نفسه إلا في هذه المنزلة .

رابعاً : بذل أقصى حد في الاجتهاد :

في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيره » .

أخي الحبيب ، ينبغي أن يكون الاجتهداد في أواخر الشهر أكثر من أوله لشيئين :

أحدهما : لشرف هذه العشر ، وطلب ليلة القدر .

والثاني : لوداع شهر لا يدرى هل يلقى مثله أبداً لا .

وقد يحصل من بعض الناس العكس ، أنك تجد في أول رمضان شيئاً من النشاط والهمة في العمل ، ثم يصاب بالفتور بعد ذلك ، أو يشغل بتفاهات تشغله عن إكمال الشهر كما ينبغي .

رغم أن المفروض هو العكس لو كان للعمل ثمرة ؛ فإنه كلما زاد من الطاعات والعبادات التي يؤديها كل يوم في رمضان يترقى درجة إن كان من المقبولين ، فتزداد طاعاته وقرباته في اليوم التالي ، حتى يصل إلى أقصى علو همة عند نهاية الشهر ، كما كان هذا شأن النبي ﷺ وأصحابه ، فإنه كما مر معنا كان ﷺ إذا دخل العشر شد المثير ، وأيقظ أهله ، وأحيا الليل كله .

وقد ذُكر عن بعض السلف أنه حين أتاه الموت وفي سياق السكريات ، كان يقوم ويقعده - يعني يصلبي - فقيل له : في مثل هذه الحال ؟ ، أرج نفسك ، فقال : إن الخيل إذا بلغت إلى رأس مجرها ، أخرجت أقصى ما عندها ، وأنا أسبق بأنفاسي ، فأنت الآن - أيها الحبيب - ت سابق الساعات ، فرمضان على وشك الانتهاء ، فابذل أقصى ما تستطيع ، ولتمض هذه الأيام العشر إن مضت بغير أكل ولا شرب ولا نوم ول يكن ما يكون .

قيل لبعض السلف : لا تبكي ، فإنك إن بكى عميت ، قال : ذلك لعبني شهادة ، فبكى حتى عمي ، افهم ما قصدت الإشارة إليه ، وارغب فيما عند الله ، واستعن بالله .

خامسًا : إياك والعجب والغرور :

عن أبي بكرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : «لا يقولن أحدكم : صُمْتُ رمضانَ كُلَّهُ ، ولا قُمْتُ رمضانَ كُلَّهُ»^(١) ، فلا أدرى أكره التزكية أم لابد من غفلة .

أخي الحبيب ، إياك والأمراض القلبية ؛ إنما شرع الصيام والقيام وتلك الأعمال التي أديتها في رمضان لتزكية النفس وإصلاح القلب ؛ ولكن هناك بعض الأمراض المستوطنة التي يصعب اقتلاعها بسهولة ، منها هذا الداء الدفين والمرض الخبيث : العجب ورؤية النفس .

قال ابن القيم - عليه رحمة الله : بين العمل وبين القلب مسافة ، وفي تلك المسافة مُطَاع طرق تقطع الطريق على العمل أن يصل إلى القلب ، فتجد الرجل كثير الصلاة كثير الصيام ، كثير الذكر وتلاوة القرآن ولم يصلن إلى قلبه من عمله شيء ، لا خوف ، ولا رجاء ، ولا محبة. ولا يقين ، ولا رضا ، وقد تستولي

(١) أخرجه أبو داود (٢٤١٥) ، وضعفه الألباني (٢٠٦٢) في «ضعيف أبي داود» .

النفس على العمل الصالح فتصيره جنداً لها فتصول به وتطغى ، فترى الرجل أبعد ما يكون ، أزهد ما يكون ، وهو عن الله أبعد ما يكون .

الشاهد من هذا الكلام أن النفس قد تستولي على العمل الصالح فتصول به وتطغى ؛ فاحذر من ذلك ، أن تستولي نفسك على مشاق الأعمال في رمضان ، من صيام وقيام وقرآن وذكر واعتكاف وغيرها ، وتصول بها على سبيل الفخر ، وتتفتخ بها بالزهو والتعالي على الآخرين ، فتتسر كل ذلك ، وتفقد ثواب العمل ، ونتيجة العمل ، فالحذر الحذر .

إن من علامات القبول أن يزداد الإنسان انكساراً وذلاً وخضوعاً للرب جل جلاله .. فازداد ذلاً ؛ تزداد قريباً .

عباد الله .. إن شهر رمضان قد عزم على الرحيل ، ولم يبق منه إلا القليل ، فمن منكم أحسن فعلية بالتمام ، ومن فرط فيه فعلية بالحسن والعمل بالختام ، اغتنموا منه ما بقي من الليالي اليسيرة والأيام ، واستودعوه عملاً صالحًا يشهد لكم عند الملك العلام ، وودعوه عند فراقه بأذكى تحية وسلام .

إخوته .. قلوب المتقين إلى هذا الشهر تحن ، ومن ألم فراقه تبتئن ، كيف لا تجري للمؤمن على فراقه دموع ، وهو لا يدرى هل بقى له في عمره إليه رجوع .

يا حسرةً مَنْ فاتَهُ الْخَيْرُ فِي رَمَضَانَ ، كم نُصِّبَ الْمُسْكِنَينَ فَمَا قَبْلَ النَّصْحِ ، كم دُعِيَ إِلَى الْمُصَالَحةِ فَمَا أَجَابَ إِلَى الْصَّالِحِ ، كم شاهدَ الْوَاصِلِينَ فِيهِ وَهُوَ مُتَبَاعِدٌ ، كم مرتَ بِهِ زُمْرَ السَّائِرِينَ وَهُوَ قَاعِدٌ ، حَتَّى إِذَا ضَاقَ بِهِ الْوَقْتُ ، وَخَافَ الْمَقْتُ نَدَمَ عَلَى التَّفْرِيْطِ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ ، وَطَلَبَ الْاسْتِدْرَاكَ فِي وَقْتِ الْعَدْمِ .

إخوته ..

أيام العشر أيام الحياة .. فيها الخيرات والبركات ، والأجور الكثيرة ،
والفضائل الجزيلة ، فيها تزكى الأعمال ، وتنال الآمال ، كيف لا والنبي ﷺ
كان يسهر ليله ، ويحمل كله ، ويقوم الليل كله .

هذه العشر تملأ فيها المساجد ، ويخشى فيها الرافع والمساجد ، وينهض إلى
الخيرات كل قاعد ، ويصير الراغب كالزاهد ، شرف الله أوقات رمضان على
سائر الأوقات ، وخص العشر الأواخر بمزيد فضل وإكرام ، فأجزل فيها
الإفضال والإنعم ، ودليل فضله أن فيها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر .



ليلة القدر

فضلها عظيم ، وخيرها عميم ، وكيف لا وقد شهدت نزول القرآن الكريم ، الذي يقود من اعتصم به إلى جنات الخلد والنعم ، كفى بقدر ليلة القدر أنها خير من ألف شهر ، قال تعالى : «إِنَّا أَنْزَلْنَا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝» [القدر : ٥-١].

ليلة مباركة ، من حرم خيرها فقد حرم الخير كله ؛ ولذلك يستحب للمسلم الحريص على طاعة الله أن يحييها إيماناً وطمعاً في أجراها العظيم ، بالقيام والذكر والقرآن والدعاء ، ومن فعل ذلك غفر له كل ما مضى من ذنبه ، قال رسول الله ﷺ : «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً ؛ غُفر له ما تقدم من ذنبه»^(١) .

ويستحب فيها الدعاء والإكثار منه ، وخاصة بما جاء عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ، أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ؟ ماذا أقول ؟ ، قال ﷺ : «قولي : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنِّي»^(٢) .

وقد كان السلف يخصصون ليلة القدر بمزيد اهتمام ؛ فكان ثابت البخاري يلبس أحسن ثيابه ، ويتطيب ، ويطيب المسجد بالقصور والدخنة في الليلة التي يُرجى فيها ليلة القدر .

وكان لتميم الداري رضي الله عنه خلعة اشتراها بألف درهم ، وكان يلبسها في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر .

(١) متفق عليه ، البخاري (٣٥) ، مسلم (٧٦٠) .

(٢) أخرجه أحمد (١٧١/٦) ، وصححه الألباني (٣٣٣٧) في «ال الصحيحه » .

وكما كانوا يستعدون لها بالتزين الظاهر؛ فإنهم علموا أنه لا يكمل تزيين الظاهر إلا بتزيين الباطن بالتوعية والإنبابة إلى الله تعالى، وتطهيره من أذناس الذنوب وأوضارها؛ فإن زينة الظاهر مع خراب الباطن لا تغنى شيئاً.

فلا يصلح لمناجاة الملوك في الخلوات إلا من زين ظاهره وباطنه، وطهرهما؛ خصوصاً لملك الملوك الذي يعلم السر وأخفى، فمن وقف بين يديه فليزين له ظاهره باللباس وباطنه بلباس التقوى.

روي عن مالك بن أنس أنه إذا كانت ليلة أربع وعشرين اغتسل وتطيب، ولبس حلة وإزاراً ورداء، فإذا أصبح طوافهما فلم يلبسهما إلا مثلها من قابل.

فعلى المسلم إذاً أن يتحرى هذه الليلة ، فهي فرصة عمره وحياته ، ومعلوم من السنة أن معرفتها رُفت؛ لأن الناس تخاصموا: عن عبادة بن الصامت رض قال: خرج النبي ﷺ بليلة القدر، فتلاحى رجال من المسلمين (أي: تخاصماً)، فقال: «إني خرجت لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة»^(١).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة القدر، ثم أيقظني بعض أهلي فنسيتها، فالتمسوها في العشر الغوابر»^(٢).

وورد أيضاً عن رسول الله ﷺ أنه التمسها في الوتر من العشر الأواخر، فقال رض: «التمسوها ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان في وتر؛ فإني قد رأيتها فأنسيتها»^(٣).

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٦).

(١) أخرجه البخاري (٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (٧٨٠).

قال البغوي : وبالجملة ، أبهم الله هذه الليلة على الأمة ؛ ليجتهدوا في العبادة ليالي العشر طمعا في إدراكتها ، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة . . وأخفى رضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها ، وسخطه في المعاصي ليتهوا عن جميعها ، وأخفى قيام الساعة ؛ ليجتهدوا في الطاعات حذرًا من قيامها .

فخلاصة القول : أن المسلم يتحرى ليلة القدر في أوتار العشر الأواخر : ليلة إحدى وعشرين ، وثلاث وعشرين ، وخمس وعشرين ، وسبع وعشرين ، وتسع وعشرين ، فإن ضعف وعجز عن طلبها في الوتر الأواخر ؛ فليطلبها في أوتار السبع الباقي : ليلة خمس وعشرين ، وسبع وعشرين ، وتسع وعشرين ، والله تعالى أعلم .

قال ابن رجب الحنبلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كل زمان فاضل من ليل أو نهار فإن آخره أفضل من أوله ، كيوم عرفة ويوم الجمعة ، وكذلك الليل والنهار عموماً آخره أفضل من أوله ، وكذلك عشر ذي الحجة والمحرم آخرهما أفضل من أولهما .

ولقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اعتكف في العشر الأوسط من رمضان ، قبل أن يعتكف العشر الأواخر التماساً للليلة القدر قبل أن يتبيّن له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ أنها في العشر الأواخر ، ثم لما تبيّن له ذلك اعتكف العشر الأواخر حتى قبضه الله عز وجل .

وعن عائشة تَعَظِّيْنَا قالت : « كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ إذا دخل العشر شد مئزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله ^(١) » ، وشد مئزره أي اعزّل النساء ، ويعتمل أن يريد به الجد في العبادة ، ولم يكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ إذا بقي عشرة أيام من رمضان يدع أحداً

(١) متفق عليه ، البخاري (١٩٢٠) ، مسلم (١١٧٤) .

من أهله يطيق القيام إلا أقامه ، وتأكد إيقاظهم في آكد الأوتار التي ترجى فيها ليلة القدر .

وسميت ليلة القدر ؛ لأنها أُنزل فيها كتاب ذو قدر ، على لسان ملِك ذي قدر ، على رسول ذي قدر ، وعلى أمّة ذات قدر .

أخي ..

يهون العمر كله إلا هذه الليلة ، الليلة التي نزل فيها القرآن جملة إلى السماء الدنيا ، الليلة التي يقدّر فيها أحكام تلك السنة ، وتكتب فيها الملائكة الأقدار ، الليلة التي تنزل فيها الملائكة .

لقد كان رسولكم ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيرها ، ويعتكف التماساً لتلك الليلة ، كان يواصل ابتعاده لتلك الليلة ، فيا من ضاع عمره في لا شيء ، استدرك ما فاتك في ليلة القدر ، فإنها تُحسب بالعمر .
ليلة . . يقبل الله فيها التوبة من كل تائب ، يكتب فيها من أُم الكتاب ما يكون في سنتها من موت وحياة ورزق ومطر .

وعن مجاهد : صيامها وقيامها أفضل من : صيام ألف شهر وقيامه ليس فيها ليلة القدر .

وعن كعب الأحبار : نجد هذه الليلة في الكتب حطوطاً تخطي الذنوب .

وهي ليلة مباركة تشرف فيها الأرض بالملائكة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليلة القدر ليلة السابعة ، أو التاسعة والعشرين ، وإن الملائكة تلك الليلة أكثر في الأرض من عدد الحصى » ^(١) .

ومن علامات ليلة القدر أنها تكون ليلة لا باردة ولا حارة ، وتشرق الشمس

(١) أخرجه أحمد (٢٠١٩/٢)، وحسنه الألباني (٥٠٢٢٠) في « الصحيححة » .

يومها بلا شعاع : قال رسول الله ﷺ : « ليلة القدر ليلة سمححة ، طلقة ، لا حرارة ولا باردة ، تصبح الشمس صبيحتها ضعيفة حمراء »^(١) ، وقال ﷺ : « تطلع الشمس صبيحة تلك الليلة ليس لها شعاع ، مثل الطست حتى ترتفع »^(٢) ، ولها علامات أخرى تظهر أكثرها بعد انتهاء الليلة .

ومن حديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال : « في ليلة القدر لا يحل للكوكب أن يرمي به حتى يصبح ، وأن أمارتها أن الشمس تخرج صبيحتها مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ، لا يحل للشيطان أن يخرج منها يومئذ »^(٣) ، وروي عن ابن عباس أن الشيطان يطلع مع الشمس كل يوم إلا ليلة القدر ؛ وذلك أنها تطلع لا شعاع لها .

وقال مجاهد في قوله تعالى : « سَلَمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعَ الْفَجْرِ » : سلام أن يحدث فيها داء أو يستطيع شيطان أن يعمل فيها شيء ، وعن الضحاك عن ابن عباس قال : في تلك الليلة تصعد مردة الجن ، وتغل عفاريت الجن ، وتفتح فيها أبواب السماء كلها ، ويقبل الله فيها التوبة لكل تائب .

ابن آدم . لو عرفت قدر نفسك ما أهنتها بالمعاصي ، أنت المختار من المخلوقات ، ولنك أعدت الجنة إن اتقيت فهي أقطاع المتقين والدنيا إقطاع إبليس ، فهو فيها من المنظرين ، فكيف رضيت لنفسك بالإعراض عن أقطاعك ومزاحمة إبليس على أقطاعه ، وأن تكون غداً معه في النار من جملة أتباعه ، إنما طردناه عن السماء لأجلك حيث تكبر عن السجود لأبيك ، وطلبنا قربك لتكون من خاصتنا وحزبنا ، فعاديتنا وواليت عدونا . . .

(١) أخرجه الطبراني (١٣٩) في « الكبير » ، وحسنه الألباني (٥٤٧٢) في « صحيح الجامع » .

(٢) أخرجه أبو داود (١٣٧٨) ، وصححه الألباني (١٢٢٩) في « صحيح أبي داود » .

(٣) أخرجه أحمد (٣٢٤ / ٥) ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : حسن .

وتحزن النساء لفوات قيام ليلة القدر بسبب حيض أو نفاس ، ولكن عليهن بإحسان العمل طوال الشهر لكي يتقبله الله منها ، قال جوير : قلت للضحاك : أرأيت النساء والحاضن والمسافر والنائم لهم في ليلة القدر نصيب؟ ، قال : نعم ، كل من تقبل الله عمله سيعطيه نصيبه من ليلة القدر ، ومعنى هذا أن الذي أحسن العمل في شهر رمضان يتقبل الله منه ، والذي يتقبل الله منه لم يحرمه نصيبه من ليلة القدر .

إخوتاه ..

ليلة القدر .. ليلة يفتح فيها الباب ، ويقرئ فيها الأحباب ، ويُسمع الخطاب ، ويرد الجواب ، ويعطى للعاملين عظيمُ الأجر .

ليلة .. ذاهبة عنكم بأفعالكم ، وقادمةً عليكم غداً بأعمالكم ، فياليت شعري ماذا أودعتموها ، وبأي الأعمال ودعتموها ، أتراها ترحل حامدةً لصنيعكم .. أو ذامةً تضييعكم .

ليلة القدر .. عند المحبين ليلة الحظوة بأنس مولاهم وقربه ، وإنما يفرون من لياليي البعد ، وفيها تنزل الملائكة بالأنوار والبر .

إخوتاه ..

في العشر الآخر ، احترسوا من الغفلات القوائل ، وتيقظوا فيها قبل لحاق الآخر بالأوائل ، واعذروا فيها فإنها قلائل ، قبل أن يرد اعتذار العاصي بتذكيره ، عظموها فإنها عظيمة الأمر ، وانتظروا وارتقبوا فيها بحسن اليقظة ليلة القدر ؛ فإنها غريبة غريبة ، وعجبية عجيبة .

إخوتاه ..

هذه فرصتكم الأخيرة في هذا الشهر للنجاة .. فتأهبو للعشر بالعزم

الصادق على الخير ، واجعلوا هممكم مصروفة إلى حراستها لا غير ؛ فإذاها عشر بالبركات الواقرة قد حُفِّت ، وبالكرامة الظاهرة قد رُفِّت ، فأعدوا لقدومها عدّة ، واسألو الله فيها التوفيق إلى أن تكملوا العدة ، والحذر الحذر من التفريط والإهمال والتکاسل فيها عن صالح الأعمال .

قال الله سبحانه وتعالى : «وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُفْلِتَكَ كَانَ سَعْيُهُمْ كَانَ مَشْكُورًا» [الإسراء : ١٩] .

إخواته .. يا مؤمنون ..

«يَتَأْيَهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفَرُوا فِي سَيِّلِ اللَّهِ أَثَافَتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا سَعَى الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٨﴾ إِلَّا نَفَرُوا يَعْذِنُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَسَتَبْدِلُ فَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَفْوٍ قَدِيرٌ» [التوبه : ٣٩-٣٨] .

إخواته ..

إن شهر رمضان قد قرب رحيله وأزف ، وهو ذاهب عنكم بأفعالكم ، وقدم عليكم غدا بأعمالكم ، فياليت شعرني ماذا أودعتموه ، وبأي الأعمال ودعتموه ، أتراه يرحل حامدا صنيعكم أو ذاما تضييعكم ، ما كان أعظم بركات ساعاته ، وما كان أحلى جميع طاعاته ، كانت لياليه عتقاً ومباهة ، وأوقاته أوقات خدم ومناجاة ، ونهاره زمان قربة ومصافة ، و ساعاته أحياناً اجتهد ومعاناة ، فبادروا بالقية قبل فوات البر ونزوول البرية وتخلى عنك جميع البرية .

أين المخلص المتبعد ، أين الراهب المتزهد ، أين المنقطع المفرد ، أين العامل المجدود ، هيئات .. بقى عبد الدنيا ومات السيد ، وهلك من خطوه خطأ وعاش المعتمد ، وصار مكان الخاسعين كل منافق متمرد .. رحل عنك شهر الصيام ، وودعك زمان القيام ، وألح النصيحة وقد لام ، أفترش شمس

الإيقاظ وتنام ؛ فاستدرك ما قد بقي من الأيام ، قد رأيناك توانيت في الأولى والثانية والثالثة ؛ مما بعد أن دنا الصبح .

أتركتَ مِنْ تُحِبُّ وَأَتَتْ جَازٌ
وَتَبَكِي بَعْدَ تَأْمِيمٍ اشتبَأَا
وَتَسْأَلُ فِي الْمَنَازِلِ أَيْنَ سَارُوا
تَرَكْتَ سُؤَالَهُمْ وَهُمْ حُضُورٌ
فَنَفَسَكَ لَمْ وَلَا تَلِمِ الْمَطَابِيَا
وَمُثْ كَمَدًا فَلَيْسَ لَكَ اغْتِذَارٌ

حَانَئِنَكَ يَا شَهْرَ الصِّيَامِ . . إِيَّهُ يَا شَهْرَ الشَّهُورِ . . مَرَّتْ كَالظِّيفِ وأَسْرَعَتْ
الْخُطَا . . فَكَنَتْ كَالْحُلْمِ لَا كَبْقِيَةَ الْآمَادِ . . وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ يَا شَهْرَ الإِيمَانِ . .

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ رَمَضَانَ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ وَتَلَوُّةِ
الْقُرْآنِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ التَّجَاوِزِ وَالغُفْرَانِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ الْبَرَكَةِ
وَالْإِحْسَانِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ التَّحْفِ وَالرَّضْوَانِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ
الْأَمَانِ ، كُنْتَ لِلْعَاصِينَ حَبْسَاً ، وَلِلْمُتَقِينَ أَنْسَاً ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ النِّسْكِ
وَالتَّبَدِيدِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ الصِّيَامِ وَالتَّهَجِيدِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ
الْتَّرَاوِيْحِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ الْأَنْوَارِ وَالْمَصَابِيحِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ
الْمَتَجَرِ الرَّبِيعِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرًا يُتَرَكُ فِيهِ الْقَبِيْحِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَنْسَ
الْعَارِفِينَ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا فَخْرِ الْوَاصِفِينَ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نُورِ الْوَامِقِينَ ،
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَوْضَةِ الْعَابِدِينَ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرًا يَتَسَابِقُ فِيهِ الْمُتَقْوِنُونَ ،
السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ فَوَادِ لِفَرَاقِكَ مَحْزُونٌ .

فيما ليت شعري : هلن تعود أيامك أو لا تعود ، وما ليتنا تحققنا ما تشهد به علينا
يوم الورود ، وما ليتنا علمنا من المقبول منا ومن المطرود ، وهل إذا عادت
أيامك فتحن في الوجود ، وتنافس أهل الركوع والسجود ، أم قد انطبقت علينا
اللحوذ ، ومزقنا البلى والدوذ ، فيما أسفًا لتصريحك يا شهر السعدود .

وإذا عَزَمتَ عَلَى الرَّجِيلِ فَإِنَّمَا حُزْنُ الْفِرَاقِ يَحْرُثُ فِي الْأَكْبَادِ
 فِيَا شَهْرَنَا غَيْرُ مُؤَدِّعٍ وَدُعْنَاكَ، وَغَيْرُ مَقْلِيٍ فَارْقَنَاكَ، كَانَ نَهَارُكَ صَدَقَةً
 وَصِيَامًا، وَلِيُلْكَ قِرَاءَةً وَقِيَامًا، فَعَلَيْكَ مِنَا تَحْيَةً وَسَلَامًا، أَتَرَاكَ تَعُودُ بَعْدَهَا
 عَلَيْنَا، أَوْ يُذْرِكُنَا الْمَنْوَنُ فَلَا تَرْوُلُ إِلَيْنَا، مَصَابِيحُنَا فِيَكَ مَشْهُورَةٌ، وَمَسَاجِدُنَا
 مِنْكَ مَعْمُورَةٌ، فَالآنَ تُطْفَأُ الْمَصَابِيحُ، وَتَنْقَطِعُ التَّرَاوِيْحُ، وَنَرْجِعُ إِلَى الْعَادَةِ،
 وَنَفَارِقُ شَهْرَ الْعِبَادَةِ.

يَا شَهْرَ رَمَضَانَ تَرْفَقُ، دَمْوعُ الْمُجَبِينَ تَدَفَقُ، قُلُوبُهُمْ مِنْ أَلْمِ الْفِرَاقِ تُشْقِقُ،
 عَسَى وَقْفَةً لِلْلَّوْدَاعِ تَطْفَئُ مِنْ نَارِ الشَّوْقِ مَا أَحْرَقَ، عَسَى سَاعَةً تَوْبَةً وَإِقْلَاعَ تَرْفُو
 مِنَ الصِّيَامِ مَا تَخَرَّقَ، عَسَى مِنْقَطَعَ عنْ رَكْبِ الْمُقْبُولِينَ يَلْحِقُ، عَسَى أَسِيرُ
 الْأَوْزَارِ يُطْلَقُ، عَسَى مِنْ اسْتَوْجَبِ النَّارِ يُعْتَقُ.

اللَّهُمَّ أَعْتَقْنَا مِنَ النَّارِ يَارَبُّ، اللَّهُمَّ تَقْبِلْ مِنَ رَمَضَانَ، اللَّهُمَّ تَقْبِلْ مِنَ الصَّلَاةِ
 وَالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ وَسَائِرِ الْأَعْمَالِ؛ إِنَّكَ سَمِيعُ عَلِيهِمْ.. اللَّهُمَّ سَلَّمْنَا لِرَمَضَانَ،
 وَسَلَّمْ رَمَضَانَ لَنَا، وَتَسَلَّمْ مِنَا مُتَقْبِلًا.. اللَّهُمَّ أَعِدْ عَلَيْنَا رَمَضَانَ أَعْوَامًا
 عَدِيدَةَ، وَأَزْمَنَةَ مَدِيْدَةَ.

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى أَنْ وَفَقْنَا لِصِيَامِ رَمَضَانَ وَقِيَامِهِ.. لَكَ الْحَمْدُ يَارَبُّ
 عَلَى أَنْ وَفَقْنَا لِقِيَامِ لِيْلَةِ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْسَابًا.. لَكَ الْحَمْدُ بِالْإِيمَانِ، وَلَكَ
 الْحَمْدُ بِالْإِسْلَامِ، وَلَكَ الْحَمْدُ بِالْقُرْآنِ، وَلَكَ الْحَمْدُ بِالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ
 وَالصَّدَقَةِ وَالْإِحْسَانِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.. لَكَ الْحَمْدُ أُولَآ وَآخِيرًا.. لَكَ الْحَمْدُ
 لَا تُحصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ؛ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ.. نَحْمَدُكَ حَمْدًا يُوَافِي
 نِعْمَكَ وَيُكَافِي مَزِيدَكَ.. وَنَسْتَغْفِرُكَ رَبِّنَا مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا وَالطَّاعَاتِ
 وَنَتُوبُ إِلَيْكَ؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

وَمَا لِلْجَاهِلِ مِنْ حَاجَةٍ

(رَبَّنَا لَا تُزْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا

وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً

إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ)

وماذا بعد رمضان؟!

جاء رمضان .. ومضى رمضان ..

سوق قام ثم انقض ، ربح فيه من ربح ، وخسر فيه من خسر ، ويتوالج
المسلم لفراق رمضان ويظل يتذكر أيامه وليلاته كيف كانت عامرة بالخيرات ،
ممثلة بالعبادات ، منيرة بالطاعات ..

ويتنهي رمضان وإذا بالمساجد تعود مرة أخرى خاوية على عروشها إلا من
أهلها الذين هم أهلها ، ويتباكى الدعاة إلى الله على جهيد على مدار شهر
بذلوه ؛ وإذا هم في نهاية الأمر لم يجدوا له الأثر الذي ظنوه وانتظروا ..

لماذا يتكسس الناس بعد رمضان وينشغلون مرة أخرى بدنياهم بعد أن ذاقوا
حلوة القرب من مولاهم ؟

لما مات رسول الله ﷺ وقف أبو بكر يقول : من كان يعبد محمداً ، فإن
محمدًا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ..

وهأنذا أقول : من كان يبعد رمضان فإن رمضان قد انقضى ، ومن كان
يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، قال تعالى : «وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ مَنْ عَلَيْنَا فَإِنَّ
رَبَّكَ وَرَبَّ الْأَكْرَامِ» [الرحمن: ٢٦-٢٧] ، «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ
كُلُّمَا يَقُولُوا حَكْمٌ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» [القصص: ٨٨].

أحبتي في الله ..

قال ربكم جل جلاله : «وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ
أَنْكَثَتْ» [النحل: ٩٢] .. هل رأيت امرأة تغزل ثوبًا وتغزل ثم تغزل ، وبعد أن
تم لها ذلك قامت فنقضت غزلها .. أعادت الثوب خيطًا كما كان ، فهل هذا

فعل إنسان عاقل ..

هكذا حالك : إنك بعد أن كنت تقوم الليل إحدى عشرة ركعة يومياً في رمضان ؛ تريد أن تترك هذا كله فلا تقوم الليل ولو بأربع ركعات ، فأين أثر القيام فيك إذا ؟

ألسنت قد وجدت لذة في قيام رمضان ؟ ، فلماذا تحرم نفسك من هذه اللذة ؟ ، لماذا تحرم نفسك من الأجر ؟ ، لماذا تترك سوسة الكسل تنخر في إيمانك ؟ !

إخوتها .. إن ديننا هو دين الاستقامة لا يصلح فيه التلون والتفلت والزوغان ، قال الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ : «فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَأَبَّ مَعَكَ» [هود: ١١٢] ، فاستقم على أمر الله .. استقم على طاعة الله حتى تلقاه فيكون ذلك يوم عيدك الحقيقي ، قال ربنا جل جلاله : «وَأَعْبُدْ رَبِّكَ حَتَّى يَأْنِيَكَ الْيَقِيْثُ» [الحجر: ٩٩] ، واليقين : الموت ، فكن ربانياً ولا تكون رمضانياً .

استقم على طاعة الله ولا تتلون .

لما جاء حذيفة بن اليمان الصحابي الجليل تَعَظِيْثُه الموت جلس عبد الله بن مسعود عند رأسه فقال : أوصني ، فقال له : ألم يأتك اليقين ؟ ، قال ابن مسعود : بلى وعزه ربى ، فقال له حذيفة : فإياك والتلون ؛ فإنه دين الله واحد .

إنك لابد أن تخرج من رمضان بقلب قد ألف الطاعة وأحبها واعتادها حتى صارت له كالهواء والماء للإنسان ، فإياك أن تقتل إيمانك بالتشاقل إلى الأرض ، والإخلاد إلى الكسل ، والرضا بالقعود والنكرusch .

إنني أريده أليها الحبيب أن تكون شخصية ربانية مدنى حياتك ، لا على

فترات متقطعة في حياتك تكون رجل المناسبات ، إياك أن تهجر الطاعة ، لا تهجر حفظ القرآن وتلاوته .. فالأعمال لم تقطع بعد انتهاء رمضان ، لم يُرفع عنك القلم بعد رمضان ، قيل لأحد الصالحين : أيهما أفضل : رجب أم شعبان ؟ ، فقال : كن ريانا ولا تكن شعبانيا !! ، لابد أن تثبت وتصطبر وتربى نفسك وتلزمهها .

إن أول خطوات طريق الفشل والضياع أن تحكم فيك نفسك وتسيرك كيف شاءت ، قم تقوم ، اخرج تخرج ، نم تنام ، كل تأكل ، لابد أن تملك أنت زمام المبادرة ، لابد أن تحكم أنت في نفسك وتذللها لطاعة الملك جل جلاله .

أيها الإخوة ، لازالت الأعمال بعد رمضان لم تقطع .

فالقرآن لا يهجر بمجرد انتهاء رمضان ، بل حافظ على وررك الثابت فيه ، دُم على ذلك فالقرآن هو الذي يزكي نفسك ويصلح قلبك ، ويشبك على طريق الحق ، فلتستمر في قراءة القرآن جزءين في اليوم على الأقل ، ثم زد إلى ثلاثة ثم إلى خمسة لتختم كل أسبوع كما كان يفعل الصحابة .

ذلك القيام لم ينقطع ، قم كل ليلة بآحدى عشرة ركعة ، فالنبي ﷺ كان لا يترك قيام الليل ، فإذا فاته يوماً من وجوه أو غيره صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة ، وذكر أن الحسن بن صالح باع جارية له ، فلما اتصف الليل قامت فنادتهم : يا أهل البيت ، الصلاة .. الصلاة ، قالوا : طلع الفجر ؟ ، قالت : وأنت لا تصلون إلا المكتوبة ؟ !! ، ثم جاءت إلى الحسن فقالت : بعني إلى قوم لا يصلون إلا المكتوبة ؟ !! .. رُدّني .

والصيام لم ينقطع ، فعليك أن تبادر بصيام ستة أيام من شوال حتى تكون لأنك صمت السنة كلها ، رمضان ثلاثون يوماً ، والحسنة بعشر أمثالها فيكون ثلاثمائة ، وستة أيام بعشر أمثالها إذا ستون يوماً ، فتكتمل السنة ، لأنك صمت

سنة كاملة ، قال رسول الله ﷺ : «من صام رمضان ثم أتبعه ستّاً من شوال ؛ كان كصيام الدهر»^(١) ، وهناك ثلاثة أيام في كل شهر كان النبي ﷺ يصومها ويأمر بصيامها هي الأيام البيض : ثالث عشر ، ورابع عشر وخامس عشر من كل شهر عربي .

قال أبو هريرة رضي الله عنه : «أوصاني خليلي ﷺ بثلاث لن أدعهن ما عشت : صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وصلاة الضحى ، وألا أيام حتى أوتار»^(٢) ، وأريدك أن تتبّه جيداً إلى قوله رضي الله عنه : لن أدعهن ما عشت .

وهناك غير ذلك صيام الاثنين والخميس ، قال ﷺ : «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس ، فأحب أن يعرض عملي وأننا صائم»^(٣) .

وهناك الصوم في المحرم ، فيستحب فيه الصيام استحباباً عظيماً ، قال رسول الله ﷺ : «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم»^(٤) .

باع قوم من السلف جارية ، فلما قرب شهر رمضان رأتهم يتأهبون له ويستعدون بالأطعمة وغيرها ، فسألتهم فقالوا : نتهياً لصوم رمضان ، فقالت : وأنتم لا تصومون إلا رمضان ! ، لقد كنت عند قوم كل زمانهم رمضان ، رُدوني عليهم ..

وأنواع الصيام كثيرة كصيام العشر الأوائل من ذي الحجة ، وصيام شعبان ؛ بل كان رسول الله ﷺ يصوم حتى يقول الصحابة : لا يفطر ، ويفطر حتى

(١) أخرجه مسلم (١١٦٤) .

(٢) متفق عليه ، البخاري (١١٢٤) ، مسلم (٧٢١) .

(٣) أخرجه أحمد (٥٢٠١/٥) ، وصححه الألباني (١٠٤١) في «صحيح الترغيب والترهيب» .

(٤) أخرجه مسلم (١١٦٣) .

يقولوا: لا يصوم، فالصيام مدرسة لتركيبة النفس، وهي وصيتي الخاصة للشباب وخصوصاً في هذه الأيام التي امتلأت بالفتنة، أسأل الله أن ينجيني وإياكم منها.

والأعمال الصالحة كلها لم تقطع بانقطاع رمضان.

قيل لبشر: إن قوماً يتبعدون ويجهدون في رمضان فقط، فقال: بئس القوم لا يعرفون لله حقاً إلا في رمضان.

إن الصالح الذي يتبعد ويجهد السنة كلها، فأكثر من الصدقة والإنفاق في سبيل الله، كلما مَنَّ الله عليك بفضله، وأكثر من ذكر الله وتسببيحة في كل أحوالك وفي كل أحيانك.

حتى الاعتكاف لم ينقطع بانتهاء رمضان، فالاعتكاف مشروع طيلة السنة.

إخوتها... بادروا بالأعمال الصالحة فطوبى لمن بادر عمره القصير، فعمّر به دار المصير، وتهيأ لحساب الناقد البصير، قبل فوات القدرة وإعراض النصير.

كان الحسن يقول: عجبت لأقوام أمروا بالزاد، ونودي فيهم بالرحيل،
وجلس أولئم على آخرهم وهم يلعبون!!
وكان يقول: يا ابن آدم، السُّكِينُ تُشَحَّذُ، والثُّورُ يُسْجَرُ، والكَبِشُ يُعْتَلَفُ.

وقال أبو حازم: إن بضاعة الآخرة كاسدة فاستكثروا منها في أوان كсадها؛ فإنه لو جاء وقت نفاقها لم تصلوا فيها إلى قليل ولا كثير.

وكان عون بن عبد الله يقول: كم من مستقبل يوم لا يستكمله، وكم من مؤمل لغدٍ لا يدركه، إنكم لورأيتم الأجل ومسيره؛ لأبغضتم الأمل وغروره.

وكان أبو بكر بن عياش يقول : لو سقط من أحدكم درهم لظل يومه يقول : إنما لله .. ذهب درهمي ، وهو يذهب عمره ولا يقول : ذهب عمري ، وقد كان الله أقوم يبادرون الأوقيات ، ويحفظون الساعات ، ويلازمونها بالطاعات .

هذا الفارق عمر ^{تعالى الله عنه} ما مات حتى سرّد الصوم .

وكانت أم المؤمنين عائشة ^{رضي الله عنها} تسرد ، وسرد أبو طلحة بعد رسول الله أربعين سنة .

وقال نافع : ما رأيت ابن عمر صائمًا في سفره ، ولا مفترًا في حضره .

وقال ثابت البُنَانِي : ما تركت في المسجد سادنة إلا وختمت القرآن
عندها .

وقيل لعمرو بن هانئ : لا نرى لسانك يفتر من الذكر فكم تسبح كل يوم ؟
قال : مائة ألف ، إلا ما تخطئ الأصابع .

وصام المنصور بن المعتمر أربعين سنة وقام ليلاً ، وكان الليل كله يبكي ،
فتقول له أمه : يا بني ، قتلت قتيلاً ؟ ، فيقول : أنا أعلم بما صنعت بنفسي .

قال الجمانِي : لما حضرت أبو بكر بن عياش الوفاة بكت أخته ، فقال : لا
تبك ، وأشار إلى زاوية في البيت ، إنه قد ختم أخوه في هذه الزاوية ثمانية
عشر ألف ختمة .

كان بعض السلف يقول : صم الدنيا واجعل فطرك الموت ، الدنيا كلها
شهر صيام المتقين يصومون فيه عن الشهوات المحرمات ، فإذا جاءهم الموت
فقد انقضى شهر صيامهم واستهلوا عيد فطركم .

وقد صُمِّتَ عَنِ الذَّاتِ دَهْرِيَّ كُلُّهَا وَيَوْمَ لِقَائِكُمْ ذَاكَ فِطْرُ صِيَامِي

من صام اليوم عن شهواته أفتر عليها بعد مماته ، ومن تعجل ما حرم عليه

قبل وفاته ؛ عوقب بحرمانه في الآخرة وفواته ، قال الله تعالى : «أَذَهَبْتُمْ طِينَكُمْ فِي حَيَاةِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا» [الأحقاف : ٢٠] .

كان الإمام علي يقول في آخر ليلة من رمضان : ليت شعري من هذا المقبول فنهنيه ، ومن هذا المحروم فنعزيه .

وكذلك كان يقول ابن مسعود : من هذا المقبول منا فنهنيه ؟ ، ومن هذا المحروم منا فنعزيه ؟

وكان المستفاد من ذلك أولاً أن قبول الأعمال غيب ، وأن غاية ما كان من سعي المكلفين إنما هو في تحصيل صور الأعمال ومظاهرها ، وأما المعول والذى عليه المدار في القبول ؛ إنما هو حقائق الأعمال ومقاصدها .

فليت شعري من هذا المقبول فنهنيه ، ومن هذا المحروم فنعزيه ؟

إن ذلك غيب ، لا يدرى أحد أين المقبول ؟ ، وأين المحروم ؟

واستفدىنا كذلك أنه لابد بعد انقضاء العمل من وقفة المحاسبة للنفس ، والنظر فيما كان فيه هذا العمل ، وهل وقع هذا العمل من الله تعالى موقع القبول ، أو كان هذا العمل في محل الرد والحرمان ؟

فاكتسبت النفس لذلك وجلاً عندما ظنت انقضاء زمان السعي والمجاهدة ، جاءها زمان آخر .. زمان المحاسبة للنفس ، والمعاقبة على تقصيرها ، والمجاهدة لشكر نعم الله عز وجل عليها .

قال بعض السلف : كانوا يجتهدون في العمل الصالح ، فإذا فعلوه وقع عليهم الهم : أي قبل منهم أم لا ، مما ينفكون من وجدهم وإشافقهم في أثناء أعمالهم ، وما يذهب عنهم وجدهم ولا إشافقهم بعد انقضاء تلك الأعمال ، لا يدرؤن قبلت منهم أعمالهم أم ذهبت تلك الاعمال في غير محل القبول ؟

واستفدنـا كذلك من قول الصحـابـيين الجـليلـين أن لا يزال العـبد واقـعاً بـباب الله ، فـهـذا المـقـبـول لا يـنـقـضـي بـعـمـلـه المـقـبـول سـعـيـه ، بل يـقـتضـي هـذـا الـعـمـل المـقـبـول سـعـيـاً مـوـصـولاً في شـكـرـ نـعـمـة الله عـزـ وـجـلـ التـي آتـاه ، وـفـي الـقـيـام بـحـقـ الله عـزـ وـجـلـ في التـوـفـيق لـلـعـمـل الصـالـحـ ، وـفـي مـزـيدـ التـنـعـمـ بـمـا أـذـاقـه الله عـزـ وـجـلـ مـنـ حـلاـوةـ الطـاعـةـ .

وكـذـلـكـ ذـلـكـ المـحـرـومـ ، لا يـنـقـطـعـ بـهـ الرـجـاءـ مـنـ رـبـهـ الـكـرـيمـ جـلـ جـلـالـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ ؛ بلـ إـنـ حـرـمانـهـ ذـلـكـ يـعـنيـ ذـهـابـ جـوـلـةـ مـنـ جـوـلـاتـ السـعـيـ بـسـبـبـ سـوءـ فـعـلـهـ وـمـرـذـولـ قـصـدـهـ ، فـإـذـا حـصـلـ لـهـ التـنـبـهـ لـذـلـكـ فـلـابـدـ أـنـ تـكـونـ جـوـلـةـ سـعـيـهـ الـأـخـرـىـ أـحـظـىـ بـالـقـبـولـ وـأـرـجـىـ لـاستـحـقـاقـ رـحـمـةـ أـرـحـمـ الـراـحـمـينـ .
مـنـ هـذـا المـقـبـولـ الذـيـ أـعـيـنـ عـلـىـ الصـيـامـ وـالـقـيـامـ ، وـعـلـىـ إـصـلـاحـ وـظـائـفـ الـأـعـمـالـ مـنـ الـصـلـوـاتـ الـمـكـتـوبـاتـ وـالـجـمـعـاتـ .

مـنـ هـذـا المـقـبـولـ الذـيـ أـعـيـنـ عـلـىـ وـظـيـفـةـ الصـدـقـةـ وـوـظـيـفـةـ تـلـاوـةـ الـقـرـآنـ ،
وـخـتـمـ لـهـ رـمـضـانـ بـالـسـدـادـ فـيـ الـأـعـمـالـ الصـالـحـاتـ ؟
مـنـ هـذـا المـقـبـولـ فـنـهـيـهـ ؟

مقتضيات القبول :

أولاً : الانكسار لـعـظـمةـ اللهـ :

وـتـهـنـيـتـناـ لـهـ وـتـهـانـيـاـ إـلـيـهـ بـفـضـلـ اللهـ عـزـ وـجـلـ الذـيـ آتـاهـ ، وـأـنـ ذـلـكـ يـعـنيـ منهـ مـزـيدـ انـكـسـارـ لـعـظـمةـ اللهـ ، وـعـرـفـانـ بـنـعـمـةـ اللهـ عـزـ وـجـلـ ، وـمـزـيدـ سـعـيـ لـشـكـرـانـ تلكـ النـعـمـ .

فـعـنـ أـبـيـ عـمـرـانـ الشـيـبـانـيـ : قـالـ مـوسـىـ يـوـمـ الطـورـ : يـاـ رـبـ .. إـنـ أـنـاـ صـلـيـثـ فـمـنـ قـبـلـكـ ، وـإـنـ أـنـاـ تـصـدـقـتـ فـمـنـ قـبـلـكـ ، وـإـنـ أـنـاـ بـلـغـتـ رسـالـاتـكـ فـمـنـ قـبـلـكـ ،
فـكـيـفـ أـشـكـرـكـ ؟ـ ، فـقـالـ اللهـ تـعـالـىـ لـمـوسـىـ : الـآنـ شـكـرـتـنـيـ .

فهذا قول الكليم .. كليم الله عز وجل .. وهو قول العارف بفضل الله المقرر بإحسانه ، قال : يا رب ، إن أنا صليت فمن قبلك ، لا من سعي نفسي ، ولا من تحصيلها ، فلو وُكِلْتُ إلى نفسي ، ولو وُكِلَّتْ النفسُ إلى ما فيها ؛ لما كان من العبد إلا العجز والتقصير ، والتواني والذنب ، والخطيئة والسيئات .
 يا رب .. إن أنا صليت فمن قبلك ، وإن أنا تصدقت فمن قبلك ؟ فكذلك ليس المال من تحصيلي ؛ بل هو من رزقك وفضلك وعطائك ، ولو شئت لم أكتسب شيئاً من ذلك المال ، وقد أحضرت الأنفس الشح ، وجُبِلت على الإمساك والبخل ، فلو لا أن تجود عليّ بمباعدة شح نفسي ؛ ما كان مني صدقة ولا إِنْفَاق .

فيما رب ، إن أنا تصدقت فمن قبلك ، فليس لي من ذلك العمل أي شيء أنسبه لنفسي .

ويا رب ، إن أنا بلغت رسالاتك فمن قبلك ، فليس ذلك البيان ، ولا الشفقة على المكلفين ، ولا الإعانتة على البلاغ ، ولا إيصال ذلك إلى قلوب المكلفين ، ولا حركة المكلفين بموجب ذلك ، وليس شيء من ذلك من سعي العبد ولا من تحصيله ؛ بل كل ذلك بفضل الله عز وجل وإحسانه .

وإن أنا بلغت رسالاتك فمن قبلك ؟ فكيف أشكرك ؟

فلو كانت الصلاة شكرًا ، فما هي من سعيي ، والشكر فعل يناسب إلى العبد لا إلى صاحب الإنعام والإكرام .

وإن كانت الصدقة شكرًا ، فهي كذلك من فضلك ؛ فليس يناسب إلى العبد شيء من ذلك .

وإن كان البيان عن الله والبلاغ لرسالته شكرًا ؛ فهو كذلك من الله عز وجل لا من المخلوقين .

ذهبت حيل السعاة في شكر الله ، وعجزوا عن شكر الله عز وجل على نعمه ، فأصبح إقرارهم بالعجز هو إعلانهم بالشكر لله عز وجل على نعمائه .

فكان جواب الكريم للكليم : الآن شكرتني .

إقرارك بعجزك عن الشكر هو حقيقة ذلك الشكر ، فإن شكر نعمة الله عز وجل يكون بنعمة أخرى من الله عز وجل وفضل وإحسان ، يستوجب شكرًا آخر ، حتى يكون الشكر الآخر نعمة أخرى تستوجب شكرًا آخر ، وهكذا .

فيقضي الحال إلى الإقرار بالعجز ، والإعلان بالقصور ، وأن شكر نعمة الله عز وجل هو الإعلان بالعجز عن شكره .

ثانية : شهود مِنَّةِ الله :

فليت شعري مَنْ هذا المقبول فنهنيه ، على فضل الله الذي آتاه ، وأن ذلك يقتضي الإعلان بشكر نعمة الله ، والإعلان بالعجز عن القيام بذلك ، وأن ذلك يقتضي مع تلك التهنة الالتفات للعمل والنظر إليه ، حتى يشهد منه الله عز وجل فيما كان ، وحتى يرى تقصير نفسه في كل عبادة يرى فيها أوجه عجزه وأبواب قصوره وضعفه وتوانيه وتباطئه مع فضل الله عز وجل السابق ، وإحسان الله تعالى الغالب عليه .

ثالثاً : مطالعة عِيْبِ الفسِّ والعمل :

وتهنئة المقبولين تعني التفاتاً إلى نعمة رب العالمين ، وتعني رجوعاً إلى هذه الأعمال التي كانت ، بالنظر إليها ، والتفتيش في أوجه القصور والنقص فيها ، وأنه كان ينبغي أن تكون هذه الأعمال أفضل مما تأدت ، وأن حق الله عز وجل أعظم من ذلك ، وأن حق خطايا هؤلاء المقبولين وسيئاتهم يقتضي عملاً أكثر ، مما يُزيل أدران قلوبهم أضعاف أضعف ما قدموا ؛ بل إن هذه السيئات والعيوب

تقتضي منهم سعيًا موصولةً وعبادةً غير منقطعة وشغلاً دعوياً بذكر الله عز وجل ومحبته إلى الممات ، لا يقوم حق الله عز وجل بدون ذلك .

فليت شعرى من المقبول؟ ، حتى يستحق تلك التهاني ، وينال مع تلك التهاني تنبيهات على سعيه .

رابعاً : استقامة القلب :

ليت شعرى من هذا المقبول فنهنئه؟ ، حتى تكون تهنتنا له على ما نال قلبه من ذلل لله عز وجل وتعظيم لأمره ، وانكسار من ذلك القلب ، ورقة على الخلق ليستديم ذلك الحال ، ولি�تحول إلى شخص آخر بعد منحة الله عز وجل له في رمضان ، وعطائه إليه وإحسانه .

خامسًا : الثبات على العمل الصالح :

ليت شعرى من المقبول فنهنئه؟ ، بأن يرجو موسم رمضان آخر بينهما عبادة موصولة ، وشغل بالله عز وجل وطاعته وخدمته ومحبته ، شغل دائم غير منقطع .

ليت شعرى من هذا المقبول فنهنئه؟ ، حتى تكون تهنتنا له سبباً لثباته على ما وفقه الله عز وجل له من العمل الصالح .

فما ينقضي مع انقضاء رمضان صيامه ..

وما يذهب مع ذهاب ليالي رمضان قيامه ..

وما يعود إلى ما كان منه من وحشة بينه وبين مصحفه وورد قرآن ..

ليتحول إلى شخص مقتدٍ بالنبي ﷺ « فقد كان عمله بِكُلِّ دِينَةٍ »^(١) .

(١) متفق عليه ، البخاري (١٨٨٦) ، مسلم (٧٨٣) .

وأخبر ﷺ : «إن أحب الأعمال إلى الله عز وجل أدومها وإن قل»^(١) ، فأحب العمل أدومه وإن قل ، فيكون تهنتنا للمقبولين سبباً لدواجهم على ما آتاهم الله عز وجل من أسباب التوفيق ، فيقتدون في ذلك بسنة النبي ﷺ : «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَشْوَأُ حَسَنَةٍ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» [الأحزاب: ٢١] .

تهانينا .. تهانينا

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن لا تغتر ، إنما قبلت بتفيق الله ، وتسديد الله ، وفضل الله ورحمته ، وليس منك ؛ فليتعلق قلبك بالله شكرًا لله .
أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن لا تفرح بعملك ؛ فإن الله يستحق أكثر من ذلك .

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن احرس قلبك حتى لا تضيع لذة الطاعة التي حصلتها في رمضان .

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن احذر المشي والقعود مع البطالين والاغترار .

بـ ٣

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن اعلم أن علامة القبول الازيد كل يوم من الطاعة .

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن سل نفسك : هل قوة الاندفاع للعبادة ضعفت عندك أم لا ؟

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن هل لو مت الآن ستتجدد الله راضيا عنك .

(١) متفق عليه ، البخاري (٦٠٩٩) ، مسلم (٧٨٣) .

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن سل نفسك : هل عملي يبلغني أعلى الجنان
أم يكفي لمجرد نجاتي من النار ؟

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن احذر الفتور والقعود عن طاعة الله .

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن إذا لعبت أو لهوت بعد رمضان فهذه علامة
الخسران .

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن احذر أن يعود قلبك لقصاوته بعد أن انجلى في
رمضان .

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن احذر أن تهدم ما بنيته ، وتعبت فيه وسهرت
من أجله .

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن احذر أن تكون رمضانياً ، تتعامل مع الله شهراً
وتركه أحد عشر .

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن احذر أن تزوج بقلبك بعد أن ذقت وعرفت ،
حتى لا ثبت على نفسك الحجّة يوم القيمة .

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن أعلم أن واجب الشكر لله يحتم عليك أن
تشكر نعمة الطاعة التي وفقك الله إليها وأعانك عليها بالعمل ، قال تعالى :
﴿أَعْمَلُوا عَلَيْهِ مَا لَمْ يَأْدُ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ اللَّهُ كُوْرٌ﴾ [سورة إبراهيم: ١٣]

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن لا تهن نفسك بعد أن أكرمك الله بالعبودية له
وحده .

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن احذر أن تعصي ربك وتهجر كلامه .

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن احذر جمود العين وسوء الأخلاق .

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن احذر تضييع الأوقات ، فكما كنت حريصا على الوقت في رمضان حافظ عليه بعده .

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن حافظ على الشحنة الإيمانية الكبيرة التي معك وزد عليها ولا تنقص .

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن هل أنت حزين بانتهاء الشهر أم فرحان ؟

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن أريدك أن تقارن بين قلبيين : قلبك في رمضان ، وقلبك بعد رمضان .. انظر وتأمل .

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن سل نفسك : هل أنا بعد رمضان مقبل على الدنيا بقلبي وعقلي أم أن الآخرة مازالت أكبر همي ؟

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن احذر أن ينتهي الصيام بانتهاء رمضان .

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن السعيد من استعد ل يوم الوعيد .

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن احذر من الاعتماد على ما قدمت ؛ فإن من يحب مولاه يواصل السير إليه .

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن احذر الالتفات والمكر ؛ فالله معك يسمعك ويراك .

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن اعلم أن الحقيقة ، حقيقة القلب لا الظاهر فحسب ، قال تعالى : ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي ثُوُسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّلِينَ عَقُورًا﴾ [الإسراء : ٢٥] .

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن احذر ضياع التقوى التي حصلتها .

أيها المقبول ، تهانينا ؛ ولكن احذر أن يقال لك : تعازينا ..

وليت شعري من هذا المحرر فنعزيه ؟

حتى يرى أن مصيبة الدين أعظم من مصيبة الدنيا ، وأن النهر الذي يكون في عمله الصالح ينبغي أن يكون أشد عليه من ضره في بدنه أو ماله ، وأنه مهما أصابه من مصائب الدنيا ، فحق جبرانها وتعويضها مضمون ، وأما مصيبة الدين فحظه من الله عز وجل قد ذهب ، وحظه من الآخرة قد ولّى .

مقتضيات الحرمان :

فليت شعري كيف يستدرك ذلك ، وقد فات وذهب بذهاب أيامه وأزمانه ؟
أولاً : الإقرار بظلمه لنفسه :

ليت شعري من هذا المحرر فنعزيه ؟ ، وكلنا ذلك المحرر ، حتى يعلم أن ما أصابه بكسبه ومردود عمله وسيئاته في قصده ووجهته ، وأن ذلك مع إحسان الله عز وجل وفضله غير لائق منه ، وغير مناسب لعقله وإيمانه ، وأن الله تعالى لم يظلمه شيئاً ، ولكن ظلم نفسه .

قال سبحانه في الحديث القدسي : « يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » ^(١) .

ثانياً : التنبه لشوم السيئات :

ليت شعري من هذا المحرر فنعزيه ؟ ، ويعلم أن هذه السيئات والتفريرات إنما هي نتاج سابق السيئات والتفريرات ، وأن جزاء الحسنة التوفيق لحسنها بعدها ، وأن عقوبة السيئة الخذلان حتى يقع في سيئة تتلوها وتكون بعدها .

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) .

ثالثاً : لزوم الوقوف بالباب :

ليت شعري من هذا المحروم حتى نعزيه ؟ ، ويكون عزاؤنا أن فضل الله عز وجل الواسع يقتضي لزوم الوقوف بالباب ، وألا يفارق العبد باب ربه مهما كان من ظلم العبد أو سوء فعله ، فلا يزال من الله عز وجل الكرم والجود ، وإن كان من العبد البخل والإمساك ، ولا يزال من الله عز وجل الإحسان والعطاء ، وإن كان من المكلفين الإساءة وسوء الفعل .

رابعاً : لزوم التوبة :

ليت شعري من هذا المحروم فنعزيه ؟ ، ويعلم أن الله عز وجل يبسط يده بالله ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس في مغربها ، ويعالم أن باب الله عز وجل لا يزال مفتوحا ، وأن الله تعالى لا يرد توبة التائب « الله عز وجل أفرح بتوبة أحدكم من أحدكم وقع على بعيده وقد أضلته في أرض فلأة »^(١) .

فلا تزال التوبة متاحة ما لم تبلغ روحك إليها المحروم حلقومك ، فمتى أمدك الله عز وجل وأفسح في أجلك فلاتزال مدة تراجعك قائمة ، لا يزال أمر توبتك لازماً غير معفيٍ أنت منه .

خامساً : إصلاح العمل :

ليت شعري من هذا المحروم فنعزيه ؟ ، حتى يعلم أنه لابد له من أن يصلح عمله ؛ حتى يكون عمله ذلك بالنسبة الحالصة لرب العالمين ..

وحتى يكون عمله ذلك وفق سنة النبي ﷺ ..

(١) متفق عليه ، البخاري (٥٩٤٩) ، مسلم (٢٦٧٥) .

وحتى يكون عمله ذلك خالياً من آفة الغرور وآفة العجب ، فلا يرى عملاً يعجب به ؛ بل يرى فضل الله الذي يستوجب انكساره وذله لربه ، وإعلانه بالعجز عن شكره ، ولا يرى نفسه التي تأدّي منها العمل ، بل يرى نفسه التي هي أسباب القصور في العمل والعجز عن القيام بحق الله تعالى .

سادساً : إنما يتقبل الله من المتقين :

قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « كونوا لقبول العمل أشد منكم اهتماماً بالعمل ، ألم تسمعوا الله عز وجل يقول : «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَقِّنِينَ» .

وقال بعضهم : لأن أكون أعلم أن الله يتقبل مني مثقال حبة من خردل أحب إلى من الدنيا وما فيها ، لأن الله عز وجل يقول : «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَقِّنِينَ» .

وقال بعضهم : كانوا يدعون الله عز وجل ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ، ثم يدعونه ستة أشهر أخرى أن يتقبل منهم رمضان .

كل ذلك يعني أن رمضان بذهاب أيامه لم ينقض ، وأن وظائف رمضان لا تزال قائمة ، وأن ما كان من عمل في رمضان فلا يزال ينادي على المكلفين ويستبع اهتمامهم بقبول ذلك العمل ، بعدما وقع منهم العمل ، فقد كانوا يجتهدون في العمل الصالح ، فإذا فعلوه وقع عليهم الهم أي قبل منهم أم لا ، وكان خوفهم ألا يقبل منهم عملهم أشد عليهم من العمل نفسه ، فما يذهب بذهاب مواسم الطاعات الإقبال على الله عز وجل ، ولا الاهتمام بالأعمال الصالحة .

بل إذا ذهبت مواسم الطاعات ؛ بقي بعد ذلك استكمال حقوق هذه الطاعات ، واستتمام ما يكون من لوازمهما ، من النظر فيها ، والتفيش في آفاتها ، والحدّر من إفشاءها ؛ حتى تكون أبعد عن الرياء .

تعازينا .. تعازينا

أيها المحروم ، تعازينا ؛ أيها المحروم جَبَرَ اللَّهُ مصيتك ؛ ولكن لم تنته الدنيا بانتهاء رمضان ومازال في العمر بقية ، ومازال ربنا جل جلاله يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، فتب وقد تاب اللَّهُ عليك .

أيها المحروم ، تعازينا ، ولكن لا تيأس : «أَلَا تَجْبُونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ» [النور: ٢٢] ، إذا كان في الصوم دعوة مستجابة ؛ ففي كل ليلة ربك يقول في الثالث الآخر : «هل من سائل فأعطيه» ، ما زالت أمامك فرصة لم تنته ، القضية أنك لن تخلد في جهنم مادمت مُوحِداً ، ما زالت أمامك فرص .

أيها المحروم ، تعازينا ، ولكن قف لتنظر من أين أتيت ، لم خذلت ، بم انتكست ، لا شك أنه من عند نفسك ، «وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَيْدِ» [فصلت: ٤٦] ، الفرص كانت أمامك متاحة وأنت خذلت نفسك ، أنت أو كست نفسك ، «وَمَا طَلَّتْهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ» [الزخرف: ٧٦] ؛ فلذلك قف لتخلاص من النفس الأمارة بالسوء ، قف لتأمل كيف ضاع منك رمضان كما ضاع سنين ، قف فالمؤمن لا يلدغ من جُحرٍ واحدٍ مرتين .

أيها المحروم ، تعازينا ، ولكن إن كان قد ضاع منك رمضان ؛ فإن اللَّهُ الحي بآي معك على الدوام ، يدعوك للإقبال عليه والإنابة إليه ؛ فأقبل قبل .

أيها المحروم ، تعازينا ، ولكن أعلم أن أبواب الرحمة مفتوحة طوال العام ، قال رسول اللَّه ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ يَقْبِلُ تُوبَةَ الْعَبْدِ مَالِمَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(١) .

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٣) .

أيها المحروم ، تعازينا ؛ ولكنك لازلت حيًا تستطيع أن تستدرك ما فاتك ؛
بالتوبة والعزم على استغلال رمضان القادم من الآن ؛ فاستعد .

أيها المحروم ، تعازينا ؛ ولكن أعلم أن مواسم الطاعة متنوعة وكثيرة ، ومن
فضل الله علينا أنها في كل شهر ، وبعد رمضان ستُ من شوال ، ثم عشر من ذي
الحج ، ثم الحج ، ثم شهر المحرم ، وهكذا مواسم وطاعات طوال العام .

أيها المحروم ، تعازينا ؛ ولكن أمامك صيام الاثنين والخميس ، وثلاثة أيام
من كل شهر ، وقيام إحدى عشرة ركعة يومياً ، والصدقة ، وقراءة القرآن وغير
ذلك ، فهي أبواب للخير في رمضان وغيره ؛ فأقبل ولا تحزن .

أيها المحروم ، تعازينا ؛ ولكن حاول أن تقوم بعمرة في الفترة القادمة ؛
لتعوض ما فاتك وتحيره .

أيها المحروم ، تعازينا ؛ ولكن لا تخف ولا تحزن ؛ فالكريم سبحانه شكور
يشكر على القليل ، ثم ينميه ، ولكن بشرط الإخلاص .

أيها المحروم ، تعازينا ؛ ولكن اقتصر كل فرصة بعد ذلك تأثيرك في طاعة الله .
أيها المحروم ، تعازينا ؛ ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، وتعلم من
أخطائك حتى تقدم بعد ذلك .

أيها المحروم ، تعازينا ؛ ولكن في لحظة تستطيع أن تكون ولها حقاً .. تقىأ
حقاً ، بالتوبة والإقبال على الله ، والندم على ما فات ، والعزم على الإصلاح .

أيها المحروم ، تعازينا ؛ ولكن لا تيأس ؛ فإنه ﴿لَا يَائِسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا
الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] .

أيها المحروم ، تعازينا ؛ ولكن معك سلاح قوي تستطيع أن تفتح به كل
مغلق وهو الدعاء ، فالزم التضرع والافتقار .

أيها المحروم ، تعازينا ، ولكن ندمك على ما فاتك يُرضي الله عنك
فيرحmk ، فأبشر مادمت نادما عازما .

أيها المحروم ، تعازينا ، ولكن أبشر فأنت مسلم موحد تصلي وتذكر الله
وتحب نبيك محمدا صلوات الله عليه ؛ فيرجي لك ومنك الخير .

أيها المحروم ، تعازينا ، ولكن حاول مرة أخرى ، وتأسس بالنمل ، المخلوق
الضعيف الذي يحاول مرات ومرات ؛ حتى يسلك الطريق الذي يريده .

أيها المحروم ، تعازينا ، ولكن أبشر ؛ فإن لك ربّا هو الله ، الغني القوي
الحنان المنان الملك الرحمن الرحيم الودود اللطيف يقول : «من تقرب مني
شبراً تقربت إليه ذراعاً» .

أيها المحروم ، تعازينا ، ولكن أبشر بجنة عرضها السموات والأرض إن
استقامت وعدت إلى الله .

أيها المحروم ، تعازينا ، ولكن لازالت معك الجوهرة العظيمة ، والمعجزة
الخالدة ، تراها وتمسّكها بيديك : القرآن الكريم ، فاسعد به واتّله ليلاً ونهاراً .

أيها المحروم ، تعازينا ، ولكن أبشر وتفاءل بندمك وتوبيتك وتحسرك على
ما فات منك ، فتلك علامات صحة قلبك ، وادع الله أن يبلغك الخير .

أيها المحروم ، تعازينا ، ولكن انتظر أن نقول لك : تهانينا .

ليت شعري من المحروم فنعزيه ؟ ، حتى يحبس نفسه على طاعة الله
ويمنعها من مألفاتها ومحبوباتها وشهواتها ، ويعلم أن ذلك الحرمان إنما أصابه
لاستغراقه في تحصيل شهواته ، ولتركه سنن النبي صلوات الله عليه حتى قعدت به عاداته
ومألفاته عن فوز عظيم . يا حسرة على ما فاته !! ..

من صام رمضان وهو يعزم إذا ذهب رمضان أن لا يعصي الله تعالى ؟ فإنه

مقبولٌ بغير حساب ولا عذاب ، ومن صام رمضان وهو يعزم إذا ذهب رمضان أن يعصي الله تعالى ، فصومه مردود عليه ، وعمله غير مقبول منه .

فليت شعرى من هذا المحروم فنعزيه ؟ ، حتى يكون عزاًونا له إلزاماً له ببداية توبته واستكمال استقامته ، وحذره من أن لا يأتيه رمضان آخر ، حتى يكون ذلك تحذيراً له من أن يأتيه الموت بغتة ، «أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِهِ عَلَى مَا فَرَّطَتِ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّذِّلِينَ ⑤١ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَذَا يَنِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُسْقِيَتِ ⑤٢ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّكَ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُخْسِنِينَ ⑤٣ بَلْ فَدَ جَاءَتْكَ مَا يَتَقَوَّلُ فَكَذَّبَتْ إِلَيْهَا وَاسْتَكْبَرَتْ وَكَنَّتْ مِنَ الْكَفَّارِينَ ④» [الزمر: ٥٦-٥٩] .

وقد يسأل : كيف أعرف أنني من المقبولين ؟

والجواب والله أعلم :

(١) أن يجد قلبه أقرب إلى الله ، وأنس به وأحب إليه ، فهذه ثمرة الطاعة وعلامة القبول .

(٢) أن يحب الطاعات ويقبل عليها ، ويشعر أن أبوابها تتفتح له ويسير له فعلها ، ويشعر أن أبواب المعاصي تغلق عنه ويصرف عنها ، ويكرهها ويستنكف عن فعلها .

(٣) أن لا يفقد الطاعات التي كان يقوم بها في رمضان ، بل يوازن عليها ، بل ويتحدث بعد رمضان أعمالاً لم تكن له قبل رمضان .

(٤) أن لا يعود إلى الذنوب التي تاب منها في رمضان ، فقد تكلم العلماء فيمن تاب من ذنب ثم عاد إليه ، أن هذا دليل على أن توبته لم تقبل ؛ لأنها لو قبلت لما عاد إلى الذنب مرة أخرى ، لذلك ثبت في الحديث أن «من أساء في

الإسلام أخذ بالأول والآخر^(١)، أي عقب بذنبه السابقة أيضاً؛ لأن في الإساءة بعد التوبة حبوط للتوبة، ولعل من أسرار هذا، الأمر بالعمل الصالح بعد التوبة، قال تعالى: «إِلَّا مَنْ تَابَ وَمَاءَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَلِحًا فَأُفْتَتِئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَتِي وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا» [الفرقان: ٧٠]، «وَلَئِنْ لَّفَرَّ لَمَّا نَأَى تَابَ وَمَاءَنَ وَعَمِلَ صَلِحًا ثُمَّ أَهْتَدَى» [طه: ٨٢]، وقال رسول الله ﷺ: «وَأَتَبَعَ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحَاهَا»^(٢)، فاشترط العمل الصالح بعد التوبة حزماً في منع الرجوع إلى الذنب .

(٥) استشعار المنة ، وعدم الإدلال بالعمل :

قد يتبلّى العبد بعد رمضان بشعور غامر أنه أدى ما عليه، وحبس نفسه في رمضان عن أشياء كثيرة مما يشهيه، فتجده يوم العيد عاصياً !!، وهذه من علامات عدم القبول، أن ينقلب على عقيبه بعد رمضان مباشرة، «وَمَنْ يَنْقُلِبْ عَلَى عَيْقَبِيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ أَشْكَرِينَ» [آل عمران: ١٤٤]، ولذلك من علامة القبول أن تجده خائفاً على العمل وجلاً لا يتقبل، مستشعراً فضل الله ونعمته عليه، متحدثاً بذلك، شاكراً لأنعم الله، موافقاً للذكر .

(٦) ذكر ابن رجب - عليه رحمة الله وبركاته - أن من علامات قبول رمضان : صيام ست من شوال ، وذكر لصيام السبت فوائد عظيمة لا تستطيع أن أغفلها ، فخذها هنيئاً مريئاً ، وافرح إن صمت الأيام السبت بهذه النيات ، ولعل فهمك لهذه الفوائد وعملك بها رزق ساقه الله إليك ليقبلك ، فهيا إليها المقبول أبشر بعد أن تعمل :

(١) متفق عليه ، البخاري (٦٥٢٣) ، مسلم (١٢٠) .

(٢) أخرجه أحمد (٥/١٥٣) ، وحسنه الألباني (٩٧) في « صحيح الجامع » .

فوائد صيام ست من شوال بعد رمضان :

(١) تحصيل ثواب صيام الدهر : وذلك أن صيام الدهر - والله يجزي على الحسنة عشر أمثالها - يعني أن يكتب للعبد صيام عشرة أشهر مقابل صيام شهر رمضان ، ويكون صيام السنة أيام قائمًا مقام ثواب صيام شهررين آخرين ، فيكون العبد بذلك قد استكمل ثواب صيام دهره .

(٢) صيام شوال وشعبان كصلة السنن الرواتب قبل الصلاة المفروضة وبعدها ، فيكمل بذلك ما حصل في الفرائض من خلل ونقص ، فإن الفرائض تكمل بالنوافل يوم القيمة ، كما ورد عن النبي ﷺ من وجوه متعددة ، وأكثر الناس في صيامه للفرض نقص وخلل ، فيحتاج إلى ما يجبره ويكمله من الأعمال ؛ ولهذا نهى النبي ﷺ أن يقول الرجل : صمت رمضان كله أو قمت رمضان كله ، قال الصحابي : لا أدرى أكرة التركة ، أم لابد من غفلة .

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول : من لم يجد ما يتصدق به فليصم ، يعني من لم يجد ما يخرجه صدقة للفطر في آخر رمضان فليصم بعد الفطر ؛ فإن الصيام يقوم مقام الإطعام في تكفير السيئات ، كما يقوم مقامه في كفارات الأيمان وغيرها من الكفارات .

(٣) معاودة الصيام بعد صيام رمضان علامة على قبول صيام رمضان ؛ فإن الله تعالى إذا تقبل عمل عبد وفقه لعمل صالح بعده ، كما قال بعضهم : ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بحسنة بعدها ؛ كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى ، كما أن من عمل حسنة ثم أتبعها بسيئة ، كان ذلك علامة رد الحسنة وعدم قبولها ، فمن رأى أن يعلم مدى قبول عمله من ذلك ، فليعود نفسه على الصيام والقيام من جديد حتى يكون صيامه الثاني علامة قبول صيامه الأول ، وحتى يكون قيامه الآخر علامة على قبول قيامه السابق عليه .

من عمل طاعة من الطاعات وفرغ منها ، فعلامة قبولها أن يصلها بطاعة أخرى ، وعلامة ردها أن يعقب تلك الطاعة بمعصية . . ما أحسن الحسنة بعد السيئة تمحوها ، وأحسن منها الحسنة بعد الحسنة تتلوها ، وما أقبح السيئة بعد الحسنة تمحقها وتعفوها . . ذنب واحد بعد التوبة أقبح من سبعين ذنبا قبلها ، النكسة أصعب من المرض وربما أهلكت ، سلوا الله الثبات على الطاعات إلى الممات ، وتعوذوا به من تقلب القلوب ، ومن العَوْرَةُ بعد الكُورِ ، ما أوحش ذل المعصية بعد عز الطاعة ، وأفحش فقر الطمع بعد غنى القناعة .

(٤) صيام رمضان يستوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب ، وأن الصائمين لرمضان يوفون أجورهم في يوم الفطر ، وهو يوم الجواز ، فيكون معاودة الصيام بعد الفطر شكرًا لهذه النعمة ؛ فإن شكر النعمة إنما يكون بفعل من جنسها ؛ حتى يكون الصيام نعمة تستوجب شكرًا بصيام آخر ، فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب ، ألم تر أن رسول الله ﷺ يقوم حتى تفطر قدماه ، فيقال له : تفعل ذلك وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ ، فيقول ﷺ : «أفلا أكون عبدا شكورا»^(١) ، فكان قيامه ﷺ ذلك القيام الطويل حتى تفطر قدماه .. ثم حتى تتشقق قدماه بعد تورمها ، كل ذلك شكرًا لله عز وجل على مغفرته لذنبه .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بشكر نعمة صيام رمضان بإظهار ذكره ، وغير ذلك من أنواع شكره فقال : «وَلَئِن كُثِّرُوا أَلْمِدَةٌ وَلَئِن كَثُرُوا أَلَّهُ عَلَىٰ مَا هَدَنَّكُمْ وَلَمَلَّكُمْ شَكُورٌ» [البقرة: ١٨٥] ، فمن جملة شكر العبد لربه على توفيقه لصوم رمضان وإعانته عليه ، ومغفرة ذنبه أن يصوم له شكرًا عقب ذلك .

(١) متفق عليه ، البخاري (١٠٧٨) ، مسلم (٢٨١٩) .

كان بعض السلف إذا وُفق لقيام ليلة من الليالي؛ أصبح في نهارها صائماً،
ويجعل صيامه شكرًا للتوفيق للقيام .

وكان وهيب بن الورد يُسأل عن ثواب شيء من الأعمال كالطواف ونحوه
فيقول: لا تسألو عن الثواب، ولكن سلوا ما الذي على من وُفق لهذا العمل
من الشكر؛ للتوفيق والإعانة عليه ..

كل نعمة على العبد من الله عز وجل في دين أو دنيا تحتاج إلى شكر عليها،
ثم التوفيق للشكر عليها نعمة أخرى تحتاج إلى شكر ثان، ثم التوفيق للشكر
الثاني نعمة أخرى يحتاج إلى شكر آخر، وهكذا أبداً فلا يقدر العبد على القيام
بشكراً النعم، وحقيقة الشكر الاعتراف بالعجز عن الشكر .

(٥) أن الأعمال التي كان العبد يتقرب بها إلى ربه في شهر رمضان لا تقطع
بانقضاء رمضان؛ بل هي باقية بعد انقضائه ما دام العبد حياً، وهذا معنى
الحديث أن الصائم بعد رمضان كالكارب بعد الفار، يعني كالذى يفر من القتال
في سبيل الله ثم يعود إليه، وذلك لأن كثيراً من الناس يفرح بانقضاء شهر
رمضان؛ لاستقال الصيام وممله وطوله عليه، ومن كان كذلك فلا يكاد يعود
إلى الصيام سريعاً، فالعائد إلى الصيام بعد فطوه يوم الفطر يدل عوده على
رغبة في الصيام وأنه لم يمله ولم يستقله ولا تكره به .

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «أحب الأعمال إلى الله الحال
المريح»^(١)، وفسر بصاحب القرآن يضرب من أوله إلى آخره، ومن آخره إلى
أوله، كلما حل ارتاح، والعائد إلى الصيام سريعاً بعد فراغ صيامه، شيئاً
بقارئ القرآن إذا فرغ من قراءته ثم عاد إليه، في المعنى، والله أعلم .

(١) أخرجه الترمذى (٢٩٤٨)، وضعفه الألبانى (١٦٣) في «السلسلة الضعيفة» .

(٦) في صيام هذه الأيام الستة من شوال استدراكُ لما فاتَ العبدُ من وظائف الصيام ، من وظائف إصلاح نفسه ، وإقامتها على أمر الله عز وجل ، ومن الوظائف المرجوة كذلك من الصيام من الإحسان إلى الفقراء ، ومن إدراك نعمة الله عز وجل في الأموال ، ومن شكر نعم الله عز وجل ، ومن تخلّي العبد للذكر والتفكير ، فإن شأنه في الفطر أن يكون مشغولاً عن الذكر والتفكير ، والصيام معينٌ له على ذكر الله عز وجل والتفكير في آخرته .

(٧) في صيام أيام شوال إعلانُ بقاءِ وظائف العبادة ما بقي العبد دهره ؛ فليست تذهب مع المواسم الطاعات ؛ بل إن ذهبت المواسم فلا يزال الله عز وجل أهل العفو وأهل المغفرة ، ولا تزال مغفرة الله عز وجل وغفوه يُرجحون بالعبادة من الصيام والقيام ، فما تنقضي أبد الدهر وظيفة الصيام ، وما تنقضي مدة حياة العبد وظيفة القيام وتلاوة القرآن .

(٨) في صيام هذه الأيام من شوال ، وفي إتباعها رمضان من غير مهلة ولا تراخ ، إعلانُ بعدم سَأَمَةِ العبدِ من العبادة ، وأنه لم يتضرر ذهاب رمضان وانقضائه ، وأنه ما ملأ وقوفه بباب ربه ، وما سبَّثَ التعرض لفضله وعطائه ونواهيه ، وأنه لا يزال باقياً مُصرِّاً ، باقياً على وظيفة العبادة ، مصرئاً على التعرض لفضل الله عز وجل وعطائه .

مسألة قضاء رمضان أولًا أم ست من شوال ؟

عن أم سلمة أنها كانت تأمر أهلها : من كان عليه قضاء من رمضان أن يقضيه الغد من يوم الفطر ، فمن كان عليه قضاء من شهر رمضان فليبدأ بقضائه في شوال ؛ فإنه أسرع لبراءة ذمته ، وهو أولى من التطوع بصوم ست من شوال ، فإن العلماء اختلفوا فيما بينهم في صيام مفروض ، هل يجوز أن يتطوع قبله أم لا ؟ ، وعلى قول من جوز التطوع قبل القضاء فلا يحصل مقصود صيام ستة أيام من شوال إلا لمن أكمل صيام رمضان ، ثم أتبعه ستة أيام من شوال .

فمن كان عليه قضاء من رمضان ثم بدأ بصوم ست من شوال تطوعاً لم يحصل له ثواب من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال؛ حيث لم يكمل عدة رمضان، كما لا يحصل لمن أفتر رمضان لغير صيام ستة أيام من شوال أجر صيام السنة بغير إشكال.

ومن بدأ بالقضاء في شوال، ثم أراد أن يتبع ذلك بصوم ست من شوال بعد تكملة قضاء رمضان كان حسناً؛ لأنَّه يصير حينئذ قد صام رمضان وأتبعه بست من شوال، ولا يحصل له فضل صيام ست من شوال بصوم قضاء رمضان؛ لأنَّ صيام الست من شوال إنما يكون بعد إكمال عدة رمضان.

ومن علامات القبول أيضاً :

١ - إذا كنت بعد رمضان تسارع إلى الطاعات محبًا لها، وتترك المعاصي أنففة منها؛ فتلك من علامات القبول، وإذا رأيت أبواب الخير تفتح لك مثل البكاء، ورقة القلب، والسهر، وقلة النوم فهذه من ثمرات رمضان أيضاً، كما هي في رمضان أو أزيد، وهذه من علامات القبول.

٢ - إذا كنت بعد رمضان أفضل مما كنت عليه قبل رمضان، وتستشعر أن لك قلباً جديداً ينبض بحب الله، وتحس أنك تحب ربك أكثر، وتحب ذكره والقيام بين يديه، وتحب شكره وتحب الإقبال عليه، وهذه من علامات القبول.

حول أسمدة المذاهب :

ثم إنَّه أيها الأحبة في الله إذا كان حَقّ كل عمل إذا صُحب بالإخلاص، فكانت النية فيه غير مشوبة برياء أو سمعة؛ كان لابد في ذلك العمل من حراسة له؛ حتى لا يتطرق إليه ضرب من ضروب الخلل.

والحراسة تكون :أولاً : بالحذر من الإدلال بالطاعة :

أول ذلك حراسة ذلك العمل من أن يحصل من العبد به مَنْ على الله عز وجل ، أو على خلقه ، فما يرى ذلك العمل حتى يتضرر حقاً يتقاداه من الخلق ، أو شيئاً يوجب له شيئاً آخر من الرب عز وجل ، فهو وإن كان ثم عمل ، فلا يزال يرى نفسه أقل إخوانه وأكثرهم ذنوبًا وأشدتهم عيوبًا ، فما له عليهم حقٌّ يتقاداه بعمله .

وهو كذلك لا يُدِلُّ بذلك العمل على ربه ، لا يرى أنه صنع شيئاً له على الله عز وجل به حق أو دلال ، بل يرى ذلك العمل نعمة الله عز وجل التي تستوجب منه شكرًا آخر ، وسعياً موصولاً ، واجتهاً غير منقطع إلى الممات .

ثانياً : بالحذر من العجب :

حق العمل بعد انقضائه حذر النفس به عجب ، ودفع العجب بشهود منه الله عز وجل عليك ، وتقصير نفسك ، فتندفع رؤيتك لعملك ، حين تكون مستغرقاً برؤية نعمة الله عز وجل لا برؤية عملك .

ثالثاً : بالحذر من الغرور :

وحق ذلك العمل بعد انقضائه حذر النفس من الغرور ، فغورها مبنيٌ على نسبة ما كان من السعي لكتسيها ، ومن العمل لتحصيلها ، وهي نسبة كاذبة غير صحيحة ، فما كان من سعي أو كسب ؛ فذلك فضل الله عز وجل ، عطاوه ومنتها ، إحسانه وجوده ، لا نسبة لشيءٍ من ذلك للعبد أبداً .

رابعاً : بالمداومة على الطاعات :

وحق ذلك العمل بعد انقضائه أن يعلم المرء أن علامه قوله إنما هي

التوقيق لنظائره وأمثاله بعد انقضائه ، وأن يعلم أن انقضاء موسم ذلك العمل يعني استجماع عدوه قوته في حبسه عن المزيد من ذلك العمل ، حتى يجمع العدو اللعين كل الموانع والقواطع عن الصيام والقيام وتلاوة القرآن ، فيحصل بعد رمضان انحدار شديد لما كان من الأعمال الصالحة بذهاها وفواتها .

خامسًا : بالاستعانة بالله لدفع الشواغل :

فتح تلك الأعمال التي أوبتيموها وأعانكم الله عليها أن تحدروا لها من مكابد العدو المتربص بها ، حتى إذا جمع الشواغل ، وكثير الهموم والموانع والقواطع ؛ كان عندكم من استعانتكم بالله عز وجل ، واستمدادكم لقوته ، كان عندكم من ذلك ما يدفع الشواغل والموانع والقواطع ، ولا فإن أي استسلام لذلك يعني ذهاب رمضان وانقطاعه بأعماله الصالحات ، ويعني رجوع العبد إلى مرذول عاداته وسوء مألفاته التي هي حبس عن الله عز وجل ، وانقطاع عن السير إليه ، وتقصير في تحصيل أسباب النجاة .

إخواته ..

اعلموا أن الراحة لا تتأل بالراحة ، ومعالي الأمور لا تتأل بالفتور ، ومن زرع حصد ، ومن جد وجد .

للله در أقوام شغلهم تحصيل زادهم عن أهاليهم وأولادهم ، ومال بهم ذكر المال عن المال في معادهم ، وصاحت بهم الدنيا بما أجابوا شغلا بمرادهم ، وتوسدوا أحزانهم بدلا من وسادهم ، واتخذوا الليل مسلكا لجهادهم واجتهادهم ، وحرسوا جوارهم من النار عن غيّهم وفسادهم .

أقبلت قلوبهم ترعن حق الحق ؛ فذهلت بذلك عن مناجاة الخلق .

فالآبدان بين أهل الدنيا تسعى ، والقلوب في رياض الملوك ترعن .

نازلهم الخوف فصاروا والهين ، وناجهم الفكر فعادوا خائفين .
وجئ عليهم الليل فباتوا ساهرين ، وناداهم منادي الصلاح : حي على
الصلاح ، فقاموا متوجهين .

وهبّت عليهم ريح الأسحار فتيقظوا مستغفرين ، وقطعوا بند المجاهدة
 فأصبحوا واصلين .

فرجعوا وقت الفجر بالأجر .. فيا خيبة النادمين .

إخوتي في الله ..

إن عمل الصالحات لا ينقطع عنك ما دامت فيك روح .. فعل الطاعات
لا يسقط عنك ما دام يتزدد فيك نفس .. وأئمًا وجدت خيراً فسارع إليه
وشارك .. اللهم ارزقنا فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ،
وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين .. ربنا آتنا في الدنيا حسنة ،
وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار .. اللهم خذ بنواصينا إلى ما تحب
وترضى ؛ إنك على ما تشاء قدير .. وبالإجابة جدير .
إخواته ..

هذه الشهور والأعمال والليالي والأيام كلها مقادير للأجال ، ومواقيت
للأعمال ، ثم تنقضي سريعاً ، وتمضي جيغاً ، والذي أوجدها وابتدعها
وخصصها بالفضائل وأودعها باق لا يزول ، ودائم لا يحول ؛ هو في جميع
الأوقات إله واحد ، ولأعمال عباده رقيب مشاهد .

فسبحان من قلب عباده في اختلاف الأوقات بين وظائف الخدم ؛ ليسبئ
عليهم فيها فواضل النعم ، ويعاملهم بنهاية الجود والكرم .

لما انقضت الأشهر الثلاثة الكرام التي أولها الشهر الحرام ، وآخرها شهر

الصيام؛ أقبلت بعدها الأشهر الثلاثة، أشهر الحج إلى البيت الحرام، فكما أن من صام رمضان وقامه غفر له ما تقدم من ذنبه؛ فمن حج البيت ولم يرث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه.

فما يمضي من عمر المؤمن ساعة من الساعات إلا ولله فيها عليه وظيفة من وظائف الطاعات؛ فالمؤمن يتقلب بين هذه الوظائف، ويتقرب بها إلى مولاه وهو راجٍ خائف، والمحب لا يَمْلِء من التقرب بالنواقل إلى مولاه، ولا يَأْمُل إلا قربه ورضاه.



فهرس

الصفحة	الموضوع
٧	■ مقدمة
١٣	■ فضائل رمضان
٣٧	■ الاستعداد لرمضان
٤٩	● تمارينات الاستعداد :
٤٩	١- التدريب على تحجيد التوبة
٥٩	٢- التدريب على تعظيم الشعائر
٦٠	٣- التدريب على استقامة القلب
٦١	٤- تدريب القلب على الأنفة من المعاصي
٦٢	٥- الترويض على الانكسار لله عز وجل
٦٤	٦- استصال الأورام الخبيثة
٦٨	٧- إجراء بعض تمارين العزمية
٦٩	٨- ترويض الحواس
٧٠	٩- الاستحضار الذهني للعبادات قبل الشروع فيها
٧١	١٠- لزوم جناب الاحتشام ودوام الإطراف
٧٣	١١- ملاحظة المنة
٧٤	١٢- تهدئة نمط الحياة
٧٧	■ كيف نستقبل رمضان؟
٧٩	● الوصايا العشر قبل دخول الشهر :
٧٩	١- هدنة مع المناقشات والجدال

٢ - هدنة في العمل مع الزملاء والمسئولين	٨٠
٣ - هدنة مع نفسك للتخلص من سموم القلب	٨١
٤ - هدنة مع الأرحام والوالدين	٨٥
٥ - هدنة مع النفس لترك الذنوب والمعاصي	٨٦
٦ - هدنة مع طول الغياب خارج المنزل وكثرة الارتباطات	٨٨
٧ - هدنة مع كثرة النفقات والتبذير	٨٨
٨ - هدنة مع العقول والقلب من التفكير والتدبر للدنيا	٩٠
٩ - هدنة مع استهلاك الأعضاء	٩١
١٠ - هدنة مع الهموم	٩٢
■ كيف تعيش رمضان	٩٥
● أولاً : تحديد الأهداف	٩٧
● ثانياً : الطريق لتحقيق الأهداف	١٠٣
■ روحانيات صائم	١٠٥
● يوم في حياة صائم	١٠٧
● البرنامج	١٣٠
● نصائح	١٣٢
● وصيبي لك	١٣٤
■ مشاهد العبودية في رمضان	١٣٧
● المشهد الأول : مشهد التوحيد	١٣٩
● المشهد الثاني : مشهد الصبر والشكر	١٤١
● المشهد الثالث : مشهد القبض والبسط	١٤٢
● المشهد الرابع : حسن الخلق	١٤٣

• المشهد الخامس : الزهد في الدنيا	١٤٥
• المشهد السادس : مشهد الإيثار	١٤٩
• المشهد السابع : استشعار المعاني الإيجابية للصوم	١٥٤
• المشهد الثامن : مشهد الجود والإحسان	١٥٨
■ رمضان والقرآن	١٥٩
• فضائل القرآن	١٦٣
• تحصيل لذة التلاوة وقراءة القرآن :	١٧١
* الآداب الظاهرة	١٧١
* الآداب الباطنة	١٧٣
• استدراك مهم	١٨٨
واقع الأمة مع القرآن	١٨٨
• كيف ربي النبي ﷺ الصحابة على القرآن؟	١٩٢
• أهدافنا المحددة في قضية القرآن	١٩٤
• المطلوب منك	١٩٥
■ قيام رمضان	١٩٧
• فوائد صلاة التراويح	١٩٩
• إحياء عمر لسنة الجماعة في التراويح	٢٠٥
• فضل أداء التراويح جماعة	٢٠٦
• تطور التراويح في العصر النبوى	٢٠٧
• عدد ركعات قيام رمضان	٢٠٧
• حضور النساء الجماعة في التراويح	٢٠٨
• إذا ما الليل أظلم كابدوة	٢١٠

٢١١	• وصف المتهجدين وليلهم
٢١٦	• بكاؤهم ويحر الدموع
٢١٧	• إذا قمت أيقظ أهلك
٢١٨	• لم كُلَّ هذا الاهتمام بالليل؟
٢١٨	• ما يعين على التهجد :
٢١٨	• الأسباب الظاهرة
٢٢١	* الأسباب الباطنة
٢٢٥	• الميسرات الباطنة لقيام الليل
٢٢٥	• آداب القيام
٢٢٨	• واذنوباه !
٢٢٩	■ الاعتكاف
٢٣٢	• خلوة النبي ﷺ في غار حراء
٢٣٧	• هدي النبي ﷺ في الاعتكاف
٢٣٨	• مقاصد الاعتكاف
٢٣٩	• حكم الاعتكاف
٢٣٩	• شروط الاعتكاف
٢٤٠	• أركان الاعتكاف
٢٤٠	• زمانه وبداية وقته
٢٤٠	• محظورات الاعتكاف
٢٤١	• أهداف الاعتكاف
٢٥٨	• المعنى الحقيقي للاعتكاف

• كيف نحصل حلاوة الاعتكاف؟	٢٥٨
• برنامج الاعتكاف	٢٦٠
• نصائح الاعتكاف	٢٦٦
• فتح ثغرات أخرى لذوي الهمم العالية	٢٦٨
• في نهاية الاعتكاف	٢٦٩
■ عمرة رمضان	٢٧١
• عظمة رمضان	٢٧٣
• لماذا نعتمر؟	٢٧٤
• كيف تعتمر؟	٢٨٥
• مشاهد العبودية في العمرة	٢٩٧
• مسألة المكث في مكة أفضل من المدينة	٣٠٨
■ نسائم الأسحار	٣١١
• تعظيم حال الدعاء	٣١٤
• آداب الدعاء	٣١٦
• من أدعية السلف ومناجاتهم	٣٢٢
■ وداع رمضان	٣٣٥
• حال النبي ﷺ والسلف عند دخول العشر	٣٣٧
• وظائف آخر الشهر :	٣٣٩
١ - وقفة صادقة	٣٣٩
٢ - ملازمة الاستغفار	٣٤١
٣ - سؤال العفو والتركيز فيه	٣٤٣
٤ - بذل أقصى حد في الاجتهاد	٣٤٥

أسرار المحبين في رمضان

٥ - إياك والعجب والغرور	٣٤٦
• أيام العشر أيام الحياة	٣٤٨
• ليلة القدر :	٣٤٩
* فضلها	٣٤٩
* ما يُستحب فيها	٣٤٩
* تحرّيها	٣٥٠
* لماذا سميت ليلة القدر؟	٣٥٢
* علاماتها	٣٥٢
• احترس .. دخلت عليه العشر الأواخر	٣٥٤
• قرب الرحيل .. فإين المخلص المتبعد	٣٥٥
• حنانيك يا شهر الصيام	٣٥٦
• السلام عليك يا شهر رمضان	٣٥٦
• فيا شهرنا غير موَّدع ودعناك	٣٥٧
■ وماذا بعد رمضان؟	٣٦١
• جاء رمضان .. ومضى رمضان	٣٦١
• لا زالت الأعمال بعد رمضان لم تنقطع	٣٦٣
• من المقبول ومن المحروم؟	٣٦٨
• مقتضيات القبول	٣٦٨
• تهانينا .. تهانينا ..	٣٧٢
• مقتضيات الحرمان	٣٧٥
• تعازينا .. تعازينا ..	٣٧٨
• كيف أعرف أنني من المقبولين؟	٣٨١

• فوائد صيام السَّتَّ من شوال	٣٨٣
• مسألة قضاء رمضان أولاً أم صيام السَّتَّ	٣٨٦
• ومن علامات القبول	٣٨٧
• حراسة الطاعات	٣٨٧
• وأخيراً : الراحة لا ثمال بالراحة	٣٨٩
• الفهرس	٣٩٣

